



4.3.2016

# تَسَاءُ صَغِيرَات

۱

لویزا الکوٹ

# نِسَاءٌ صَغِيرَاتٌ

تأليف  
نويزام . الكوت

ترجمة  
أمينة السعيد

الجزء الأول

الطبعة الثانية

الناشر  
مؤسسة سجل العرب  
٢٦ شارع شريك - القاهرة  
تليفون ، ٧٤٨٤٩٩ / ٧٤٨٣٠٩

١٩٨٦

## مقدمة

### بقلم : الدكتور خليل صابات

ولدت لويزا إم ألكوت في ٢٩ نوفمبر ١٨٣٢ في مدينة جيزمان تاون بالقرب من فيلادلفيا وتوفيت في بوستن في ٦ مارس ١٨٨٨ . من المؤلفات الأمريكية المعروفة . اشتهرت بكتبتها للأطفال ، ومنها نساء صغيرات » . قضت معظم حياتها بين مدينة كونكورد ومدينة بوستن . وقد تعرفت منذ الصغر على كل من رالف والدو امرسون وهنرى ديفيد تورو . وكان جارها . نتانياى هاوثرن . استمعت منذ حداثة عهدها الى كل من مارجريت فولر وأوليفر ونذل هولز ووليم الزى شنبخ وهنرى جيمس الكبير وغيرهم من العلماء والمفكرين .

أدركت لويزا مبكرا أن عمل والدها - أموس برونسون ألوكت - الفيلسوف والمربي لا يكفي لاعالة زوجة وأربع بنات ، لذا اضطرت الى العمل مبكرا في حياكة ثياب الدمى لتقوم بنفقاتها . التحقت لفترة قصيرة بمدرسة لتعليم الحياكة واشتغلت بعض الوقت في الأعمال المنزلية . وانتهى بها الأمر الى احتراف الكتابة ، فأخذت تؤلف القصص والروايات . . كان أول كتب لها مجموعة من قصص الجن بعنوان « أساطير الزهور » : كتبتها ، وهي في السادسة عشرة من عمرها ونشرت عام ١٨٥٤ . وكانت لويزا قد حكّت هذه القصص في الأصل لألين ابنة امرسون أستاذها .

كانت هذه الكاتبة شديدة الحماس لمبدأ الغاء الاسترقاق في الولايات المتحدة الأمريكية : لذا نراها تتطوع كمرضة حين بدأت الحرب الأهلية

بين الشمال والجنوب • وأصيبت بعدوى مرض التيفود بسبب سوء الظروف الصحية في المستشفى التي كانت تخدم فيها ، فأعيدت إلى بيتها •• إلا أنها لم تسترد كامل صحتها بعد إبلالها من المرض •

وفي عام ١٨٦٣ نشرت كتابها « مشاهد من مستشفى » ، وقد حوى مجموعة من الرسائل التي كتبتها حين كانت تعنى بمرضى الحرب • وأخذت قصصها تظهر في مجلة « أتلانتيك مانثلى » • ولما طلب اليها أن تكتب كتابا للفتيات رفضت في البداية ، ولكنها اضطرت آخر الأمر إلى العدول عن هذا الرفض لتلبى احتياجات أسرتها الملحة •• وهكذا صدرت « نساء صغيرات » ، سيرتها الذاتية واللوححة التي عكست سحر الحياة الأمريكية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر • وقد نشرت في عامى ١٨٦٨ و ١٨٦٩ وحققتم نجاحا كبيرا • وتعتبر هذه القصة من خير ما كتب للفتيات •

وفي عام ١٨٦٩ كتبت لويزا في مذكراتها : « لقد سددت كل ما على من ديون •• فحمدا لله •• والآن أعتقد أنى أستطيع أن أموت بسلام » •

وصدرت بعد « نساء صغيرات » كتب أخرى أودعتها مؤلفتها تجاربها المبكرة ، ففي عام ١٨٧٠ ظهرت « فتاة من الطراز القديم » ، وبين عامى ١٨٧٢ و ١٨٨٢ ظهرت « سلة العمة جو » في ستة مجلدات • وصدر عام ١٨٧١ « رجال صغار » ، وأخيرا « أبناء العمة جو » عام ١٨٨٦ ••

كما كتبت لويزا ألكوت قصصا طويلة جادة ، ففي ١٨٦٤ ظهرت لها قصة « أمزجة » الأثرية إلى قلبها وقصة « العمل » في ١٨٧٣

و « مفيسـتو فيلبس الحديث » التي صدرت في ١٨٧٧ ، وثلاثتها أقل نجاحا من سائر ما كتبته هذه المؤلفة الأمريكية ، فقد كتبت معظمها بسرعة وحين كانت لويـزا معتلة الصحة .

وفي أواخر حياتها ، وعلى الرغم من تخلصها من أعبائها المالية ، فقد أحزنها وفاة أختها اليزابث ( بث في قصة فتيات صغيرات ) ثم والدتها واختها الصغرى مى التي تركت لها ابنة صغيرة لتعنى بتربيتها .

وقررت لويـزا ، في هذا الجو الحزين ، أن تنشد الهدوء والراحة في بيت طبيبتها رودا لورنس حيث توفيت بالغة من العمر ست وخمسين سنة .

د . خليل صابات

## أمينة السعيد

— ولدت بالقاهرة سنة ١٩١٤ •

— تخرجت في قسم اللغة الانجليزية بكلية الآداب جامعة فؤاد الأول

سنة ١٩٣٥ •

— عملت محررة للصفحة النسائية الأسبوعية بجريدة « كوكب

الشرق » اليومية لبضع شهور من عام ١٩٣٤ ، وكانت لاتزال طالبة في

الجامعة •

— تركت جريدة « كوكب الشرق » لتعمل في مجلة « آخر ساعة »

لصاحبها ورئيس تحريرها محمد التابعي •

— انتقلت بعد ذلك الى دار الهلال حيث رأت مجلة « المصور »

أن تخصص صفحة نسائية أسبوعية أسندت تحريرها اليها •

— تولت رئاسة تحرير مجلة « حواء الجديدة » منذ أول صدورها —

وكانت شهرية — وذلك في ١٤ يناير ١٩٥٥ • واستمرت في هذا المنصب

بعد أن تحولت هذه المجلة الى أسبوعية •

— انتخبت وكيلة لنقابة الصحفيين سنة ١٩٥٩ •

— أصبحت عضوا في مجلس ادارة دار الهلال سنة ١٩٦٢ •

— تم تعيينها رئيسة لمجلس ادارة دار الهلال في ٢٩ مارس سنة

١٩٧٦ وبذا أصبحت أول سيدة تتولى منصب رئيس مجلس ادارة مؤسسة

صحفية •

- تكتب اليوم في « المصور » وفي « الشرقية » .
- وهي الآن عضو في مجلس الشورى وفي المجلس الأعلى للصحافة وفي المجالس القومية المتخصصة ، شعبة الإعلام .
- عرفت منذ شبابها بالدفاع عن حقوق المرأة وبصراحتها وشجاعتها وبأسلوبها السهل الممتنع .

## الفصل الأول

### لعبة الحجاج

كان عيد الميلاد قد قرب ، ولم يبق على الاحتفال به غير ليلة واحدة ، ولم يكن في شواهد الأمور ما يدل على أنه سيكون عيداً ممتعاً ، فاجتمع الأخوات الأربع حول الموقد يصطلين بنيرانه في وجوم •

قالت جو ، وهي مستلقية على البساط :

— لن يكون العيد عيداً بمعناه الصحيح ما لم تأتنا فيه الهدايا كالمعتاد •

قالت ميج ، وهي ترمق ثوبها العتيق بحسرة :

— ما أقسى الفقر !

وقالت أمى الصغيرة بصوت عامر بالألم :

— ليس من العدل أن ينال بعض الفتيات كثيراً ، ولا ينال غيرهن شيئاً على الإطلاق •

أجابت بث وفي صوتها آيات الرضا :

— وإكنا نحظى بأمننا وأبيننا ، وكذلك نحظى ببعضنا بعضاً ، وهذه نعم جزيلة •

فأشرقت الوجوه الأربعة التي ينعكس عليها لهيب الموقد ، ثم ما لبثت أن اغتمت ثانية عندما قالت جو في حزن :



— وهل حقيقة نحظى بصحبة أبنينا ؟ أنه بعيد عنا ، ولن يعود إلينا  
قبل وقت طويل •

ولم تقل انه قد لا يعود اليهن أبدا ، وان قالتها أخواتها في  
سراثرهن : وهن يذكرن ذلك الأب العزيز الحبيب الذى تركهن الى ميدان  
القتال •

وساد الصمت لحظة قصيرة ، ثم قالت ميج فى رنة جديدة :

— ولكننا نعرف لماذا ان تعطينا أمنا هدايا فى هذا العيد ،  
فسيكون الشتاء قاسيا على الناس كلهم ، وفى رأيها أنه ليس من الكياسة  
أن ننفق نقودنا فى متعنا ومسررتنا ، ورجالنا يقيسون الشدائد فى الحرب •  
اننا بعد صغيرات ، ولن نستطيع أن نساهم معهم بأدوار فعالة ، أفليس  
من واجبنا على الأقل أن نبذل هذه التضحية القافهة راضيات ؟ ولكنى  
است فى الحقيقة راضية بالتضحية تمام الرضا !

وهزت رأسها حزينة ، وهى تفكر فى مختلف الأشياء الجميلة التى  
تريدها •

فقالت جو ، وكانت مولعة بالقراءة :

— لن يضير رجالنا أن ننفق نقودنا القليلة فى شراء ما نحب ، فليس  
لدى احدانا أكثر من ريال ، وهو مبلغ ضئيل لن يستفيد به الجيش اذا  
نزلنا له عنه • أعرف أننى لن أحصل على هدية منكنّ أو من والدتى ،  
ولكنى أريد أن أشتري كتابا طال بى الشوق الى اقتنائه •

وقالت بث ، وقد ندت عنها تنهدة قصيرة :

— كنت أتمنى أن أشتري بنقودى كتابا جديدا فى الموسيقى •

وقالت آمى فى عزم :

— سوف أشتري علبة أقلام ملونة للرسم : لأننى فى أشد الحاجة إليها •

قالت جو بوقار :

— لم تذكر والدتنا شيئاً فيما يختص بنقودنا ، ولن يسرها أن نحرم أنفسنا على طول الخط ، فلقد تعبنا فى الحصول على هذه النقود ، وكسبناها بالعرق والجهد ، وأرى أن نشترى بها ما نريد ، وبذلك تتوافر لنا بعض المتعة •

قالت ميج فى تدمر :

— اننا بالفعل نتعب فى الحصول عليها ، والله يعلم أنها لا تأتينا سهلة هينة : أفلست أقتاضاها أجرا لتعليم أطفال مزعجين ، على أن الأزمهم طول اليوم ، ونفسى تتوق الى بعض الراحة فى البيت ؟ !

فقالت جو :

— عذابك لا يعدو نصف ما ألاقيه ، فأنا أخدم عـجـوزا نائرة المزاج ، لا تكف عن الشكوى : ولا تعطينى مهلة للراحة ، ولا يرضيها شىء مهما كان ، وتظل طوال اليوم ترعجنى بصخبها وضجيجها حتى ليخال إلى أن أفقر من النافذة ، أو أعرك أذنها مؤدبة •

ونظرت بث الى يديها الخشتين وقالت :

— ليس من حسن الأدب أن أشكو ، ولكنى أقوم بأثق مهمة فى هذه الدنيا : أغسل الصحون ، وأنظف البيت : وأنظم الرياض ، انه عمل بغيبض يضر بنعموة يـدى ويصلب أصابعى فلا أقوى على المران على الموسيقى كما أحب •

فصاحت آمی تقول ،

— ولكن عذابي يفوق كل عذاب ، فأنتن غير مجبرات مثلى على الذهاب الى المدرسة مع فتيات وقحات ، يعايرننى بجهلى ، ويضحكن من ملابسى ، ويسخرون من شكل أنفى ، ويشهرون بأبى لفقره وحاجته •

وابتسمت جو ، وقالت تصحح خطأ أختها :

— يشهرون به ، لا يشهرون ، فليس أبى بضاعة يعلن عنها !

أجابت آمی فى كبرياء :

— انى أعرف ما أقول ، فوفرى عليك مشقة السفسطة ، فليس أجمل من أن نستعمل ألفاظا نحوية تحسن معانى الكلام •

قالت ميج ، وقد عادت بها الذكرى الى أيام سعيدة خلت :

— اتركن الشجار أيتها الصغيرات ، فما منه فائدة ، وحديثنى يا جو : ألا تتمنين أن يسترد أبى ثروته التى فقدها ، لنهنأ ونسعد وترول متاعبنا كلها ؟

قالت بث :

— أما قلت يوما اننا أسعد حالا من أولاد الملوك ، لأنهم يتخاصمون ويتشامتون بالرغم من ثرائهم البطائل وجاههم العريض ؟

أجابت ميج :

— نعم قلت ذلك ، وما زلت أعتقد أننا أحسن حالا منهم ، فنحن نعيش فى جو سعيد ، واذا كنا نكد ونكدح فى طلب العيش ، فنحن الى جانب ذلك « شلة » مرحة على حد تعبير جو •

فاستاءت أمى لكلمة « ثلة » وعز عليها أن تستعين ميح في حديثها  
بألفاظ عامية ، فنظرت اليها عاتبة وقالت :

— لا يليق بك أن تقتبسى تعبيراتها ، فقد تعودت جو أن تستعمل  
ألفاظا دارجة في حديثها •

وانتصبت جو من رقدتها ، ووضعت يديها في جيبيها متحدية ، ثم  
بدأت تصفر بشفتيها لتغيظ أختها •

قالت لها أمى :

— أتصفرين أيضا كما يفعل الصبيان ؟

أجابت جو :

— بل أنا أصفر لأتسبه بهم !

قالت أمى :

— أنا أكره الفتيات الخشنات •

قالت جو :

— وأنا أكره الصغيرات المعرورات •

وكانت من عادة بث أن تنتشر السلام بين أخوتها ، فجعلت تغرد  
كالطيور ، وهى تقلب سحنتها في أشكال مضحكة ، وغرضها من ذلك أن  
تعيد المرح الى الجلسة •

قالت أمى في استنكار :

— ان الطيور على أشكالها تقع !!

وضحك الأخوات جميعهن لكلامها ، وانتهت المشادة عند هذا الحد مؤقتا ، فقالت ميج تتصح المتخاصمتين بلهجة الأخت الكبيرة العاقلة :

— كلتاكما فى الحقيقة أخطأت ، فأنت يا جوزفين قد كبرت على هذه الألعاب الصببانية . وحين الوقت لتحسنى سلوكك . لم تكن صببانيتك ترعجنى وأنت طفلة صغيرة ، وذكنتك ترعرت طولاً وعمراً ، وأصبحت تعقسين شعرك كما يفعل الشابات ، فليس أقل من أن تسلكى سلوك الشابة المهذبة .

ولما سمعت جو هذا الكلام من أختها : نزعت الشبكة الى تضمم شعرها ، وهزت رأسها ، فانسدلت خصلاته البنية على كتفبها ، ثم قالت غاضبة :

— لا ، لست شابة كما تقولين ، وإذا كان تصفيف شعرى بهذه الطريقة يجعلنى سيدة صغيرة ، فلن أتردد فى العودة الى ما مضى ، فأجدله فى صبفرتين حتى أبلغ العشرين من عمرى . انى أكره أن أصبح أنسة وقورة أعقص شعرى وأرتدى ملابس طويلة أنيقة ، وأحب شىء الى نفسى أن ألعب مع الصببان : وأفعل مثلما يفعلون . كفانى عذاباً أن خلقت فتاة ، وكفانى ألماً أن تضطرنى أنوثتى الى أن أطرز فى البيت كما لو كنت عجوزاً حببونا ، وقلبى يتوق الى خوض ميدان القتال مع أبى جنباً الى جنب !!

وهزت جو الجورب الذى كانت تصنعه لجنود الجيش هزة عنيفة ، فتصادمت الابر المعدنية فى رنين مسموع ، وتدرجت لفة الخيط على أرض الحجر .

قالت بث وهي تربت على رأس أختها الغاضبة بيدها الحنون :  
— مسكينة أنت يا جو ، كان يجب أن تولدى صبيا ، ولكن الأمر  
جاء بالعكس ، ومن المحال أن تغيرى جنسك ، فخير لك أن تقنعى بالاسم  
الصبيانى الذى ندلك به ، واعتبرى نفسك أختا لنا نحن الفتيات !!

وعادت ميج الى نصحتها السابق فقالت للغاضبة الثانية :

— أما أنت يا أمى فكل همك فى الحياة أن تتألقى وتتذمرى ، واذا  
لم تتداركى عيوبك هذه بالاصلاح ، فسوف يقال انك أوزة غبية تافهة .  
وأحب أن تعلمى أن أسأليك فى معاملة الناس لا تسجبنى ، وألفاظك  
النحوية المفتعلة ، لا تقل قبحا عن التعبيرات العامة التى تكثر منها .  
جو .

قالت بث وقد أعدت العدة لتتال نصيبتها من نصح أختها الكبيرة :

— عرفنا أن جو تقلد الصبيان ، وعرفنا أيضا أن أمى أوزة غبية  
تافهة ، فماذا أكون فى رأيك يا ترى ؟؟

قالت ميج بحرارة :

— أنت أخت عزيزة ، وستكونين كذلك دائما .

ولم تعترض واحدة من الأخريات على هذا الوصف ، لأن بث كانت  
حبيبة الأسرة كلها .

قد يلذ للقراء أن يعرفوا مزيدا من وصف شخصيات هذه القصة ،  
لذلك ننتهز هذه الفرصة ، فنرسم صورا واضحة للأخوات الأربع اللواتى  
جلسن يتناقشن حول الموقد ذات مساء ، وثلوج ديسمبر تتساقط فى سكون  
خارج انبيت .

كانت الغرفة التي يجلسن فيها ، رغم بساطة رياشها العتيق ، مريحة أنيقة ، تقوم على جوانبها رفوف خشبية مليئة بالكتب ، وجدرانها مزينة ببعض الصور ، وفي نوافذها أوان عامرة بزهرات الأتحيوان أضفت على المكان جوا من السكينة والجمال •

وكانت مارجريت - ميخ - كبرى الفتيات الأربع في السادسة عشرة من عمرها ، شقراء ممتلئة الجسم واسعة العينين : شعرها بنى غزير ، وفمها صغير عذب ، ويدها بضتان جميئتان • وكانت جوزيفين - جو - في الخامسة عشرة ، فارعة القامة نحيلة الجسم : أطرافها الطويلة تجعلها مثل مهر صغير ، وفمها الصارم ينم عن حزم شديد ، وأنفها على صغرة مضحك الشكل • وكانت لها عينان رماديتان ذكيتان تتقلبان حسب الظروف ، فأحيانا تكون نظراتهما غاضبة ، وأحيانا أخرى ضاحكة أو ساهمة • وكان أجمل ما فيها شعرا بنيا غزيرا ، ولكنها كانت تحرص على اخفاء جماله ، فتعقمه خلف رأسها ، وتغطيه بشبكة ضيقة الثقوب ، حتى لا تتساقط خصلاته على كتفها • وكانت على الدوام قليلة العناية بهندامها ، سريعة في حركاتها ولففاتها ، ومنظرها على العموم يوحي بأنها فتاة تسير في طريق النضج النسوى فتثور نفسها غضبا على هذا التغيير !

وكانت اليزابث - بث - في الثالثة عشرة من عمرها ناعمة الشعر متألقة العينين : في صوتها خفوت مستحب ، وفي خلقها نخجل وحياء ، وفي طبعها على العموم سكينة وسلام • وكان أبوها يسميها « الهادئة الصغيرة » فكان اسما على مسمى ، لأن تصرفاتها كلها كانت توحي بأنها تعيش سعيدة في عالم مستقل بها ، وأنها قانعة بعالمها هذا لا تخرج منه الا لمن تحبهم وتثق بهم •

أما أمى أصغر الفتيات . فقد كانت مثل دمىة بيضاء : قوامها نحيل ، وشعرها ذهبى وعيناها زرقاوان . وكانت كثيرة الاعتداد بنفسها ، حتى ليخيل اليها أنها أهم أفراد الأسرة كلها ، وكانت شديدة الرغبة فى أن تكبر سريعا ، وتصبح سيده ناضجة ، فكانت تتشبه بالكبيرات فى ملبسها ومظهرها وحديثها .

ونعود الآن الى القصة فنقول : انه عندما دقت الساعة سقا ، قامت بث الى الموقد فنظفت الأرض حوله ، ثم وضعت حذاء أمها على مقربة منه . وكان عملها هذا ايذانا بقرب عودة الأم الى البيت ، فعم الانشراح قلوب الجالسات ، وكفت ميج عن اسداء النصح لأخواتها ، وانشغلت عن ذلك بتقليب الحذاء على مقربة من النار حتى اذا عادت أمها وجدته دافئا .

قانت وهى تنتظر الى الحذاء :

— لقد أتى عليه الزمن ، ويجب أن يكون لأمى حذاء جديد .

قالت بث :

— كنت أفكر فى شراء حذاء جديد لها بالريال الذى أدخرته للعيد .

فصاحت أمى :

— بل أنا الذى سوف أستريه .

قالت ميج :

— ولكنى أكبركن سنا ، ومن حقى ...

ولكن جو قاطعتها فى حزم وقالت :

— ان يشتري الحذاء غيرى ، فقد أوصانى أبى بأمى قبل رحيله الى

الميدان ، وأحب أن أشعر فى غيابه ، أننى رجل الأسرة .



قالت بث :

— عندي فكرة طيبة ترضينا جميعا ، وهي أن نشترى بنقودنا هدايا لوالدتنا : بدل أن ننفقها في متعنا •

فقالت جو معجبة بالفكرة :

— هذا كلام جميل ، فماذا نشترى لها مثلا ؟

وجلس الأخوات الأربع يفكرن فيما يشترين • قالت ميج وهي تتأمل يديها البضتين الجميلتين :

— سوف أهديها قفازا جديدا •

وصاحت جو :

— وأنا أشتري الحذاء •

وقالت بث :

— وأنا أعطيها مناديل مطرزة •

وقالت أمي :

— إنها تحب ماء الكولونيا ، والرأى عندي أن أبتاع لها زجاجة رخيصة الثمن وبذلك يبقى لى جزء من الريال أشتري به شيئا لنفسي •

سألت ميج أخواتها :

— ولكن كيف نقدم لها هدايانا ؟

فأجابت جو :

— نضعها على المائدة في لفافات ، ثم ندعوها لتفتحها أمامنا ، ألم نكن نفعل ذلك في الأعياد الماضية ؟

قالت بث وهي تقعد الخبز على النار استعدادا لوجبة الشاي :

— كنا نفعّل ذلك ، وكانت تتنابى الرهبة عندما يحين دورى ،  
فتجلسنى على المقعد الكبير ثم تتقدمنى منى واحدة واحدة فتعطينى  
هداياكن : وتطبعن قبلا تكن على جبينى • وكنت أفرح بالهدايا وأغتب  
بالقبلات ، ثم تعود الرهبة فتتملكنى وأنا أفتح اللفافات لأرى ما فيها •

قالت جو وهي تذرّع الغرفة جيئة وذهابا :

— لا تطلعن أُمى على السر ، ودعنها تعتقد أننا سننقق نقودنا على  
أنفسنا ، ثم نفاجئها بالحقيقة فى حينها • أرى أن نشتري الهدايا من السوق  
مساء غد ، وهيا بنا الآن يا ميج نستذكر أدوارنا فى الرواية التى سنمثلها  
فى ليلة عيد الميلاد •

قالت ميج :

— هذه آخر مرة أمثل فيها معكن ، فقد كبرت ولم تعد ألعاب الصغار  
تلائمنى •

قالت جو :

— لن تهجرى التمثيل ما دمنا نعطيك فرصة تتبخرين فيها على  
المسرح بثوبك الأبيض وشعرك منسدك على كتفيك • ثم إنك أقدرنا على  
التمثيل فماذا نفعل من غيرك ؟

والتفتت الى أخواتها وقالت :

— هيا بنا نراجع أدوارنا ، ورجائى يا أُمى أن تتقنى الإغماء ، ففى  
آخر مرة سقطت على الأرض متصلة كما لو كنت لوحا من الخشب •

ولم تكن أُمى ذات مواهب تمثيلية ، ولكن الاختيار وقع عليها لأنها

صغيرة الحجم بحيث يسهل على بطن القصة أن يحملها ويخرج بها من المسرح دون عناء •

قالت آمى :

لا حيلة لى إذا ما أخفقت فى دورى ، فأنا لم أر فى حياتى أحدا يصاب بالإغماء ، ولا أحب أن أرمى بنفسى على الأرض كما تبتغين خشية أن أصاب برضوض وكدمات • أفضل أن أسقط بسهولة ، وأرتدى على المقعد فى رشاقة ودلال ، ولا يهمنى ما تقلن فى مواهبى بعد ذلك •

قالت جو :

— انظرى الىّ أعلمك كيف تحسنين دور الإغماء • أطبقتى كفيك هكذا ، وترنحى عبر الحجرة ، ثم اصرخى قائلة : أنقذنى يا رودريجو ! أنقذنى !

واندمجت جو فى تمثيل الدور ، وأطلقت صرخة مسرحية مدوية •

وبدأت آمى تقلدها ، ولكنها عادت الى تصنعها السابق ، فحركت يديها فى آلية شديدة ، وبدل أن تصرخ تأوهت كما لو كان دبوس قد وخزها •

وندت عن جو أنه يأس ، وضحكت ميج عاليا ، وانشغلت بث بالموقف الفكاهى عن مراقبة الخبز الذى تقدمه فاحترق فى النار •

قالت جو :

لا فائدة فى تعليمك التمثيل ، ومع ذلك أتوسل إليك أن تبذلى جهدا مضاعفا أثناء الحفلة ، والا ضحك المتفرجون منك ، وكنت وحدك الملوثة على سخريتهم بك •

وسارت التمثيلية في طريقها ، فنحنى « دون بيدرو » العالم بخطبة من صفحتين ، وغنت الساحرة « هاجار » أغنية مفزعة ، وهى ترقص أمام قدر ممتلئ بالديدان ، وحطم « رودريجو » أغلاله ، أما « هوجو » فقد قتله السم والألم والندم ، ومات وهو يئن عاليا .

قالت ميج التى كانت تقوم بدور الشرير الميت :

— هذه أحسن تجربة قمنا بها الى الآن .

قالت بث بإعجاب ظاهر :

— تدهشنى مهارتك فى تأليف هذه الروائع يا جو ، ويقينى أنك

لا تقلين عبقرية عن الشاعر شكسبير .

وكانت بث تقول ذلك عن إيمان صادق ، وتعتقد أن أخواتها

مهارات عبقریات .

قالت جو بتواضع :

— لست عبقرية كما تخنين ، وإن كنت قد وفقت فى تأليف « لعنة

الساحرة » ، وأظن أنها مأساة رائعة . ولكنى كنت أفضل أن نمثل رواية

« ماكبث » لأقوم بدور القاتل .

واختطفت من فوق المنضدة شيئاً ، ورفعته بيدها ، وقالت وهى

تقلد ممثلاً رأته على المسرح يؤدى دور « ماكبث » :

— أهذا خنجر أراه أمامى ؟

فصاحت ميج قائلة :

— لا ، إنها شوكة الخبز المقدد ، وعليها غذاء أمى !!

• وانتهت مراجعة التمثيل بعاصنة من الضحك .

وارتفع صوت من ناحية الباب يقول في عذوبة :

— يسعدنى أن أراكن فى مرح يا بناتى •

واتجهت أنظار البنات الى الباب ، حيث وقفت سيدة ممتلئة الجسم ، فى نظراتها أبلغ معانى الأمومة ، وفى ابتسامتها عطف وحنان • لم تكن جميلة جمالا يلفت النظر ، ولكنها كانت أجمل الجميلات فى نظر بناتها :  
• ولكن يعتقدن أن معطفها الرمادى العتيق يضم أعظم امرأة فى العالم كله •

قالت الأم :

— حدثنى كيف مضى اليوم بكن ؟ يؤسفى أن غبت عنكن طول النهار ، فقد اشتغلنا كثيرا فى إعداد الصناديق التى سترسل بالهدايا غدا الى الميدان ، فهل حضر أحد فى غيبتى يا بث ؟ وكيف حال الزكام يا ميج ؟ وأنت يا جو ، لماذا أراك تعب مجهد ؟

وبينما كانت مسر مارش تستطلع أحوال بناتها ، جعلت تضلع معطفها المبتل بالمطر ، واستبدلت حذاءها الرطب بالآخر الدافئ الذى كانت بث قد أعدته لها من قبل • فلما انتهت من كل هذا ، جلست على المقعد الكبير ، وأجلست أمى فوق حجرها ، وبذلك بدأت أجمل ساعات يومها ، وهى الساعات التى تقضيها مع بناتها الأربع •

والتف الفتيات حولها يهيئن لها أسباب الراحة ، فأحضرت جو وقودا للنار ، وجعلت ترتب المقاعد فتصطدم بها ، وتقلب كل ما تمسه يداها الخسنتان • وكانت بث تهزول جيئة وذهابا بين المطبخ وحجرة الجلوس •

أما أمى فقد سكنت الى حجر أمها مكتفية باصدار الأوامر  
لأخواتها •

ولما جلسن جميعهن حول مائدة الطعام ، قالت مسز مارش :

— سأخبركن بعد العشاء بنبأ سار •

وأشرقت وجوه البنات بالابتسام ، وصفقت بث بيديها ، وقد  
نسيت أنها تحمل كعكة ساخنة ، وقذفت جو بالمنشفة فى الهواء وهى  
تصيح :

— انه خطاب ... خطاب من أبى • اهتفن ثلاثا تحية له !

قالت مسز مارش وهى تلمس جبين ابنتها فى محبة وإعزاز :

— نعم ، إنه خطاب طويل ، ملئ بالأخبار ، يقول فيه إنه بخير  
ولا داعى لأن نخاف عليه من برد الشتاء • وهو يبعث إليكن بمزيد حبه  
ويتمنى لكن عيداً سعيداً •

وكانت جو فى لهفة على الانتهاء من طعامها ، فجعلت تتردد الشاى  
بسرعة ، وفى عجبتها هذه سقطت منها على البساط قطعة خبز مغطاة  
بالزبد • قالت تستحث أختها :

— أسرعى بالانتهاء من أكلك يا أمى ، وكفأك عبثاً بأصابعك ، فقد  
فتت الكعك فى صحنك •

وكفت بث عن الأكل بدورها ، وتسللت الى ركنها المعتم ريثما تستعد  
الأخريات للمتعة المقبلة • وقالت ميج فى حماسة وحرارة :

كان جميلاً من أبى أن يتزوج قسا ئى الجيش مادامت سنه المتقدمة  
لا تسمح له بأن يشترك فى القتال •

قالت جو في حزن :

— ليتنى كنت قارع طبل الجيش ، أو مجنّدة أو ممرضة فيه ، حتى  
أكون على مقربة من أبى فأساعده •

وتنهدت أمى وقالت :

— أنى أكره النوم فى الخيام ، ولا أحب أن أشرب الشاى فى أكواب  
من الصفيح •

وسألت بث أمها فى لهفة :

— متى يعود إلينا يا أماه ؟

قالت الأم :

— لن يعود قبل انقضاء شهور طويلة ، ما لم يمرض • وسوف يبقى  
ليؤدى واجبه المقدس ما دام قادرا على أدائه • لا يصح أن نطلب منه  
أن يعود قبل الوقت المحدد لانتهاء عمله •

والتأم الشمل حول الموقد : الأم تجلس فى مقعدها الكبير ، وبث  
عند قدميها ، وميج وأمى على جانبيها ، وجو تقف وراءها ، حتى لا ترى  
واحدة من أخواتها ما قد يرتسم على وجهها من انفعالات أثناء قراءة  
الخطاب •

وكان الخطاب خلوا من الفقرات المؤثرة التى اعتاد الآباء أن يضمنوها  
رسائلهم الى أهلهم فى تلك الأيام • ولم يكن فيه إلا القليل من أخبار  
المتاعب التى يتجشمها الرجال فى ميدان القتال ، والأخطار التى يتعرضون  
لها ، والحنين الذى يستبد بهم لأبنائهم وزوجاتهم ، ولكنه كان عامرا  
بالسرور والأمل ، بليغا فى وصف حياة المعسكر ، وطوابير الجنود ، وكان

ختامه فقط يزرخر بما في قلب كاتبه من حب أبوي وافر ، وشوق عظيم  
الى بيته وبناته •

كتب في نهاية الرسالة :

« بلغيهن عزيز حبي وقبلاتي ، وأخبريهن أنني أذكرهن بالنهار ،  
وأصلى من أجلهن بالليل ، وأجد في عطفهن الدائم راحة وعزاء • قد  
لا أراهن قبل وقت طويل ، فاطلبي إليهن أن يؤديين واجبهن كاملا ، حتى  
لا تضيع أيام الفراق هباء • وأنا واثق بأنهن لن يهملن نصيحتي ،  
وسيطعن رغبتى ، فيقمن بواجبهن مخلصات ، ويقاومن عوامل الشر في  
شجاعة ، وينتصرن على نزوات النفس أجمل انتصار ، حتى أعود إليهن  
وقد أزددت فخرا بنسائي الصغيرات » •

وانهمرت الدموع من العيون ، عندما وصلت الأم الى هذه الفقرة .  
ولم تخجل جو أن يرى أخواتها العبرات تتساب على وجنتيها ، ونسيت  
آمي اعتراضها بتصفيف شعرها ، فدفنت رأسها في صدر أمها ، وقالت :  
— أنا مخلوقة أنانية ! ولكنى سأعمل على إصلاح أخطائي ، حتى  
إذا عاد أبى لا يجد في سلوكي ما يحزنه أو يسيئه •

وصاحت ميج :

— سنفعل ذلك كلنا • فأنا أعنى بأناقتى أكثر مما ينبغي ، وأكره  
العمل وأفضل الراحة ، ولكنى سأبدأ من اليوم حياة جديدة طيبة •  
وقالت جو :

— سأحاول أن أترك خشونتى ، وأكون السيدة الصغيرة التى يريدتها  
أبى ، وأؤدى واجبي هنا بدل أن أضيع الوقت في تمنيات لا تتحقق •



ولم تتكلم بث ، بل جعلت في صمت تجففت دموعها في الجورب الأزرق الذي كانت تطرزه ، ثم عادت تطرز بقوة وحماسة ، كأنها تخشى أن تضيع وقتها دون عمل مفيد فتعصى رغبات أبيها •

وقطعت مسز مارش السكون الذي أعقب قراءة الرسالة ، وقالت بصوتها المرح الحنون :

— أتذكرن كيف كنا نلعب لعبة الحجاج وأنتن صغيرات ؟ كان أمتع ما في هذه اللعبة أن أحملكن أحمالا صغيرة على ظهوركن وأقول إنها المهموم : فتسرن بها كالحجاج من الطابق الأسفل الى أعلى البيت ، حيث تلقين عنكن بأحمالي المهموم تلك ، وتلعبن بعد ذلك خاليات البال متفائلات •

فقال جو :

— وكنا نحب هذه اللعبة حبًا جمًا ، ونتمتع كل المتعة في طريقنا الى أعلى البيت بالمعارك التي يبتكرها خيالنا مع الأسود والشياطين والجن ، في الصحارى والوديان ، وغرضنا أن نظهر قوتنا على قهر عوامل الشر ونزوات النفس ، لنصل الى قصر الأمانى حيث الحبة والسلام والوئام •

وقالت ميج :

— وكانت أحمال المهموم تسقط عن ظهورنا أحيانا وتتدحرج على السلم ، فنهبط إليها لنصعد بها من جديد •

وقالت بث وهي تبتسم للذكريات القديمة السعيدة :

— وكان أجمل ما فيها عندما نصل الى نهاية الرحلة حيث نتحرر من أحمال همومنا ، ونلعب فيما نتخيله حدائق مشرقة بالشمس عامرة بالزهور •

قالت أمى :

— لست أذكر من هذه اللعبة إلا ما كنت أشعر به من خوف شديد ونحن نسير في الظلام ! ثم غبطتى البالغة وأنا أجد الكعك واللبن في انتظارنا في الطابق العلوى • لیتنا نعود الى هذه اللعبة ، ولكننا كبرنا عليها فيما أعتقد •

وكانت أمى في الثانية عشرة من عمرها ، ولكنها كانت تتحدث بلهجة من بلغت منتهى الشباب ، ولم يعد يليق بها أن تشغل نفسها بالألعاب الصغار •

فقالت الأم :

— ما زلنا نستطيع أن نلعبها يا عزيزتى ، إنما بأسلوب جديد يناسبنا • فمتاعبنا ما زالت موجودة ، وبيدنا أن نصلح أمورنا ، وسلاحنا في الانتصار شوقنا الى بلوغ مرتبة السعادة والإيمان • هكذا نصل الى بر السلام • فما رأى في أن نبدأ لعبة الحجاج من جديد ، لا كعبة نلعبها ، ولكن كعقيدة نؤمن بها ونحمل رسالتها ، حتى إذا ما عاد أبوكن اغتبط بحسن أخلاقكن ونبل أهدافكن ؟

سألت أمى ، وكانت تميل بطبعها الى أخذ الكلمات بمعانيها الحرفية :

— حقيقة يا أمها ؟ ولكن أين أحمال همومنا ؟

فقالت أمها :

— لقد اعترفت كل واحدة منكن بعيوبها إلا بث ، فليس لديها ما يثقل ضميرها على ما أعتقد •

قالت بث :

— بل لدى كثير مما يثقل الضمير ، فأنا أكره غسل الصحون ،

وأمقت تنظيف البيت ، وأغار ممن تملك معزفا جميلا ، ثم هناك خجلى  
ونفورى من مقابلة الناس •

وكانت هموم بث في الواقع مضحكة ، ولكن أخواتها استمعن إليها  
في جد خشية أن يؤلن شعورها •

قالت ميج مفكرة :

— سنعمل باقتراحك يا أماه ، فما هو إلا وسيلة الى إصلاح  
النفس ، ولدينا رغبة صادقة في تقويم اعوجاجنا ، ولكن التنفيذ صعب ،  
فأحيانا نسهو عن أداء الواجب ، وأحيانا أخرى نؤديه بغير حماسة •

فقالت جو ، وقد أيقظ فيها الحديث شوقا الى أداء واجباتها كاملة :  
— لقد كنا نتردى في الخطأ ، فشاءت والدتنا برحمتها أن تهدينا  
سواء السبيل ، فأين كتاب النصائح الدينية لنسترشد به في سعينا الى  
الخير؟

أجابت مسز مارش قائلة :

— ابحتى تحت وسادتك صباح عيد الميلاد تجدين ما تريدين •

وظل الحديث يدور حول الاقتراح الجديد ، الى أن أنتهت الطاهية  
حنا من تنظيف المائدة ، فأخرجت كل فتاة سلة تطريزها الصغيرة وتسابقت  
الأنامل في إعداد ملاءة يقدمنها هدية لعمتهن مس مارش وكن يتبرمن فيما  
سبق بهذا النوع من التطريز ، ولكن واحدة منهن لم تظهر ضيقها به  
تلك الليلة • واقترحت جو أن يطلقن على كل ربع من أرباع الملاءة اسم  
قارة : غرب أوروبا ، وثن آسيا ، وثالث أفريقيا ، ورابع أمريكا • وأخذن  
بالاقتراح ، فسررن بالعمل مرحات ، وهن يقطن الوقت في الحديث  
عن البلاد المختلفة التي كانت تمر بها الإبر أثناء العمل •

وعندما بلغت الساعة التاسعة توقفت عن العمل ، ثم أنشدن أغنية  
اعتدن أن يختمن بها السهرة كل ليلة • وكانت بث ماهرة في العزف على  
البيانو ، قديرة على إخضاع أصابعه العتيقة للمساتها القديرة ، فعزفت  
لهن أنغاما تناسب الأغنية • وكانت أمى ذات صوت رخم ، أما جو فلم  
تكن تحسن الغناء ، فكان صوتها يرتفع أو ينخفض حيث لا يجب أن يرتفع  
أو ينخفض •

وكن قد تعلمن في طفولتهن أغنية :

« المع •• المع ••• أيها النجم الصغير »

واعتدن أن ينشدنها كل ليلة حتى كبرن ، وما زلن مخلصات لهذه  
العادة • وكانت أمهن جميلة الصوت ، يتردد غناؤها بين جدران البيت  
كل صباح كالكروان • وكما كن يستيقظن على نبراته الحنون كذلك كن  
ينمن على شدوه الجميل •

## الفصل الثانى

### عيد سعيد

استيقظت جو مع طلّاع فجر العيد ، ونظرت الى الموقد تبحث عن الجورب الذى اعتادت أن تتلقاه مليئا بالهدايا كل عام ، فلما لم تجده شعرت بحزن وكآبة ، ثم عادت فتذكرت ما وعدتها أمها به فى الليلة السابقة ، فدست يدها تحت الوسادة ، وأخرجت كتابا صغيرا ذا غلاف أحمر . وكانت تعرف أنه كتاب الحكم والعظات الدينية ، التى هى أقصر طريق الى السلام والإيمان ، ففرحت به كل الفرح ، وأسرعت الى أختها ميج توقظها ، وتغريها بالبحث عن هديتها . ودست ميج يدها تحت الوسادة ، وأخرجت بدورها كتابا أخضر اللون ، خطت عليه أمها إهداء لطيفا ضاعف قيمته فى نفسها ، وكذلك استيقظت بث وأمى ، وأخرجتا كتابيهما ، كان أحدهما رمادى اللون ، والآخر أزرق .

وعندما جلس الأخوات الأربع يتحدثن عن الكتب ويقلبن صفحاتها ، كان الأفق قد بدأ يكتسى بلون الورد ، مؤذنا بقرب ظهور الشمس .

وكانت مارجريت شديدة التدين ، بالرغم من غرورها اليسير ، وقد تأثر أخواتها بتدينها هذا ، خصوصا جو التى كانت تحبها حبا جما ، وتعمل دائما بنصحها وإرشادها .

قالت ميج لأخواتها بلهجة الجد :

— لقد كنا شديديات التدين ، حتى سافر أبى ، وغيرت الحرب مجرى حياتنا ، فأهملنا كثيرا من مبادئنا الطيبة . وأمى تحب لنا أن نقرأ هــذا

الكتاب ، ونعمل بهدى تعاليمه الكريمة ، فيصح أن نبدأ في الحال ، وسوف أترك كتابي قريبا من فراثي ، لأقرأ فيه كل صباح ، فأستمد من ذلك قوة على احتمال المشاق والصعاب •

وفتحت كتابها الجديد ، وشرعت تقرأ فيه ، فانحنيت جو عليها ، وأحاطتها بذراعها ، وألصقت خدها بخدها ، ثم جعلت تقرأ معها ، وقد علا وجهها ألقلق سيماء السكينة والهدوء •

وأخذت بث بروعة الموقف ، فهمست تقول :

— ما أجمل ميج في خشوعها •• هيا بنا يا أمي نقرأ مثلهما ، وسأساعدك بقدر إمكاني في تفسير الكلمات ، ونسألها إذا استعصى علينا الفهم •

قالت أمي :

— لقد أحسنت والدتي اختيار لون كتابي ، فأنا أحب الأزرق •

وساد السكون إلا عن صوت الصفحات وهي تتحرك بين أصابع البنات بين آن وآخر ، وتسللت أشعة الشمس الى الغرفة ، فأضاءت رعوس الجالسات ووجوههن ، كأنها تقرئهن تحية العيد •

وبعد مضي نصف ساعة ، هبطت ميج الدرج مع أختها جو ، لتشكرا والدتهما على هديتها الجميلة ولكنها لم تكن في البيت ، فلما استفسرتا عنها الطاهية حنا ، قالت لهما :

— الله أعلم أين ذهبت ، فقد جاءنا صبي صغير يطلب إحسانا ، فخرجت معه ، ولم تعد لأن • إنها ملك للرحمة ، ولا نبخل على سائل بطعام أو شراب أو كساء أو وقود •

وتطلعت ميج الى الهدايا التي اشترينها لوالدتهن ، وأخفينها عن  
أنظارها ، في سلة تحت الأريكة ، ثم قالت :

— أرجو أن لا تتأخر في العودة • ولكن أين زجاجة الكولونيا التي  
اشترتها أمي ؟ إنني لا أراها في النسلة •

وكانت جو قد انتعلت الحذاء الذي اشترته هدية لوالدتها وجعلت  
ترقص به في الغرفة ، وتدور حول نفسها ، بقصد أن تلين جوده  
اليابس قليلا • قالت تجيب أختها :

— رأيت أمي تحمل الزجاجة وتخرج بها منذ لحظة ، وأغلب الظن  
أنها ذهبت لتربطها بشريط جميل •

وقالت بث ، وهي تتأمل المناديل التي عانت مشقة كبيرة في تطريزها :  
— ما أجمل هديتي ! ألا توافقني على أنها بديعة ؟ لقد طرزت في  
أركانها اسم والدتي ، ثم تعهدتها حنا بالغسل والكي •

وأخذت جو منديلا منها ، لتفحصه عن قرب ، وقالت :

— باركك الله من طفلة طيبة ، لقد طرزت كلمة « ماما » ، والأصل  
أن يوضع الحرف الأول من الاسم فقط •

وانزعجت بث لغلطتها ، وقالت بقلق :

— لم أكن أعرف ذلك ، وما كنت أحب أن أخطيء ، ولكني خشيت  
أن تختلط هذه المناديل بمناديل ميج ، لتشابه الحروف ، وأنا لا أريد أن  
يستعملها أحد غير والدتي •

وتضايقت ميج لملاحظة جو التي أحزنت أختها الصغيرة ، وأرادت  
أن تزيل أثرها ، فقالت لبث مبتسمة :

— ليس هذا خطأ يا عزيزتى • ويسرنى أن كتبت « ماما » ، فإنها كلمة لطيفة ستغتيب لها والدتنا كل الأغباط •

وطرق آذانهم صوت إغلاق الباب ، وتبعه وقع أقدام فى الردهة ،  
فقالـت جو :

— رجعت والدتى ، فهيا بنا نسرع بإخفاء السلـة •

ولم تكن الداخلة هى الأم بل كانت أمى ، وكانت ترتدى معطفها  
وقبعتها ، مما يدل على أنها كانت خارج البيت ، فسألـتها ميج متعجبة :  
— أين كنت ، وماذا تخفين وراء ظهرك ؟

قالـت :

— كنت أستبدل الزجاجة الصغيرة بأخرى كبيرة ، ودفعت فى ذلك  
نقودى كلها ، ولكنى غير آسفة ، فإنها تجربة فى إنكار الذات •••  
لا تضحكى منى يا جو ! فقد كنت أحب أن يبقى الأمر سرا خافيا عنكن ،  
حتى يحين الوقت المناسب فتعرفن به •

وأرتهن الزجاجة الكبيرة الجميلة التى اشترتها بدل الأولى الصغيرة ،  
وتطلعت إليهن راضية ، وقد أضاء وجهها بعزيمتها للقوية التى قهرت  
بها أنانيتـها • وتأثرت ميج بما فعلته أختها : فضمتها الى صدرها ، كما  
امتدحتـها جو بكلمة طيبة ، أما بث فقد هرعت الى إصّ الزهور ، فاقتطفـت  
أجمل ورودها منه لترتين بها هديتها •

قالـت أمى :

— بعد أن قرأت جزءا من كتاب العظـات ، وفهمت كيف نكون  
بنات صالحات ، خجلت من نفسى ، وساءنى أن أبخل على أمى بنقودى



كلها ، فما أن استيقظت : حتى أسرع نى السوق المقريب أستبدل  
الزجاجة ، وأنا سعيدة بهديتى الجميلة •

وانصفق الباب مرة ثانية ، فأخفين السلة تحت الأريكة ، وجلسن  
حول المائدة استعدادا لتناول الإفطار •

وظهرت الأم فصاحت الفتيات يقلن فى صوت واحد :

— عيد سعيد يا أماه ، بل أعياد كثيرة سعيدة ، وشكرا لك على  
الكتب ، لقد قرأنا اليوم جزءا منها ، وسوف نفعل ذلك كل يوم •

قالت :

— عيد سعيد يا بناتى ، ويسرنى أن تحققن ما اتفقنا عليه ، وآمل  
أن تقرآن فى الكتب دواما ، ولكنى أود أحدثكن بأمر قبل أن نجلس الى  
مائدة الإفطار • فعلى مقربة منا تسكن امرأة فقيرة اسمها مسز هامل  
ولديها طفل حديث الولادة بالإضافة الى ستة أطفال آخرين ، وقد جاءنى  
أكبرهم منذ لحظة يشكو الى ما يقاسون من جوع وبرد ، فذهبت معه  
لزيارتهم فوجدتهم يرقدون جميعا فى فراش واحد ، وليس لديهم نار تدفئهم  
ولا طعام يشبعهم • فما الرأى فى أن نعطيهم إفطارنا هذا هدية منا  
بمناسبة العيد ؟

وكان الجوع قد استبد بالفتيات ، بعد أن تأخرن عن تناول الإفطار ،  
طوال الساعة التى انقضت فى انتظار عودة الأم ، فخيم عليهن الصمت  
لحظة قضيرة فقط ، قالت بعدها جو ، وهى تنهض من مقعدها مسرعة :

— من حسن الحظ أننا لم نفطر بعد •

( م ٣ — نساء صغيرات )

وقالت بث بلهفة :

— أسمحين لى أن أذهب معك لأساعدك فى حمل الطعام الى أولئك  
الأطفال الفقراء ؟

وقالت آمى ، وقد لذلها أن تنزل عن أحب الأطعمة إليها :  
— وأنا أحمل الفطائر والقشدة •

وكانت ميج قد شرعت فى تغطية الصحن ، بعد أن جمعت الخبز  
فى وعاء كبير ، فقالت مسز مارش وهى تبتسم فى رضا واغتباط :

— كنت أعلم أن الفكرة ستلقى منكن ترحيبا ، فهيا بنا نحمل الطعام  
الى الأسرة الفقيرة • وعندما نعود ، نفطر بخبز وحليب ، ونعوض النقص  
فى وجبة العشاء •

وسرعان ما حمل البنات طعام الإفطار ، وخرجن به مع أمهن الى  
الطريق فى موكب كبير ، ولحسن الحظ كانت الساعة مبكرة ، فلم يلفت  
موكبهن أنظار الناس •

وبلغن البيت المنشود ، وكانت الأسرة الفقيرة تسكن حجرة عارية  
عن الرياش والأثاث ، يشيع الفقر فى جنباتها ، وتخيم عليها مظاهر  
البؤس والشقاء • وكانت نافذتها محطمة ، وليس بها موقد يخفف من  
وطأة البرد ، وفى ركن منها سرير عتيق ، ترقد عليه امرأة مريضة سقيمة ،  
بجوارها رضيع يبكى بإلحاح ، ومن حوله ستة أطفال جياع يلوذون  
بغطاء واحد مهلهل ، عسى أن يحميهم من البرد •

وما إن شاهد الصغار الجياع الفتيات يدخلن بالطعام ، حتى علت

شفاهم الزرقاء بسمات واهنة • وصاحت المريضة فرحا ، وقالت بلكنة ألمانية :

— شكرا لك يا إلهي ، فقد جاءت ملائكة الرحمة •

قالت جو تداعبها :

— ملائكة من نوع فريد يرتدين المعاطف والقبعات •

ولم تضى دقائق معدودات إلا وقد تغير الحال : فقد أشعلت الطاهية حنا موقد التدفئة بالوقود الذي أحضرته من البيت ، كما سدت فتحات النافذة المحطمة بقطع من القماش لتمنع تسرب البرد • وسقت مسز مارش الأم المريضة قدحا من الشاي الساخن وأعقبته ببعض الحساء ، ثم لفت الرضيع بأغطية سميكة بجوار أمه في حنان بالغ • أما البنات فقد هيأن المائدة وزينها بالمأكولات الشهية التي أحضرنها ، وأجلسن الأطفال حولها ، وأطعنهم بعناية وعطف ، وهن يداعبنهم ويصغفن ضاحكات الى رطانتهم الألمانية ولغتهم الإنجليزية الركيكة •

وأقبل الأطفال على الأطعمة الشهية يأكلون منها ويهتفون فرحا :  
— هذا جميل ، يا ملائكة الرحمة •

ولم يكن أحد قد وصفهن بالملائكة من قبل ، فارتاحت نفوسهن لهذه التسمية ، خصوصا جو العفريقة ، التي كانت منذ صغرها أبعد ما تكون شباها بالملائكة • وعندما انتهى الإفطار على ما يرام ، خرج الفتيات الأربع وليس في الدنيا أسعد منهن • وكن يعلمن أنه ليس بالبيت غير خبز وحليب ، وقد اعتدن أن يتناولن في العيد وجبة فاخرة ، ولكن الحرمان زادهن فخرا بقدرتهن على التضحية وإنكار الذات •

وشرين الحليب راضيات ، وأكلن الخبز مغتبطات ، ثم قالت ميج :  
هذا ما أوصى به الدين من رعاية الجار ، وإنها حقا وصية جميلة .

وصعدت مسز مارش الى الطابق العلوى تجمع بعض الثياب القديمة  
لأسرة مسز هامل الفقيرة ، فأخرج الفتيات هداياهن ، ووضعنها على  
المائدة . ولم تكن الهدايا في حد ذاتها أشياء مذكورة ، ولكن منظرها بدا  
جميلا وهى مرصوفة حول آنية الزهور العامرة بالأقحوان الأبيض  
والورود الحمراء .

وصاحت جو وهى تقفز فرحا حول المائدة :

— ها هى ذى قادمة ، فاستعدى يا بث ، وافتحى الباب يا أمى .  
اهتمن ثلاثا تحية لأمنا .

ذهبت ميج الى الباب ، وعادت تقود والدتها الى كرسى الصدارة ،  
وعزقت أمى أنعاما موسيقية بهيجة ، فتأثرت مسز مارش لحنان بناتها ،  
وأزداد تأثيرها حتى اغرورقت عيناها بالدموع عند ما رأت لفائف الهدايا  
وعليها عبارات الإهداء . وارتدت الحذاء لفورها ، ودست فى جيبيها أحد  
مناديل بث بعد أن عطرتة من زجاجة أمى وشبكت الموردة الحمراء  
فوق صدرها ، ثم جربت القفاز ، وامتدحت لونه وطرازه .

وترددت الضحكات فى جنبات الغرفة ، وتبدلت القبلات ، وقص  
البنات على أمهن كيف اشترين الهدايا فى ذلك المسرح البرىء الخالص  
الذى يجعل من الأعياد أياما خالدة فى عمر الإنسان .

ووانقضت لحظات اللهو وأن أوان الجد ، فعاد أفراد الأسرة  
الى العمل استعدادا لحفل المساء .

وكان الأخوات الأربع يهوين التمثيل الى حد الشغف ، ولم يكن  
يسمح لهن بالتردد على المسرح لصغر سنهن ، وكانت مواردهن المالية

لا تجيز الإصراف في إعداد تمثيلياتهن الخاصة ، ولكنهن تغلبن على المشكلة بغير عناء ، ونجحن في تحقيق هوايتهن بأقل نفقات ممكنة : فصنعن من ألواح العجين قيثارات مسرحية ، وحولن غلب الزبد الفارغة الى مصابيح منقوشة ، وجعلن من ملاءات الفرش ملابس فخمة طرزنها بقطع معدنية براققة ، أما الصفائح القديمة فقد أخرجن منها دروعا وزردا للفرسان • وقلبن قطع الأثاث رأسا على عقب ، لبناء المسرح المطلوب ، فضربت الفوضى أطناها في الغرفة استعدادا لتمثيلية المساء •

ولم يكن مسموحا للشبان بالاشتراك مع البنات في التمثيل ، فعهد الى جو بأدوار الرجال ، وكانت تحب أداء هذه الأدوار ، فترتدى في كل تمثيلية ذات الملابس : عباءة لها ذيل طويل ، وسيف قصير يتدلى من حزام ، وزوج من الأحذية المسرحية كانت قد أهدته إياها صديقة تعرف بعض الممثلين •

ولما كان عدد الأخوات محدودا وأشخاص التمثيلية عديدين ، فقد استدعى الأمر أن تقوم الأختان الكبيرتان بأكثر من دور واحد في الرواية • وكان جهدا شاقا يقتضى منهما حفظ أدوار مختلفة ، مع سرعة في تغيير الملابس ، وعجلة في تبديل المناظر ، ولكنه كان جهدا مفيدا يقوى ذاكرتهما من ناحية ، ومن ناحية أخرى يستنفد أوقات فراغهما في تسلية بريئة ، لولاها لانقضت بهن هذه الأوقات في كسل ووحدة •

وفي ليلة العيد حضر المدعووات ، وكن اثنتى عشرة فتاة ، تراحمن فوق السرير الذى يقوم مقام قاعة العرض ، وجلسن أمام الستار الملون بالأزرق والأبيض ، يترقبن بدء التمثيلية في شوق وحماسة ومن وراء الستار كانت تتعالى بعض الهمسات ، وبين آونة وأخرى تسمع ضحكة مكبوتة من أمى ، التى استبد بها انفعال لقرب الساعة الحاسمة • وما لبث أن دق الجرس ، وانفجرت الستائر ، مؤذنة ببداية التمثيل •

وكان أول منظر يمثل « الغابة الحزينة » ، وقد بذل الأخوات جهدا مذكورا في إخراج هذا المنظر ، ففرشن أرض المسرح ببساط صوفي أخضر ، انتشرت فوقه شجيرات في أصص فخارية وراءها كهف صنع من منضدتين تغطيهما قطعة من اللباد • وكان في داخل الكهف موقد مشتعل ، عليه قدر أسود ، انحنت فوقه ساحرة عجوز • وكان البخار يتصاعد من القدر ، والظلام يسود الكهف ، ونيران الموقد تعكس أضواءها على المسرح ، فتكسب المنظر لونا من الحقيقة •

ومضت برهة ، ثم دخل الشرير « هوجو » بسيفه المصلصل ، وقبعته الرخوة ، ولحيته السوداء ، وكان يرتدى عباءة غريبة الشكل فضفاضة ، وفي قدميه حذاء جلدي طويل • وبعد أن قطع خشبة المسرح جيئة وذهابا في قاق وثورة ، ضرب جبينه بكفه ، وراح ينشد قطعة خشنة يصف فيها بغضه «لرودريجو» وحبه «لزارا» ، ويروي كيف أعد العدة لقتل غريمه ، حتى يحظى بمن يحب • وكانت العاطفة تغلب « هوجو » أحيانا ، فينقلب صوته الخشن الى صياح قوى مؤثر ، نال إعجاب النظارة ، فقابلوه بعاصفة من التصفيق •

وانحنى « هوجو » يرد التحية في حركة طبيعية تدل على الاعتداد بالنفس ، ثم انسل الى الكهف ، وهو ينادى الساحرة قائلا :

— تعالى أيتها الصغيرة ، فاني محتاج اليك •

وخرجت اليه ميج ، وقد غطت وجهها بشعر أشيب مشعث ، وارتدت ثوبا أسود ، عليه عباءة منقوشة برموز غامضة • وطلب اليها هوجو أن تعد له اكسيرا يجتذب حبيبته ، وسما يقتل غريمه ، فأجابته بقطعة غنائية مؤثرة تعده فيها بما يريد ، ثم شرعت تنادى الروح انذى سوف يعينها على اعداد اكسير الحب قائلة :

- « تعالى ••• تعالى ••• أيها الروح الأثيرى »
- « آمرك أن تأتي من عشك البعيد »
- « يا من ولدت من ورود ، واقتت بالندى الرطيب »
- « تعالى ••• تعالى ••• فى سرعة الجن »
- « تعالى ••• واعطنى شراب الحب الجميل »
- « واجعله حلوا سريعا قهورا »
- « أيها الروح انى أغنى ، فهل من مجيب ؟ »

وعلت أنغام موسيقية خافتة ، وظهر من وراء الكهف شبح صغير يلتف فى رداء أبيض شفاف ، شعره يلمع ، وأجنحته من الذهب ، وفوق رأسه إكليل من الورد • ولوح الشبح بعضا قصيرة ، وجعل يغمى ويقول :

« جئتك يا من تنادىنى  
من مسكنى فوق الرياح  
وراء القمر الفضى البعيد  
جئتك أحمل فنى وسحرى  
فى شراب ذهبى عجيب  
فاسقه الحبيبة ولا تبطىء  
واحذر أثره أن يزول »

وألقى الروح تحت أقدام الساحرة زجاجة ذهبية صغيرة ، ثم اختفى وراء الكواليس •

وعادت الساحرة « هاجار » تغنى في طلب روح شرير يعينها على اعداد السم ، وما ان انتهت من أغنييتها حتى ظهر على المسرح شيطان أسود دميم ، وغنى في صوت كنفقيق الضفادع ، ثم ألقى الى « هوجو » زجاجة سوداء ، ولم يلبث أن اختفى وهو يضحك ساخرا . والتقط هوجر الزجاجتين راضيا وأخفاهما في عنق حذائه الجلدى ، وشكر للساحرة صنيعها ، واختفى بدورة وراء الكواليس .

وواجهت « هاجار » النظارة ، وجعلت تصف بغضها « لهوجو » الذى سبق أن قتل أصدقاء لها ، ولذلك فهي تلعنه من ضميم قلبها ، وتتوى أن تفسد تدبيره ، ولن تيسكت حتى تنتقم منه شر انتقام .

وأسدل الستار ، وجلس المدعوات يسترحن ، ويتسلن بتناول الحلوى والمرطبات ، ويتناقشن فى ما رأينه من محاسن التمثيلية الرائعة .

وفى خلال فترة الاستراحة ، تعالت من وراء الستار أصوات المطارق ، ولكن ما ان انفرجت هذه الستائر مرة أخرى ، حتى أيقن المدعوات أنهن أمام فصل آخر ، لا يقل عظمة عن سابقه : فقد ظهر فى وسط المسرح برج مرتفع ، تكاد قمته تصل الى السقف ، وفى منتصفه نافذة بها مصباح مشتعل ، ومن ورائه ظهرت « زارا » ترتدى ثوبا فضيا ، وترقب الطريق قلقة فى انتظار حبيبها « رودريجو » .

وجاء « رودريجو » فى حلة فاخرة ، وعلى رأسه قبعة من الريش ، ومن كتفيه تتدلى عباءة حمراء . وكانت خصلات شعره الكستنائى تتهدل على كتفيه ، وكان يحمل قيثاره فى يده ويلبس الحذاء الجلدى الأحمر المعهود . ركع الفتى أمام نافذة البرج ، وجعل ينشد أغنية عامرة بمعانى الحب ، وأجابته « زارا » مغنية ، واستمر الحوار



الموسيقى بينهما حتى أقنعتها أن تفر معه • وهنا ظهرت قوة الاخراج الفنى ، فقد سحب « رودريجو » من ثنايا عبايته سلما من الخيال به خمس درجات ، وألقى أحد طرفيه الى « زارا » يدعوها الى النزول • وخفت اليه من نافذتها فى استحياء ، ثم استندت بيدها الى كتفه قبل أن تقفز الى الأرض برشاقة ، ولكن مأساة غير متوقعة حدثت فى تلك اللحظة ، فقد استبك ذيل « زارا » بالنافذة فلما قفزت الى الأرض ، اهتز البرج العالى ، وسقط من عليائه مهشما فوق العاشقين ! !

وصرخ المثلث والمدعوات على السواء ، وازداد صراخهن شدة عندما رأى قديمى « رودريجو » ترقصان من تحت الأنقاض فى عيف ونسييت أمى أنها على المسرح فأطلت برأسها تؤنب جو الراقدة تحت الحطام المهدم وتقول لها :

— لقد حذرتك من هذا البرج فلم تستمعى اليّ •

ولكن ذكاء احداهن أنقذ الموقف ، فقد خرج الى المسرح « دون بيدرو » ، الحاكم القاسى ، وأسرع الى ابنته يسحبها من تحت الأنقاض ، ويهمس فى أذنها :

— لا تضحكى ، واستمرى فى أداء دورك ، كأن شيئا لم يحدث •

والتفت الى « رودريجو » بأمره بالنهوض ، ثم أتبه ، وطيرده من مملكته مهددا • ولكن « رودريجو » ، رغم ما أصابه بسقوط البرج عليه ، عصى أمر الحاكم ، ورفض أن يترك مكانه ، وأثارت شجاعته حماسة « زارا » فأعلنت عصيانها أوامر أبيها ، فغضب الأب وأمر أن يكبل الاثنان بالقيود فى قبو قلعته •

ودخلت بث في ثياب أحد جنود « دون بيدرو » تحمل القيود الحديدية ، وقادت الاثنين أمامها الى السجن ، ولكن الخوف كان باديا عليها ، حتى أنها نسيت أن تقول عبارات الدور الذي تؤديه .

وكان الفصل الثالث يمثل بهو القلعة . فظهرت الساحره « هاجار » وكانت قد جاءت الى القلعة ، لتتقذا الحبيين ، وتنزل انتقامهما « بهوجو » وسمعت وقع اقدامه يقترب منها ، فاخفتت في جانب من المسرح . ودخل الشرير « هوجو » يحمل الزجاجتين ، وصب محتوياتهما في كأس شراب ، وأمر الخادم أن يحملهما الى المسجونين ، وينتحي الخادم جانبا « بهوجو » ليسر اليه بكلمات خافتة ، فتخرج الساحره « هاجار » خلصة ، وتستبدل الكأسين بكأسين آخرين ليس فيها ما يضر ، ثم يعود الخادم فيحمل الكأسين وينصرف بهما الى القبو . وتحين لحظة الانتقام ، فتترك « هاجار » الكأس العامرة بالسم في متناول يد « هوجو » ، ويكون الشرير في هذه الآونة مشغولا عن الساحرة بالقاء مقطوعة غنائية ، وعندما ينتهي منها ، يستبد به العطش ، فيتناول الكأس المسمومة . ويجرع ما فيها بلهفة . ويسرى السم في بدنه فيتلوى ويتأوه ، ولا يلبث أن يسقط على الأرض صريعا ، فتخرج اليه « هاجار » من مخبئها وتحدثه بما فعلته به انتقاما لأصدقائها .

وكان المنظر قويا بحق ؛ رغم الأخطاء البسيطة التي تخللته ، فصفق النظارة طويلا ، وألحوا في تحية البطلين ، حتى ظهر « هوجو » وهاجار » ، وردا تحية الجمهور بانحناءة لطيفة .

وارتفع الستار عن الفصل الرابع من الرواية ، فظهر « رودريجو » يائسا بعد أن خدعوه ، فأوهموه أن « زارا » قد هجرته ، وبلغ به اليأس أن استل خنجره ، ليقتل به نفسه ، وقبل أن يصل النصل

الى صدره ، يسمع غناء شجيا يفهم منه أن « زارا » ما زالت مبقية على عهده ، وأنها في خطر جسيم ، لن ينقذها منه سواه ، ويلقى صاحب الغناء اليه بمفتاح السجن • وتظهر الحقيقة لرودريجو ، ويمنحه الخوف على حياة حبيبته قوة مضاعفة ، فيتمطى في حركة هرقلية ، تتحطم على أثرها أغلاله ، فيخرج من السجن حرا طليقا •

ويحوى الفصل الأخير مشهدا عنيفا بين « زارا » وأبيها « دون بيدرو » فهو يريد لها أن تذهب الى الدير ، وهي ترفض باكية مستعطفة حتى تكاد تسقط مغشيا عليها ، وعندئذ يقتحم رودريجو المشهد ، ويطلب يدها من أبيها ، فيرفض « دون بيدرو » أن يزوج ابنته بفقر مثل • وتحتد المناقشة بينهما بلا جدوى • ثم تشاء الأقدار أن تسعد الحبيب الفقير ، فيدخل الخادم « فرندو » يحمل رسالة وكيسا ، بعثت بهما الساحرة « هاجار » • ويعلم « رودريجو » من الخادم أن « هاجار » تركت له ولحبيبته ثروة طائلة ، وأنها تتهدد « دون بيدرو » بشر مستطير ، اذا هو لم يوافق على زواجهما • ويفتح « رودريجو » الكيس فيتساقط منه على أرض المسرح سيل من الذهب البراق يغتبط به « دون بيدرو » فيرجع عن عناده ، ويرحب بالفتى زوجا لابنته • ويشترك الممثلون جميعا في أغنية مرحة ، ينسدل على أثرها الستار و « دون بيدرو » يبارك الحبيين في عطف وحنان •

وهبت عاصفة من التصفيق ، ولكنها انقطعت فجأة ، فقد تداعى السرير الذي يجلس عليه النظارة بمن فوقه ، وشغلن الصراخ عن سابق اعجابهن بالرواية ، وأسرع « دون بيدرو » و « رودريجو » لانتقاذ المدعوات من تحت السرير ، وقد كدن يفقدن النطق لكثرة الضحك •

وعندما هدأت الأنفاس وخف الانفعال ، دخلت الطاهية حنا تحمل الى الموجودات تحيات مسز مارش ، وتدعوهن بأسمها لتناول العشاء •

وكانت المائدة مفاجأة ابنت مارش الأربع ، فتطلعن اليها في دهشة بالغة ، وقد رأين ما حوت من اذاذ تفوق في كثرتها وتنوعها ما اعتدن عليه أيام الرخاء : كان عليها صحنان كبيران مليئان بالمثلجات البيضاء والوردية ، وحولهما انتثرت أطباق الفطائر والكعك والحلوى على مختلف أشكالها ، فضلا عن أربع باقات من الزهور النادرة •

واحتبست الأنفاس في صدورهن لقرط العجب ، وانتقلت أنظارهن في تساؤل بين المائدة الفاخرة وبين وجه الأم الباسمة في غبطة وأنشراح •

قالت آمی :

— يا للمعجزة !

وقالت بث :

— انه سفتا كلوز !

وابتسمت ميج ابتسامة عذبة وقالت :

— انها هدية والدتي •

فصاحت جو كأنما هبط عليها الوحي فجأة :

— بل هدية عمنا مارش ، وأعتقد أنها أصيبت بنوبة من الحنان ،

فأرسلت الينا هذا العشاء !

فقال مسز مارش :

— لم تصب واحدة منكن في حدسها ، فهذه هدية مستر لورنس

العجوز •

قالت ميج في عجب :

— جـد لورنس الصغير ؟ ترى ما الذى دفعه الى ذلك ، ولسنا

على معرفة به ؟

قالت مسز مارش :

— يبدو أن حنا حدثت خادما له بقصة تنازلكن عن افطاركن لمسز

هامل الفقيرة ، فنقل الخادم القصة الى سيده • وقد سر مستر لورنس

لصنيعكن ، فبعث لى بعد ظهر اليوم رسالة يستأذنى فيها أن أسمح

له بالتعبير عن بعض عواطفه الودية نحوكن ، فأقبل منه الأطعمة الشهية

تكريما لهذا اليوم • ولم يطاوعنى قلبى على الرفض ، لأنه كان صديقا

لأبى فيما مضى من الأيام • هذا سر الوليمة ، ولعل فيها أعظم تعويض

عن خبز الصباح وحليبه •

وبينما كانت صحاف الحلوى تدور على البنات وضعيفاتهن ،

والمثلجات تختفى تدريجا فى الأفواه الصغيرة النهمة ، قلت جو :

— أنا واثقة من أنها فكرة الصبى أقنع جده بها • انه صبى ممتاز

وان كان شديد الخجل ، ويا حبذا لو تعرفنا به ، واتخذنا منه صديقا

لنا ، وطالما شعرت بأنه يتوق بالمثل الى صداقتنا ، ولولا تزم ميج لكنت

بإدلته الحديث منذ زمن طويل ، ولكنها كانت تمنعنى من ذلك ، وتذكرنى

دائما بدواعى العرف والتقاليد •

سألت احدى الفتيات قائلة :

— أتتحدثين عن أولئك القوم الذين يسكنون البيت الكبير المجاور لكم ؟ ان والدتى تعرف مستر لورنس العجوز ، ولكنها تقول انه متكبر يكره الاختلاط بجيرانه ، وله أساليب عجبية فى تربية حفيده الوحيد ، فهو يمنع من الخروج إلا على صهوة جواده ، أو فى رفقة مربيه ، كما أنه يفرض عليه العلم وأندرس فرضا ، ويعمل جهده على ابعاده عن أترابه من البنين والبنات • وأذكر أننا دعونا مرة الى وليمة أقمنها ببينتنا ، ولكنه لم يحضر •

قالت جو فى عزم :

— انه صبى مهذب ، وقد هربت قطتنا يوما الى حديقته ، فأحضرها لى ، وتبادلنا الحديث عبر السياج ، وكان حديثا شيقا عن الألعاب الرياضية ، ولكن ميج أقبلت فجأة ، فانصرف عنى مسرعا • انى أعطف عليه وأود من صميم قلبى أن أتعرف به ، وأعتقد أنه فى أشد الحاجة الى أصدقاء يؤمنون وحدته ويذهبون وحشته •

قالت مسز مارش :

— وأنا أراه مهذبا كريم الأخلاق ، ولا مانع عندى من أن تتعرفن به فى أول فرصة مواتية ، فلقد جاء بنفسه يحمل باقات الزهور ، ولمست فيه ميلا الى قضاء السهرة معنا ، وكنت أود أن أستبقيه ، ولكنى لم أكن أدرى ماذا تفعلن فى الطابق الأعلى على وجه التحقيق •

فضحكت جو وهى تنظر الى حذائها الطويل ، وقالت :

— حسنا صنعت يا أماه ، فتمثيلية الليلة لم تكن على ما ينبغى ،

ولكننا قد نقوم قريبا بتمثيل رواية أخرى أفضل من هذه ، فندعوها اليها ، وربما أشركناه معنا في تمثيلها •

قالت ميج وهي تتأمل باقة الزهور معجبة :

— انها أول مرة تأتيني فيها زهور نادرة كهذه •

فقالت مسز مارش وهي تشم الوردة الذابلة التي أعطتها إياها بث

في الصباح :

— ان زهور مستر لورنس جميلة ، ولكن وردة بث أجمل

وأبدع •

فنهضت بث الى أمها تشكرها وقالت تهمس في أذنها :

— ليتنى أستطيع أن أبعث بزهورى الى أبى ، فلست أظن أنه

يقضى في الميدان عيدا سعيدا كالذى نستمتع اليوم به •

## الفصل الثالث

### لورنس الصغير

وقفت ميج عند أسفل السلم تنادى :

— جو ••• جو ••• أين أنت ؟

أجابت جو من الطابق العلوى :

— هنا •

وصعدت ميج السلم جريا ، فوجدت أختها تقبع في ركن من الأريكة العتيقة ، ذات الأرجل الثلاث ، وهى تأكل تفاحة ، وقد اغرورقت عينها بالدموع لفرط تأثرها بالقصة المحزنة التى تقرأها • وكان هذا الركن ملاذ جو المفضل ، كلما أعوزها الهدوء هرعت اليه ومعها بضع تفاحات وكتاب لطيف ، فتقضى فيه الوقت وحيدة ، لا أنيس لها إلا « سكرابل » ، ذلك الفأر الأليف ، الذى اتخذ له حجرا بالقرب من الأريكة ، واعتاد أن يسكن الى جو ، فيطوف حولها في غير حرج • وما ان ظهرت ميج حتى أسرع الفأر هاربا الى حجره ، ومسحت جو دموعها ، والتفتت الى أختها مستفسرة •

قالت ميج وهى تلوح بورقة في يدها :

— هاك بطاقة رسمية بعثت بها الينا مسز جاردنر تدعونا فيها الى

وليمنتها مساء غد ••• أنظري ! •

وشرعت تقرأ الدعوة في مرح وحماسة :

— « يسر مسز جاردنر أن تتشرف بدعوة الأناستين مارجريريت



وجوزقين مارش الى حضور المرقص الذى تقيمه احتفالا بليلة رأس السنة الجديدة » ... والدتى لا تمنع فى ذهابنا ... خبرينى ماذا ترتدين غدا ؟

أجابت جو وفمها محشو بالفتحاح :

— كيف تسأليننى وأنت تعلمين جيدا أنه ليس لدينا سوى ثوبينا البوبلين ؟

فتنهدت ميج وقالت :

— ليتنى أملك ثوبا من الحرير • ولكن هيهات فوالدتى لا تريد أن أبس الحرير قبل أن أبلغ الثامنة عشرة من عمرى ، ومازال أمامى عامان طويلان حتى أبلغ السن الموعودة • قالت جو :

— البوبلين لا يقل جمالا عن الحرير ، وثوبك يكاد يكون جديدا ، أما أنا فقد أفسدت ثوبى ، فحرقته من الخلف ، ومزقته من الأمام ، فماذا أنا صانعة الآن ؟ ان الحرق كبير ملحوظ ولن يمكننى اخفائه •

قالت :

— اجلسى طول الوقت ، وأسندى ظهرك الى المقعد حتى لا يراه أحد ، فالصدر لا بأس به • لقد وعدتنى أمى بمشبكها اللؤلؤى ، وأرى أن أزين شعرى بشريط جديد ، ومن حسن الحظ أن حذائى جميل ، أما قفازى ففى حالة جيدة على كل حال •

ولم يكن من طبع جو أن تحرص على أناقتها ، فقالت :

— أما قفازى فقد أفسدته منذ أن سكبت عليه شراب الليمون ،

( م ٤ — نساء صغيرات )

وليس معى نقود أشتري بها قفازا آخر جديدا ، فلا مفر من أن أذهب بغير قفاز •

صاحت ميج فى استنكار :

— لا يمكن أن تذهبى بغير قفاز ، وان فعلت ذلك ان أذهب معك •  
ان القفاز جزء لا يتجزأ من أناقة الهندام ، ولا يجوز الرقص بدونه ،  
فالبسبى بالله واحدا وإلا قتلنى الخجل منك •

قالت جو :

— اذا كان الأمر كذلك فلن أرقص ، ويكفينى أن أجلس مكانى  
طوال المسهرة ، ولست على ك حال من هاويات الرقص ، ورأبى أن اللف  
والدوران مضيعة للوقت •

قالت ميج :

— انك مهملة فى العناية بثيابك ، ويوم أفسدت قفازك أنذرتك  
والدتى بأنها لن تشتري لك غيره طوال الشتاء ، فلا تتوقعى أن تأتيك  
بجديد لأنه غالى الثمن • أفلا يمكنك أن تتداركى الموقف بحال من  
الأحوال ؟

قالت :

— ليس أمامى إلا أن أمسك به فى يىدى حتى لا تظهر البقع •  
أو هناك فكرة أخرى ، فما دام قفازك فى حالة جيدة ، اعطنى فلـردا  
منه وأعطيك فردا من قفازى ، ولبس النظيف ونمسك بالمبقع •

وكانت ميج شديدة العناية بملابسها وأدوات زينتها ، فعز عليها  
أن تعير قفازها لجر ، خشية أن تفسده باهمالها فقالت :

— يدك أكبر من يدي ، فان لبستك اتسع •

صاحت جو بضيق ، وقد استقر رأيها على أن تعود الى قراءة كتابها :

— إذا أذهب ، ولا يهمنى ما يقول الناس •

قالت ميج منزعة :

— خذى قفازي اذا أردت ، ولكني أرجوك رجاءً حاراً أن تحافظي عليه ، وأن تحافظي أيضاً على مقتضيات الأنوثة ، فلا تضعي يديك وراء ظهرك ، ولا تحملقي في وجوه الناس ، واياك أن تتطقي بالفاظ عامية كما اعتدت دائماً أن تفعلني •

قالت :

— اطمئني ، فسأكون عند حسن ظنك ، ولن أحشر نفسي في المآزق ما أمكن ، فاكتبي لمسز جاردنر واشكريها على دعوتها الكريمة وأخبريها بأنه يسرنا أن نلببها • والآن ، اذهبي ودعيني أكمل قراءة هذا الكتاب البديع •

وكتبت ميج الخطاب المطلوب ، ثم جلست تغني في صوت خافت جميل ، وهي تشلح ثوبها ، وتضيف اليه بعض التحسينات ، حتى أتمت جو قراءة قصتها ، وأنت على بقية تفاحاتها ، وانتهت من مداعبة فأرها العزيز «سكرابل» •

وفي أيلة الحفلة ، أقفر بهو آل مارش من ساكناته اللاتي اعتدن أن يجتمعن فيه كل مساء ، فقد انشغلت الفتاتان الصغيرتان بمساعدة أختيهما في الاستعداد للرقص • وكان البيت في هرج ومرج ، فواحدة

تهبط السلم بسرعة ، وثانية تصعده قفزا ، وثالثة تدلى بملاحظتها ،  
ورابعة تضحك مغتيبة • وقد رأت ميح ، استكمالا لأناقتها ، أن تسدل  
خصلة من شعرها كوق جبينها ، كتطوعت جو بمعاونتها على ذلك ، وأتت  
بمكواة الشعر الساخنة تلف حولها الخصلة حتى تتسدل على جبين أختها  
في شكل جميل • وكانت المكواة أكثر سخونة مما يجب ، فما التف الشعر  
حولها ، حتى فاحت رائحة الحريق وتتصاعد دخان خفيف • ورأت  
بث ما حدث فسألت أختها :

— أيتصاعد الدخان دائما هكذا عند كي الشعر ؟

أجابت جو :

— بل هي رطوبة الشعر تتصاعد في بخار •

قللت بث تتحسس خصلات شعرها الجميل باعتزاز :

— ما هذه الرائحة العجيبة ؟ كأنى أشم ريشا يحترق •

بث

فقالته جو ، وقد أوشكت أن تنتهي من عملها :

— عندما أسحب المكواة من بين الشعر ، سترين الحلقات الجميلة

تحيط بجبينك كالتاج •

وسحبت المكواة من شعر أختها ، فلم تظهر الحلقات الجميلة التي

وعدت بها ، إنما كان الأمر بالعكس ، فقد سقطت الخصلة كلها ، محترقة

على مائدة الزينة •

وصاح الأخوات في فزع وذعر ، وصرخت ميح منزعجة لما حل بها ،

وقالت في أسى بالغ :

— ماذا صنعت بشعري ؟ لقد أفسدته ، وأحرقته أجمل خصلة منه ، فكيف أذهب الى المرقص بهذا الشكل ؟ أواه يا شعري ! أواه شعري ! وانهمرت الدموع من عيني جو ، لفرط أسفها على ما بدر منها دون قصد ، قالت :

— إنه النحس الذى يلازمنى دائما ، لبيتك ما طلبت منى أن أكوى شعرك • إنى أفسد كل ما تمتد إليه يدي ، وهذه محنتى • فتقبلنى معذرتى وأسفى ، وثقى أننى لم أكن أعلم أن الكواة ساخنة الى هذا الحد •

فقالتمى تعزى أختها ميج :

— لم يفسد شعرك كما تتصورين ، ونصيحتى أن تعقديه بشريط كبير يخفى أطرافه المحترقة ، وسيبدو مصففا على أحدث طراز ، فقد رأيت أنيقات كثيرات يصففن شعورهن بهذا الشكل •

قالت ميج فى ندم :

— لبيتنى تركت شعري على حاله ، ولكنى أردت أن أبالغ فى التأنق ، فجوزيت على غرورى أسوأ جزء •

ونهمضت بث من مقعدها وانحنى على أختها تقبلها وقالت :

— صدقت ، فقد كان شعرك جميلا ، وما كنت فى حاجة الى تجعيده ، ولكن خلصى عنك ، فبعد قليل يطول ويستعيد رونقه القديم •

وأتمت ميج زينتها ، وتعاونت الأسرة كلها على تصفيف شعر جو -الغزير ، وساعدها أخواتها فى ارتداء ثوبها • وكانت ميج تلبس قبعة من الخمل الأزرق ، وثوبا فضى اللون ، لمع على صدره مشبك أمها اللؤلؤى وكانت جو ترتدى ثوبا أحمر اللون ، له بنيقة بيضاء مرتفعة ، ترينه

زهرتان من الأقحوان الأبيض • ولبست كل واحدة منهما فردا من القفاز  
السليم وأمسكت بفرد من القفاز القذر في رثساقه طبيعية أخفت السر  
الحقيقى فى هذا التوزيع • وهكذا بدت الفتاتان ، على بساطة هندامهما ،  
آية فى الأناقة والذوق السليم •

وكان حذاء ميج ذو الكعب العالى ضيقا يؤلم قدميها ، وكانت جو  
تحس كأن مشابك شعرها تنغرس فى جلد رأسها ، ولكن هذه المتاعب  
بدت ثمنا رخيصة للأناقة التى تتشدانها •

قالت مسز مارش تودع بنتيها :

— أرجو لكما سهرة ممتعة • لا تسرفا فى الأكل ، وسأبعث إليكما  
حفا فى الحادية عشرة ، لتعود بكما الى بيت •

وخرجت الفتاتان الى الطريق ، فأطلت عليهما مسز مارش من  
النافذه ، وقالت :

أمعكما مناديل يد جميلة ؟

فصاحت جو ضاحكة ؟

— معنا مناديل جميلة جدا ، ومنديل ميج معطر بماء الكولونيا •

والتفتت الى أختها وقالت لها :

— لو زلزلت الأرض زلزالها ، ما نسيت أمدى أن تسألنا عن المناديل •

وكانت ميج ذات طبع أرسقراطى ، فقالت :

— إنه سؤال هام ، وهى محقة فيه ، فما من سيدة أنيقة تهمل العناية

بحدائها وقفازها ومنديلها •

وأخيرا دخلت الأختان بيت آل جاردنر ، وفي الردهة الكبيرة ،  
وقفت ميح أمام المرأة ، تتأمل صورتها راضية • قالت لجو :

— أترين وشاحي منظما ؟ وهل يبدو شعري فظيحا ؟ تذكرى أن  
تخفى ظهرك عن العيون ، فالحرق واضح في ثوبك •

أجابت جو ، وهي تعدل بنيقتها ، وتسوى شعرها :

— سوف أنسى بلا شك • فإذا رأيت عيبا في مسلكي ، اغمزي لى  
بعينك حتى أتنبه له :

قالت ميح :

— إن السيدة المهذبة لا تغمز بعينها ، فيكفى أن أرفع حاجبيّ إذا  
أخطأت ، وأومىء برأسي إذا أحسنت • والآن ارفعى كتفيك ، وسيرى في  
خطوات قصيرة ، وإياك أن تصافحى الناس بيدك ، كفى ذلك خروج على  
دواعى الأدب •

قالت جو :

— بالله كيف تعلمت كل هذه الأصول ؟ من العسير أن أحفظها  
مثلك •

وتقدمت الفتاتان الى بهو الرقص فى بعض الخجل ، لقلّة ارتيادهما  
مثل هذه الحفلات • واستقبلتهما مسز جاردنر فى عطف وترحيب ، ثم  
عهدت بهما الى سالى كبرى بناتها الست • وكانت ميح تعرف سالى من  
قبل ، فسرعان ما زال خجلها ، ولكن جو لم تكن بطبعها تأنس الى صحبة  
البنات ، أو تجد فى حديثهن تسلية ، فوقفت بجوار الحائط تخفى ظهر  
ثوبها عن العيون ، وقد أحست أنها وحيدة غريبة فى مثل هذا الوسط •

وحانت منها نظرة الى الجانب الآخر من الغرفة ، فرأت ستة فتیان يتحدثون عن رياضة الانزلاق ، فتمنت لو كان في استطاعتها أن تلحق بهم وتشارك معهم في حديثهم . فأتارت الى أختها برغبتها ، ولكن حاجب الأخت ارتفع في تحذير شديد ، فلزمت جو مكانها ولم تجرؤ على تحقيق أمنيتها .

وظلت تقف وحدها بجوار الحائط ، ولا من يبادلها ، وخرج المدعوون من البهو تباعا ، فلم يبق فيه غيرها . وكانت تخشى أن تتحرك من مكانها حتى لا يظهر الحرق الأسود في ثوبها ، فقنعت بالمشاهدة من بعيد . وبدأت الرقص . فلم تلبث مبع أن وجدت رفيقا يقودها الى الحلبة ، فجعلت ترقص معه في سرعة ومرح ، لا يمكن لأحد معهما أن يتصوركم تعاني في الحقيقة من ضيق حذائها .

ورأت جو شابا أحمر الشعر يتقدم نحوها ، وخشيت أن يكون قد اعترم دعوتها الى الرقص ، فانسلت الى الغرفة الصغيرة المجاورة ، واختفت وراء ستائرها ، بحيث يمكنها أن تسترق النظر الى الراقصين وهي في مأمن من العيون . ولكن شاء حظها العاثر ، أن تجد وراء الستائر شخصا خجولا مثلها ، لاذ هو الآخر بالخبا هربا من الناس . وكان هذا الشخص هو لورنس الصغير ، فقالت وهي تحاول أن ترتد على أعقابها مسرعة :

— ظننت المكان خاليا .

فضحك الفتى وقال في مرح يخالطه بعض الخجل :

— ابق هنا إذا شئت ، وانسى وجودي .



قالت :

— ألا يزعجك أن أفسد عليك عزلتك ؟

قال :

— أبدا • فما لجأت الى هذا المكان إلا لأنى لا أعرف أحدا من المدعويين •

قالت :

— وأنا مثلك ، فأرجو أن تبقى ، إلا إذا كنت تقصّل أن تكون وحيدا •

وجلس الفتى بوقار • فقالت جو في تल्पف :

— أظن أننى تشرفت برؤيتك من قبل ؟ فأنت تسكن بجوار بيتنا

قل :

— بل نحن أقرب جيران لكم •

وضحك بمرح ، وقد تذكر يوم أعاد إليها قطعتها ، فتحدثت اليه عن الألعاب الرياضية • واغتبطت بضحكه ، فضحكت بدورها وقالت بحرارة :

— لست أدري كيف أشكرك على هديتك فى العيد •

قال :

— إنها هدية جدى •

قالت :

— ولكنها فكرتك • وأكاد أكون واثقة من ذلك •

قال الفتى في مرح مكبوت :

— كيف حال قطتك يا آنسة مارش ؟

قالت :

— بخير يا مسز لورنس ، ولكنى أفضل أن تنادينى « جو » دون

• القاب

أجاب :

— وأنا لست أدعى مستر لورنس بل لورى فقط •

قالت تردد اسمه :

— لورى لورنس ! يا له من اسم غريب !

قال :

— اسمى الكامل ثيودور ، ولكنى لا أحب هذا الاسم لأن زملائى

فى المدرسة كانوا يختصرونه الى « دورا » ، فطلبت إليهم أن يدعونى

• « لورى »

قالت :

— إذا كنت تكره اسمك ، فأنا بالمثل أكره إسمى • وأعتقد أنه اسم

شاعرى وأفضل أن يدعونى الناس جو بدل جوزيفين • ولكن ، كيف أقنعت

زملاءك بتغيير اسمك الى « لورى » ؟

— أقنعتهم بالضرب •

أجابت جو فى أسف :

— ولكنى لا أستطيع أن أضرب عمتى مارش • وليس أمامى سوى

• الصبر

سألها :

— ألا تحبين الرقص يا آنسة جو ؟

ونظر إليها كأنما أعجبته كلمة « آنسة جو » ، فقالت :

— أحبه إذا كانت الحلبة متسعة ، ولكنها ضيقة في هذه الليلة ، وأخشى إذا رقصت أن أدوس على أقدام الراقصين ، أو أقلب الموائد بخشونتى المعهودة ، فمن الخير أن أكفيهم ثرى ، وأترك الميدان لميج تصول فيه وتجول • ألا ترقص أنت ؟

قال :

— أحيانا • ولكنى لم أرقص الليلة خشية أن أخطيء ، فأنا أجهل أساليب الرقص عندكم ، لأننى عشت سنوات في الخارج •

صاحت جو بحماسة :

— في الخارج ؟ ! حدثنى إذا بما رأيت في البلاد الأخرى ، فأنا جد شغوفة بأخبار الأسفار والرحلات •

ولم يعرف لورى من أين يبدأ الحديث ، ولكن أسئلة جو سهلت له مهمته ، فانساق يقص عليها كيف تعلم في مدرسة فيفاى بسويسرا ، حيث لا يلبس التلاميذ قبعات على الإطلاق ، وحيث يقتتون أسطولا من القوارب الشراعية يمرحون بها في البحيرة • وحدثها كيف كانوا يقوموا بالرحلات مع أساتذتهم في مختلف بلدان سويسرا خلال العطلة المدرسية •

قالت جو :

— ليتنى أزور هذه البلاد ، هل ذهبت الى باريس أيضا ؟

قال :

— قضينا فيها الشتاء الماضي •

سألته :

— أتتكلم الفرنسية ؟

قال :

— إنها اللغة الوحيدة التي كنا نتكلم بها في فيفاى •

قالت :

— إذا أسمعنى جملا منها ، لأننى أقرأ الفرنسية ولكنى لا أعرف

• نطقها الصحيح •

سألها بالفرنسية :

— من تكون تلك الشابة الصغيرة ذات الحذاء الجميل ؟

قالت :

— تعجبنى لهجتك الفرنسية السليمة ، وقد فهمت الجملة كلها ،

والآنسة التي تسأل عنها ، هى أختى مارجريت • ألا تعتقد أنها جميلة ؟

أجاب :

— نعم • وتذكرنى نضارتها بالألوانيات ، ويعجبنى أسلوبها الممتاز

• فى الرقص •

واغتبطت جو لكلامه كل الاغتياب ، وسرها أن تسمع مديح أختها

من شاب مهذب مثل لورى • وجلس الاثنان فى صمت ، يشاهدان الراقصين

والراقصات ، ويتسامران بإبداء الملاحظات ، كأنهما صديقان قديمان طالت

بهما المعرفة سنين • وتخلي لورى عن خجله أمام صراحة جو وبساطتها ، واستعادت جو ثققتها بنفسها ، فنسيت ثوبها ، وسرها أن شغل الرقص أختها عنها فلم ترفع لها حاجبها محذرة مؤنبة وقد زادت المعرفة اعجابا بلورى ، فتأملته بدقة مرات عدة ، حتى يمكنها أن تصفه وصفا مسهبا لأخواتها فيما بعد ، وكانت تعلم أنهم يرحبن بذلك لحرمانهن من الأخ ولقلة عدد الذكور في العائلة ، مما جعل الفتیان مخلوقات مجهولة لهن •

وجعلت ، فيما بينها وبين نفسها ، تردد أوصافه : شعر أسود مجعد ، وبشرة تميل الى السمرة ، وعينان سوداوان واسعتان ، وأنف طويل حاد ، وأسنان منتظمة ، وقامة في مثل قامتها ، ثم أدب جم ومعشرا لطيف • ترى كم يبلغ من العمر ؟ وكاد السؤال يفلت من بين شففتها ، ولكنها حبسته في آخر لحظة بلباقة غير معهودة فيها • وكانت تريد أن تعرف عمره ، فجعلت تلف وتدور حول الموضوع لعلها تصل الى بغيتها في كياسة وأدب • قالت :

— أتلتحق بالجامعة عن قريب ؟ إنى أراك « تصم » الدروس •

وتداركت خطأها باستعمال هذا اللفظ العامي ، فقالت :

— أقصد أنك تذاكر كثيرا •

هز كتفيه وقال :

ما زال أمامى عامان أو ثلاثة حتى ألتحق بالجامعة • فالقوانين الجامعية تحتم أن أكون في السابعة عشرة •

وكانت قامته الطويلة قد خدعتها فظنت أنه بلغ السابعة عشرة ،

قالت :

— أما زلت في الخامسة عشرة ؟

قال :

— سأبلغ السادسة عشرة في الشهر القادم •

قالت :

— ليتنى أستطيع أن ألتحق بالجامعة ، ولكنى لست أراك متحمسا

لها ، أفلا تحب أن تنتظم في صفوفها ؟

قال :

— إنى أكره الجامعات ، فالحياة فيها لا تخرج عن العمل والمشاكسة

ولست من المعرمن بمشاكسة شباب هذا البلد •

سألته :

— وماذا تحب أن تفعل ؟

قال :

— أفضل أن أسافر الى إيطاليا أعيش فيها كما يحلو لى •

وكانت جو تتمنى أن تعرف ما الذى يحلو له ، ولكنه كان مقطباً

في هذه اللحظة ، فلم تجرؤ على الاسترسال في الموضوع • ورأت أن تغير

الحديث فقالت :

— إن فرقة الموسيقى تعزف رقصة البولكا ، فلم لا تذهب وترقص ؟

قال ، وهو ينحنى أمامها بطريقة فرنسية رشيقة :

— إذا قبلت أن تكونى رفيقتى في الرقص •

قالت :

— لا يمكن ، فقد وعدت ميج أن أبتعد عن الرقص لأن •••

وأمسكت عن الكلام ، ولم تحدّثه بالسبب ، وواكتفت بأن ضحككت  
في مرح ، فقال يلح في السؤال :

— لأن ماذا ؟؟

قالت :

— أتكنم السر ؟

قال :

— من غير شك •

— من سوء الحظ أنني اعتدت أن أقف بجوار الموقد. وظهرى الى  
النار ، فكان أن احترق ثوبى ، ولم يجد الإصلاح فيه ، ولذلك وعدت ميغ  
أن لا أتحرك من مكانى ، حتى لا يرى الناس مكان الحرق فى ظهر ثوبى •  
إنه أمر يدعو الى الضحك ، ولا بأس من أن تضحك إذا شئت •

ولكن لورى لم يضحك ، وسكت قليلا يفكر ، ثم قال وفى عينيه  
نظرة حيرت الفتاة :

— نستطيع أن نحل المشكلة ، إذا رقصنا فى هذا الممر الطويل ،  
بحيث لا يرانا أحد •

واغتبطت جو للفكرة ، وقامت ترقص معه ، وكان البهو خاليا ،  
فراحت تتبع أنغام البولكا فى براعة ورشاقة • وعندما انتهت الموسيقى  
جلس الاثنان يستريحان على درجات السلم ، وعاد لورى يحدثها بالأعياد  
فى هايدلبرج ، وكيف يحتفل الناس بها هناك • وأقبلت ميغ تبحث عن  
أختها ، فلما رأتها على الدرج ، أشارت إليها تستدعيها ، فقامت جو  
من مكانها متثاقلة ، وسارت وراء أختها الى حجرة جانبية • وارتمت ميغ

فوق الأريكة ، وقد أمسكت بقدمها في ألم بالغ ، وقالت وهي تتأوه وتتلوى :

— انثنى كعب الحذاء تحتى ، فالتوت قدمى ، وأشعر بألم فظيع ،  
• يعجزنى عن الوقوف ، فخبيرنى كيف أعود الى البيت •

قالت جو وهي تدلك قدم أختها في رفق :

— كنت أتوقع أن يؤذيك هذا الحذاء ، وأنا آسفة لما أصابك ، وأرى  
• أن نعود الى البيت في عربة •

قالت ميج :

— مستحيل ، فكل العربات الموجودة خاصة بالمعدّوين • ولكنى  
نستأجر واحدة ، يجب أن نسير الى الموقف البعيد ، ولا أستطيع ذلك في  
حالتى الراهنة ، ولن نجد من يحضر لنا واحدة •

قللت جو :

— أنا أحضرها •

قالت ميج :

— لا تهبى ، فالوقت متأخر ، والطرق مظلمة ، والأفضل أن  
أستريح قليلا حتى تأتى حنا فأحاول أن أعود معها الى البيت •

قالت جو ، وقد عرضت لها فكرة طيبة :

— سأطلب من لورى أن يحضر لنا عربة •

قالت ميج :

— لا ••• لا تخبرى أحدا بالأمر ، أحضرى لى خفى المطاط وضعى



هذا الحذاء مع بقية ملابسنا ، فلن أستطيع أن أرقص بعدما حدث .  
وأرجوك أن ترقبى مجيء حنا حالما ينتهى العشاء .

قالت جو :

— رأيتهم يتأهبون للعشاء ، وأفضل أن أبقى بجانبك .

قالت :

— بل أذهبي معهم لتأكلى ، وأحضرى لى قدحا من انقهوة إن  
استطعت ، فلست أقوى على الحراك وقدمى تؤلنى هكذا .

وجالست ميج فى مكانها بطريقة أخفت الخف المطاط عن العيون ،  
وذهبى جو تبحث عن قاعة الطعام فخلت طريقها إليها مرتين : الأولى  
عندما اقتحمت مخزن الأطباق والثانية عندما ولجت غرفة صغيرة كان مستر  
جاردنر العجوز قد لاذ بها يتناول بعض المرطبات . وأخيراً وصلت الى  
حيث امتدت موائد الطعام ، فأسرعت تعد قدحا من القهوة حملته ائى  
ميج ، ولكنها لم تلبث أن سكبه على ثوبها ، فنشوه الصدر منه مؤثما  
تشوه الظهر . قالت بارتباك ، وهى تزيى القهوة من ثوبها بقفاز ميج  
للنظيف فتلطفه بالبقع :

— ما أعبانى !!

وهنا سمعت صوتا يقول لها فى رفق :

— أتسمحين لى أن أعاونك ؟

والتفتت خلفها ، فرأت لورى يحمل بإحدى يديه قدحا مليئاً  
بالقهوة الساخنة ، وباليد الأخرى صحناً عامراً بالمللجات . قالت :  
( م ٥ — نساء صغيرات )

— أردت أن أحمل شرابا لميج ، ولكنى اصطدمت فى سيرى بأحدهم ،  
فانظر ما أصاب ثوبى !!

وجعلت تنقل النظر بين الثوب المبقع والقفاز الملوث •

قال :

— أمر يؤسف له ، ولكن خلئى عنك ، فقد كنت أبحث عن شخص  
أقدم له القهوة والمثلجات ، فإن سمحت ، حماتها الى أختك •

— شكرا جزيلا ، تعال أرشدك الى مكانها ، ويؤسفنى أن لا أستطيع  
حملها عنك ، خشية أن أسكبها فأزيد الطين بلة •

وسارت أمامه الى حيث جلست ميج ، فوضع الطعام والشراب على  
مائدة صغيرة بجوار الفتاة المتعبة ، ثم انصرف الى قاعة الطعام ، وعاد  
يحمل لجو نصيها من العشاء • وكان يقوم على خدمة الفتاتين بأدب  
ورشاقة ، حتى أقرت ميج بأنه « شاب لطيف » •

وانقضى بهم وقت بهيج ، ولم يلبث أن انضم إليهم بعض الشبان ،  
فازدادت الجماعة مرحا وغبطة • وعندما انتهوا من العشاء أقبلت حنا ،  
فنهضت ميج تلقاها بسرعة ، وقد نسيت ما أصاب قدمها ، واذا بالألم  
يفاجئها شديدا قاسيا ، ففترنح وتستند الى ذراع أختها • وهمست فى  
أذن جو تحذرها :

هس ••• لا تحدثيهم بما جرى •

والتفتت الى أصحابها وقالت :

— لا شئ ••• التوت قدمى قليلا ، ولا داعى للقلق •

وصعدت السلم تعرج • فجعلت حنا تؤنبها حتى انهمرت الدموع

من عيني ميج ، وأسقط في يد جو . ثم اهتدت الى فكرة تساعد بها أختها ، فهبطت درجات السلم بسرعة ، وطلبت الى أحد الخدم أن يحضر لهن عربية . ولكن الخادم اعتذر عن أداء هذه المهمة ، إذ كان غريباً عن هذا الحي ، ولا يعرف أين تقف عربات الأجرة .

وبينما وقفت جو تتلفت حولها في ضيق ويأس ، أقبل عابها لورى وقد سمع طرفاً من الحديث ، واقترح أن يرافقهن الى بيتهن في عربية جده . واغتبطت بهذا الاقتراح ، ولكنها ترددت بعض التردد في قبوله .

قالت :

— إن الوقت مازال مبكراً ، ومن الظنم أن نقطع عليك سهرتك .

قال :

— ولكنى اعتدت أن أعود الى البيت مبكراً ، ولست أنتوى البقاء على كل حال ، فاسمحي لى أن أرافقكن الى البيت ، فالسما تمطر في الخارج ، ولن أتجشم بمرافقتكن عناء لأنكن في طريقى .

وشجعها كلامه على قبول دعوته ، فأخبرته بما أصاب قدم ميج ، شكرت له اهتمامه وكرمه . وصعدت بسرعة تنادى أختها والطاهية ، وكانت حنا تمقت السير تحت المطر ، ولذلك لم تعترض على الفكرة ، ولم تثر مزيداً من المتاعب والإشكالات .

ودرجت بهم العربية الفاخرة ، وكان لورى قد قنع بالجلوس الى جوار السائق حتى يخلى لميج مكاناً متسعاً تريح فيه قدمها . واغتبطت الفتاتان بالرحلة المريحة كل الاغتباط ، وقطعتا الوقت في التعليق على الحفل ومن فيه . قالت جو وهى تصلح شعرها ، وتريح بدنهما المتعب :

— لقد قضيت وقتا سعيدا ، فهل استمتعت بوقتك مثلى ؟

قالت ميخ ، وهى تراجع حوادث الليلة فى بسر :

— استمتعت كل المتعة حتى التوت قدمى • فقد عرفتنى سالى بصديققتها الثرية آنى موفاة ، فإرتاحت الى مغرفتى ، ودعتنى الى زيارتهم فى فصل الربيع عندما يبدأ موسم الأوبرا ، وأرجو أن توافق والدتى على قبول هذه الدعوة ، حتى أذهب مع سالى لقضاء أسبوع حافل بالمباهج مع آل موفاة •

قالت جو :

— شاهدتك تراقصين رجلا أحمر الشعر ، فهل كان لطيفا ؟

قالت :

— جدا • وعلى فكرة ، شعره كستنائى لا أحمر ، وكان جم الأدب ، ماهرا فى الرقص •

قالت جو :

— رأيتة يرقص البولكا فذكرنى بجرادة طائسة ، فضحكت ولورى ملء شدينا ، هل سمعتنا ؟

قالت :

— لا ••• والسخرية بالناس مجافاة للأدب ، فأرجو أن لا تفعلنى ذلك مرة أخرى ، ولكنك اختفيت عنا مع لورى وقتا طويلا ، فماذا كنت تفعلين ؟

وحدثها جو بما فعلته منذ بداية الحفل ، وما انتهت من كلامها حتى

كانت العربية قد وصلت الى البيت • فشكرت الفتاتان لورى ودعتاه ،  
ثم دخلتا البيت بهدوء حتى لا ترعجا المنام ، ولكن آمى وبث كانتا في  
الانتظار ، فلما دلفت الفتاتان الى غرفة النوم ، هتفت بهما الأختان  
الصغيرتان تقولان في نفس واحد :

— علينا بأخبار الحفلة ، وما حدث فيها من البداية الى النهاية •

وأخرجت جو من جيبتها قطعة من الحلوى ، كانت قد اقتصدتها من  
نصيها لأختيها ، رغم معارضة ميح لما في ذلك من خروج على أصول  
اللياقة ، وأغتبطت الصغيرتان بالهدية ، وزاد اغتباطهما سماع حوادث  
السهرة المثيرة •

وجلست ميح في مقعد مريح ، وعكفت عليها جو تمشط لها  
شعرها ، وتدلك قدمها الملتوية • قالت :

— يخيل الى ، بعدما حدث الليلة ، أننى سيدة أرسنقراطية ،  
أرتاد المراقص والحفلات ، وأعود الى البيت فى عربات فاخرة ، واذا  
ما آويت الى مخدعى ، عاونتنى خادمى فى تصفيف شعرى وخلع  
ملابسى •

قالت جو :

— صدقت ، وأنا أشعر مثلما تشعرين ، وأعتقد أننا استمتعنا  
الى أبعد حد ، وسعدنا كل السعادة ، بالرغم من ثيابنا العتيقة ، وشعورنا  
المحترقة ، وأحذيتنا الضيقة المتعبة •

## الفصل الرابع

### متاعب وهموم

لم يكن من السهل على ميج أن تستقبل عملها المضمنى راضية ، بعد عطلة العيد العامرة بالمباهج والمسرات ، فقالت فى صباح اليوم التالى فى حسرة وضيق :

— ما أشق أن نعود الى طريق الكفاح الطويل •

أجابت جو وهى تتئأب :

— ما كان أسعدنا ، لو أن الحياة كلها أعياد ؟

قالت ميج وهى تفحص ثوبها لتختار أقلهما قدما :

— انى أحب الرخاء ، وأغبط الفتيات الثريات ، وأتمنى أن أعيش فى ترف ونعيم : أتناول العشاء خارج البيت كل ليلة ، وأهدى باقات الزهور النادرة ، وأرتاد الولائم والحفلات ، وأنتقل فى عربات تجرها الجياد المطهمة ، ليتنا نستطيع أن نستمتع بالراحة ولا نعمل شيئا •

قالت جو :

— لا تطلبى المستحيل ، ولا داعى للتذمر اذا لم يكن منه فائدة ، وخير لنا أن نحزم متاعبنا وأعباءنا ، ونحملها فى طريق الحياة متفائلات مستبشرات ، وقدوتنا فى ذلك أمنا العزيزة ... اذا كان عملك يضايقك ، فماذا أقول أنا فى خدمة عمى مارش ؟ انها والله عبء ثقيل على

أكتافى ، ويوم أروض نفسى على احتمالها راضية ، تكون متاعبى قد انتهت ، وطريق حياتى سهل واسع .

وتصورت جو أن أمنيتها تحققت ، وأنها نجحت فى احتمال عمتها راضية ، فانشرح صدرها للفكرة ، ولكن ميج ظلت واجمة ، ورأت كأن متاعبها تفوق متاعب الدنيا كلها . فهى تعمل مربية لأربعة أطفال أفسدهم الرخاء والتدليل ، وانه لعمل يقبض الصدور ، خصوصا بعد عطلة العيد وما حفلت به من ألوان المتعة والترفيه . وضاعفت فكرة العودة الى العمل شعورها بالانقباض ، فكرهت أن تتجمل كالمعتاد ، ولم تعن بتصنيف شعرها ، لا ولم تربط عنقها بشريط أزرق ، لامع . قالت وهى تنتهى من ارتداء ثيابها :

— لماذا أتجمل ولا من يرانى غير أولئك الأطفال المتعبين ؟ سواء كنت جميلة أو دميمة ، فليس هناك من يلقى نظرة علىّ أو يهتم بأمرى . سوف أتعب وأشقى طوال حياتى ، ولن أنال من المتعة إلا نتقا صغيرة ، ولن تلبث الشيوخوخة أن تحلّ بى ، فأصبح عانسا لاذعة اللسان ، وما ذلك إلا لأنى فقيرة ، لا أملك مالا يسعدنى ، ولا جاها يسندنى ، فيا للبؤس ويا للشقا !

وتوجهت ميج الى مائدة الافطار كسيرة القلب حزينه ، فوجدت أخواتها بدورهن نائرات متذمرات : بث ترقد على الأريكة تشكو صداعا ألم برأسها ، وآمى فى ضيق شديد لأنها لم تستذكر دروسها خلال العطلة ، ولا تجد حذاءها المطاط ، وجو تصفر فى عصبية وهى تستعد لاستقبال يوم عصيب ، وحننا تضج لتأخر أفراد العائلة فى النوم مما يعطل أعمالها .

وازدادت جو بالتوتر الشامل ارتباكاً على ارتباك ، فانقلبت منها زجاجة الحبر ، وانقطع رباط الحذاء ، وجلست سهواً على قبعتها فهشمتها ، عند ذلك فقدت سيطرتها على نفسها وصرخت غاضبة :

— ما رأيت شبيهاً لهذه الأسرة الثائرة •

أجابت أمي ، وهي تغسل بدموعها أخطاءها الحسابية عن لوح الابدواز :

— أنت أكثرنا ثورة وتذمرا •

وصاحت ميج غاضبة ، عندما تشبثت بثوبها قطيطات بث الصغيرات :

— ان لم تبعدى هذه الحيوانات عنى يا بث ، أغرقتها فى النهر •

وضحكت جو ، وظلت ميج تؤنب أختها ، وبث تستعطفها العفو عن قطيطاتها ، وبكت أمي لعجزها عن اتمام مسألة الحساب •

وكانت مسز مارش مشغولة فى تحرير رسالة ، فرفعت رأسها تقول لبناتها :

— اهدأن لحظة واحدة ، حتى أنتهى من هذه الرسالة ، فشجاركن يعطلى وأخشى أن يفوتنى بريد الصباح •

وساد السكون مؤقتا ، وهدأت الغرفة إلا عن حركات حنا ، وهى تحمل الفطائر الساخنة الى المائدة • كانت البنات جد شغوفات بهذا اللون من الفطائر ، ولذلك كانت الطاهية تحرص على صنعها لمن كل صباح ،



فيحملنها معهن الى العمل وجبة للغذاء ، يتصبرن بها على الجوع حتى  
يعدن الى البيت آخر النهار .

قالت جو ، هي تشعر أن اليوم لم يبدأ بداية حسنة :

— هيا بنا الى العمل يا ميج ، وحاولي أن تتغلبى على صداعك  
يا بث ، الى اللقاء يا أماء ، لقد بدأنا اليوم شياطين ، وأرجو أن  
نعود اليك ملائكة .

وانصرفت من البيت في رفقة ميج .

وكان من عادة الفتيات أن تلتفتا الى البيت عند منعطف الطريق ،  
فتلوح لهما الأم بيدها من النافذة ، وكانت حاجتهما الى تلك التحية  
شديدة هذا الصباح ، فان نظرة من وجهها العامر بأبلغ آيات العطف  
والحنان ، ذخيرة نفسية وفيرة ، تعينهما على تحمل أعباء عملهما المضى  
الشاق .

وبعثت برودة الجو في جسد جو نشاطا ، وأكسبتها تحية أمها  
مرحا وتفاؤلا ، فقالت لأختها ضاحكة :

— ليت أمي هزت لنا قبضتها مهددة ، بدل القبلة التي بعثت بها  
الينا مع الهواء ، فلسنا أهلا لحنانها ، وقد كنا صباح اليوم أشبه  
« بغانيات » جاحدات .

قالت ميج تؤنب أختها :

— لا تستعملى هذا اللفظ القبيح .

قالت جو ، وهي تحمى قبعتها من عبث الهواء :

— انى أحب الألفاظ القوية المعبرة •

أجابت ميج :

— صفى نفسك بما تشائين ، ولا شأن لك بى ، فليست « غانية »

كما تقولين ، ولا أحب أن أتسبه بالغانية •

قالت جو :

— أنت اليوم مخلوقة متعبة ، قلبك عامر بالحنق والغضب ، لعجزك عن التمرغ فى أحضان الترف • اصبرى حتى أجمع لك ثروة طائلة ، توفر لك العربات الفاخرة ، والجياد المظهمة والمثلجات الشهية ، والأخذية ذات الكعوب العالية • وعندئذ تعيشين كما ترغبين ، وترقصين مع الرجال ذوى الشعور الحمراء !

وانقشع عن ميج غضبها بهذا الهراء ، وزايلها ضيقها السابق ،

فقالت ضاحكة :

— ما أسخفك يا جو !

قالت جو :

— من حسن حظك أننى سخيقة ، ولو لم أكن كذلك ، لأجبتك على غضبك بمثله فتسوء العاقبة • انى أحمد الله على نعمة المرح ، وأجد فى التفاؤل قوة وسعادة ، فكونى مثلى ، واتركى الغضب والتذمر ، وتعودى أن ترجعى الى البيت فرحة راضية •

ثم ربتت على كتف أختها مشجعة ، وانصرفت كل الى مقر عملها وهى تتظاهر بالسعادة ، رغم برودة الجو ، ومشقة العمل ، وقسوة الحرمان من مباحج الشباب •

كان مستر مارش في بداية حياته على قدر مذكور من الثراء ، ولكنه كان طيب القلب عطوفا ، فلما رأى صديقا له في مأزق مالي ، أراد أن ينقذه ، فضاعت ثروته ، ولم يبق له إلا الكفاف . ورأت ابنتاه الكبيرتان أن تخففا العبء عنه بالعمل ، فسمح لهما أبوهما بذلك ، وغرضه الحقيقي أن يعلمهما الاعتماد على النفس ، ويغرس في نفسيهما روح الجِد والنشاط . واقتحمت الفتاتان أبواب العمل في عزيمة لا تلين ، واشتغلت مارجريت مربية للأطفال . وكان أجرها ضئيلا ولكنها شعرت كأنه ثروة طيبة ، تكفل لها نفقاتها الخاصة ، وتغنيها عن سؤال والدها المرهق بالأعباء ، وكانت بطبعها تميل الى حياة الترف ، وتحب أجمل الأشياء ، ولكن ظروفها المالية لم تحقق أمانها الواسعة . وكانت ترى ألوان الرخاء في بيت مخدومها مستر كنج ، فتجاهد في إخفاء غيرتها مما تراه حولها ، وتبذل جهودا مضاعفة في كبت ضيقها بالحياة ، وهي ترى بنات مستر كنج الكبيرات يرتدين الملابس الغالية ، ويحملن باقات الزهور النادرة ، ويرون العجيب من أحاديث المسارح والحفلات . وكانت ترى الأسرة تتفق أموالا طائلة في كماليات تافهة ، فيزيد شوقها الى هذه التوافه ، وتعتبرها أئمن الأشياء .

وقلما كانت ميج تصرح بما يعتل في نفسها ، فاستبد بها احساس مكبوت شعرت معه بأنها مظلومة في هذه الحياة ، وأن ظلمها يبدو مريرا لأنها لم تنتشأ على الفقر في صغرها ، بل عرفت الثراء يوما ، وما زالت تذكر عهد العز والرخاء .

وكان نصيب جو مختلفا ، فقد أعجبت بها عمتها مارش ، فاستخدمتها وصيفة لها . وكانت العمة مارش عجوزا عرجاء ، تحتاج الى من يساعدها على أداء واجباتها ، فلما حلت النكبة المالية بأخيها أبدت

رغبتها في أن تتبنى واحدة من بناته الأربع ، ولكن الأب رفض أن يجيئها  
رغبتها ، وقد أنكر الأصدقاء عليه رفضه هذا ، وقالوا انه يحرم بناته  
فرصة طيبة فقد تورثهن العمة مالها ، ولكن الماديات لم تخدع آل مارش ،  
فردوا على أصدقائهم قائلين :

— لن نفرط في بنت لنا لقاء مال مهما كثر ، وسنبقى دائما معا  
فقراء أو أغنياء •

واشتد الغضب بالعمة العجوز ، فخاصمت أباها وأسرته زمنا  
طويلا ، ثم شاء القدر أن تقابل جو في بيت أحد الأصدقاء ، فراقها منها  
وجه ضاحك ، وروح مرحة ، وأسلوب صبياني خشن ، وعندئذ نزلت  
العجوز عن غضبها السابق ، وعرضت على أخيها أن تتخذها وصيفة لها  
تساعدها في البيت طوال النهار • ولم يرق هذا العرض في نظر الفتاة ،  
ولكنها اضطرت الى قبوله بعد أن أعيأها البحث عن وظيفة أخرى •  
ولدهشة الأقارب والأصدقاء على السواء ، سارت الأمور على ما يرام بين  
جو وعمتها ، وكانتا تختلفان أحيانا ، وتقوم بينهما مشادات ومناقشات ،  
فتخرج جو من بيت عمتها غاضبة ، وتقسم أن لا تعود اليه ثانية ، ولكن  
غضب العجوز لا يلبث أن ينصرف ، فتُرسل في استدعاء بنت أخيها ، وتلح  
في طلبها وترجو فتلين الفتاة وتعود اليها والسر في ذلك أنها كانت تحب  
عمتها وتحلها من نفسها محلا طيبا ، رغم سوء طبعها وقسوة لسانها •

ولعل أكثر ما كان يجتذب جو الى بيت عمتها ، تلك المكتبة العامرة  
بأقيم المؤلفات ، وكان زوج عمتها قد ترك هذه المكتبة ضمن ممتلكاته ،  
فظلت بعد وفاته مهملة تنسج عليها العناكب خيوطها • ورغم مضي  
السنوات على موته ، كانت جو لا تزال تذكره ، وتذكر كيف كان يأذن لها

أن تلعب بالكتب والقواميس فتبنى بها بيوتاً وقصوراً ، وكيف كان يهديها صوراً وحلوى كلما رآها في الطريق .

وكانت غرفة المكتبة متربة معتمة ، تنتثر فيها التماثيل النصفية والمقاعد المريحة ، وتغطي رفوفها كتب لا حصر لها ونماذج مختلفة الأحجام للكرة الأرضية . وكانت جو تحب تلك الغرفة ، وتلجأ اليها كلما أعوزها الهدوء والترفيه ، كما ان تغفو عمتها غفوة قصيرة ، أو يشغلها عن وصيفتها زائر أو صديق ، حتى تهرع جو الى ملجأها الهادئ ، فتجلس فوق أحد المقاعد ، وبين يديها كتاب ممتع في الشعر أو القصص أو التاريخ أو الأسفار والرحلات تلتهم بعينها ما فيه التهاماً . ولكن قلما كانت سعادتها تدوم ، فما ان تصل الى أمتع ما في كتابها ، إلا ويرتفع صوت العجوز منادياً : « جو .. زيف .. ين .. جو .. » زيف .. ين « وعندئذ تترك متعتها كارهة ، وتعود الى عمتها لتساعدنا في لف بكرة خيط ، أو تنظيف كتبها المدلل ، أو تقرأ لها كتاباً بملا ساعات وساعات .

وكانت جو تتمنى أن تقوم بعمل رائع في يوم من الأيام ، ولكنها لم تحدد نوع هذا العمل ، واختارت أن تترك للزمن هذه المهمة ، قانعة عن السعى اليها بالتفجع على حرمانها من القراءة والجري وركوب الخيل وغير ذلك من ألوان التسلية المفضلة لها . وكانت الفتاة حادة الطبع ، لاذعة اللسان ، حائرة المزاج ، وهي صفات كثيراً ما أوقعتها في مأزق حرجة ، وجعلت سيرتها خليطاً من الفضائل والنقائص ، التي كانت تضحكها أحياناً ، وتبكيها أحياناً أخرى . ولكنها رضيت بالعمل في بيت عمتها ، رغم المضايقات المختلفة ، من أجل المرتب الذي كانت تشعر أنها في حاجة اليه .

وكانت بث تعاني خجلا شديدا ، وقف بينها وبين الاستمرار في دراستها ، فتركت المدرسة لتتلقى علومها في البيت على يد والدها ، فلما دعا الأب داعى الوطن ، وتطوع في سلك الجيش المحارب ، وانشغلت أمها عن تعليمها بالعمل في « جمعية مساعدة الجنود » ، عكفت على تعليم نفسها بنفسها في جد واخلاص وعزم . وكانت ربة بيت بطبعها ، فتعهدت بمساعدة حنا في تدبير شئون المنزل ، وتهيئة أسباب الراحة لأخواتها انعامات ، لا تنتظر جزاءً سوى محبة أفراد الأسرة ، واعتراهن بها .

وكانت تضى بها الساعات والأيام ، وهي تعمل وحيدة ، فلا تكل من العمل ولا تشكو الوحدة ، لأنها كانت تعيش في دنيا خيالية عامرة بالأصدقاء والمسرات . كانت تتخذ من الدمى العتيقة التي خلعتها عليها أخواتها ، أصدقاء أعزاء ، تحدثهم وتدلهم ، وتكسوهم بالثياب التي تصنعها من الخرق البالية . ولم يكن بين هذه الدمى واحدة سليمة أو جميلة الشكل ، ولكنها كانت تحبها لبؤسها وسوء حالها . ومن الطريف أنها لفرط عطفها على دماها افتتحت لذوات العاهات منها ملجأ آمينا ، تحوطها فيه بأبلغ ألوان الرعاية والحنان . وكانت تعتر بحطام دمية اشترت لجو في يوم من الأيام ، فعبثت بها خشونتها الطبيعية حتى تحطمت ولم يبق منها إلا جزء يسير ، فألقت بها في صندوق الفضلات وجاءت بث بحنانها المعهود فأنقذت الدمية من مصيرها القس ، وآوتها في ملجأها ، بعد أن غطت جمجمتها المكسورة بقبعة صغيرة وأخفت الأطراف المبتورة تحت ثوب فضفاض . والعجيب أن هذه الدمية المحطمة احتلت أحسن سرير في الملجأ ، وآثرتها بث بأكثر قسط من رعايتها واهتمامها ، فكانت تأتيتها ببقايا الزهور الجميلة ، وتقرأ لها لتسليها ، وتصحبها معها

الى الحديقة لتروح عنها . وكانت تغنى لها قبل النوم ، وتودعها كل ليلة بقبلة ملؤها العطف والشفقة ، ثم تهمس فى أذنها متمنية لها نوما هادئا وأحلاما سعيدة .

وكان لبت متاعبها وأشجانها ، فقد كانت تعشق الموسيقى ، وتجهد نفسها فى تعلم أصولها ، وتؤدى تمريناتها بصبر وجلد ، وكل أملها فى الحياة أن تقتنى معزفا جميلا ، وأن تلقى المساعدة فى دراسة الموسيقى ، ولكن معزف الأسرة كان عتيقا باليا ، ولم يعن أحد بمعونتها فيما تتشد ، فكانت اذا اشتدت بها الهموم ، واستعصت عليها الأنغام ، قنعت بالابكاء وحدها ، ففتساقط دموعها على أصابع المعزف الصفراء ولا من يعلم مبلغ شقائها . وعلى الرغم من ذلك كانت مرحلة طروبا ، تغنى كالكروان وهى تؤدى أعمال البيت الشاقة فى صبر وجلد . وكل أملها أن يحقق الله أمانيتها جزاءً لها على طيبتها وإخلاصها .

العالم ، ولا شك ، ملئ بفتيات مثل ب ، يقنعن بالانزواء ، ويضحين من أجل سعادة غيرهن ، ويعشن فى انكار جميل للذات ، ولا من يحس بعظم نصحيتهن حتى يقضى الله أمرا كان مفعولا ، فتسكت أصواتهن الجميلة عن الكلام ، وتغيب شموهن الساطعة عن الوجود ، فيرحلن عن الحياة وقد خلفن لأحبتهن سيرا عاطرة وذكريات لا تموت .

لو أن سائلا سأل آمنى عن أكبر همومها ومتاعبها ، ما ترددت فى الاعتراف بأنها تعاني الأمرين من أنفها ، الذى يرجع تاريخ مخنتها فيه الى مرحلة الطفولة ، يوم كانت جو تحملها بين ذراعيها ، فسقطت الصغيرة منها عفوا فى اناء الفحم الكبير . ويحلو لآمنى دائما أن تحمل السقطة وزر تشويه أنفها ، وتقول انه لولا إصابتها فى ذلك اليوم ،

ما تغير شكل الأنف وما فسد رسمه الأول الجميل . ولم يكن أنفها في الحقيقة كبيراً أو قبيحاً ، ولكن كان مفرطاً ، وكانت تود أن يكون معتدلاً مستقيماً ، ولما لم تجد في اصلاحه مطولاتها الساذجة الكثيرة قنعت في التعبير عن آمالها الخائبة برسم أنوف جميلة ، ملأت بها صفحات وصفحات .

وكانت ذات موهبة ممتازة في الرسم ، وأسعد أوقات حياتها تلك التي تقضيها في نسخ صور الزهور والورود ، أو في تأليف مناظر عجيبة تصور بها حوادث القمص التي تقرأها . وكان مدرسوها يشكون من أنها تضيع وقتها في ملء لوح الأردواز برسوم الحيوانات ، بدل أن تحل مسائل الحساب ، وأنها تملأ الصفائف البيضاء من أطلسها بنسخ الخرائط المعقدة ، وأن كتابا من كتبها لم ينج من الرسوم الهزلية المختلفة . ولم تكن ممتازة في دروسها مثلما هي ممتازة في رسومها ، ولكنها استطاعت أن تتحاشى العقوبات بالطاعة والنشاط والأدب . هذا إلى إتقانها الغناء والتطريز ، والمامها بالفرنسية بحيث لم تكن تخطيء في نطق أكثر من ثلثي ما تقرأ ، وهو تفوق عظيم بالقياس إلى زميلاتها الأخريات !! وكانت محبوبة من لداتها لمرحها وكياستها ، وتأنقها في اللفظ باستعمال كلمات نحوية في أحاديثها ، مما يكسبها سيماء الأرسقراطية .

وكانت آمل مدللة يحبوها أهلها ومعارفها بالعطف والحنان ، فترعرت بها روح الأنانية ، وازدادت رغباتها التافهة ، ولم يكن يحد من تماديها في تلك النقائص ، سوى الفقر الذي يجرمها من الثياب الأنيقة التي تحبها ، فلم تكن موارد آل مارش تسمح لها بشراء القبعات الحمراء ، والثياب الجميلة المحلاة بالدنتلا ، والمراول المقصومة على



أحسن طراز • وكانت الظروف تضطرها الى أن تستعيض عن كل هذا بما تخلعه عليها بنت خالتها « فلورنس » من ثياب مستعملة ، ربما كانت غالية الثمن غير مستهلكة ، غير أن ذوق الفتاة الفنى كان ينكر تنافر ألوانها وتعقيد قصاتها ، وخلوها من مظاهر الأناقة والجمال • وكان أقبح ما فى خلع فلورنس ، ذلك الثوب الذى أعطته لها هذا الشتاء لتذهب به أمى الى المدرسة ، فقد كان أرجوانى اللون منقوشا بنقط صفراء فاقعة ، وليس فيه قطعة واحدة من الدنتلا تخفف من حدة تنافر ألوانه •

قالت أمى يوما لميج :

— انى أكره ثوب المدرسة ، وأمقت طرازه وألوانه ، ولكن عزائى الوحيد أنه أحسن حالا من ثوب زميلتى ماريا برك ، ولا يمكنك أن تقصورى مبلغ المهوان الذى يلقاه الثوب على يدى أمها ، فأحيانا يرتفع الى ما فوق ركبتيهما ، وأحيانا أخرى يفسد حتى تنقطع الفتاة عن المدرسة لفرط بشاعته • وكلما تذكرت ماريا وثوبها ، أحمد الله على ما أنا فيه ، وتهون على مقاعبى ، فأرضى بكل هم ، حتى أنفى المفرطح وثوب المدرسة القبيح •

وكانت ميج موضع ثقة أمى وناصحتها ، وكانت بث صديقة لجو ، تفتح لها قلبها الصغير على مصراعية دون حرج ، وتبسط عليها سلطانها دون بقية أفراد الأسرة ، وتجد فى أساليب أختها الكبيرة الخسنة ملاذا لعواطفها الحية الجياشة • وكما أن ميج أثرت أمى برعايتها ، كذلك فعلت جو مع بث ، إذ وجدت الأختان الكبيرتان فى تلك الرعاية منفذا

لإظهار عواطف الأمومة الكامنة فيهما ، والتي تطورت بمضى السنوات من اللعب بالدمى الصغيرة الى رعاية الأختين الصغيرتين •

عندما التأم شمل الأسرة في المساء ، وجلس الأخوات يطرزن على عادتهن كل ليلة ، قالت ميج :

— ألا من خبر جديد يسلينا ؟ لقد قضيت يوماً عصيباً ، وأشعر بحاجة الى الترفيه •

قالت جو ، وكانت شغوفة برواية القصص والأحاديث :

— سأحدثكن بما حدث اليوم بينى وبين عمى • لقد اعتدت أن أقرأ لها كتابها الممل في صوت رتيب كظنين النحل ، حتى تستسلم للنعاس ، فأنسل الى غرفة المكتبة أقرأ ما يحلو لى من كتب مسلية بسرعة خاطفة قبل أن تستيقظ • وكنت أشعر في صباح اليوم بممل شديد ، وأشعر بحاجة الى ماينعش نفسى ، فأكسبت صوتى رنيناً ناعساً لأشجعها على النوم ، وعندما رأيت جفنيها ينطبقان ، توقفت فاغرة الفم عن القراءة ، ولكن العجوز رأتنى لسوء الحظ ، فتنبهت وسألتنى لماذا أفتح فمى واسعا هكذا ، حتى أجعله يتسع لكتاب كامل ؟ قلت وأنا أتظاهر بالأدب :

— ليتنى أملك ذلك الفم ، لأبتلع هذا الكتاب وأستريح منه •

وأغضبها كلامى فألقت علىّ محاضرة طويلة تعد فيها أخطائى وزدائلى ، وطلبت إبنىّ أن أجلس الى نفسى فأحاسبها على شرورها ، ريثما تغفو قليلاً • ولم أجد مفراً من النزول عند إرادتها والعمل بنصيحتها ، فأخرجت من جيبي كتاب « قس ويكفيلد » وجعلت أقرأ فيه بعين ، والعين الأخرى على عمى ، وما إن وصلت في قراءتى الى حيث سقط

الأبطال جميعهم في الماء حتى نسيت حذرى وأدبى ، وانفجرت ضاحكة •  
واستيقظت عمى على صوتى • ولكن انوم كان قد أكسبها هدوءاً ،  
فلم تؤنبنى ، وكل ما فعلته أن أمرتني بأن أقرأ لها في ذلك الكتاب السخيف  
الذى أفضله على كتابها القيم الثمين • وقرأت كأحسن ما أستطيع ،  
فأعجبها الكتاب وإن قالت في النهاية :

— لست أفهم ما يرمى إليه المؤلف بهذا الكلام ، فأعيدى القراءة  
من البداية !!

وبدأت القراءة من جديد ، وبذلت جهدى في أن أجعل الموضوع  
مفهوماً لها ، ثم حلالى أن أعاكسها ، فلما وصلت الى موقف مثير ، توقفت  
عن القراءة فجأة وقلت لها :

— أخشى أن القراءة قد أتعبتك ، أفلا يحسن أن ننتهى عند هذا  
الحد ؟

وكان تطريزها قد سقط في حجرها ، فلما سمعتنى أقول هذا ،  
تناولته بيديها ، وألقت على من خلال منظارها نظرة قاتلة وقالت :

— استمرى في القراءة الى نهاية الفصل ، ويحسن أن لا تكونى  
وقحة يا آنسة •

قالت ميج ضاحكة :

— وهل اعترفت بأن الكتاب أعجبها ؟

قالت جو :

— لا ••• طبعاً ••• لم تعترف ، ولكنها هجرت كتابها الأول ، وعندما  
حان وقت عودتى الى البيت ، دخلت آخذ قفازى من غرفتها ، فرأيتها

تلتهم « قس ويكفيلد » بشوق بالغ ، شغل حواسها عن كل شيء عداه ، فلم تسمعنى وأنا أضحك طربا وبهجة • إني أشفق عليها لأنها تعمق حياتها بنفسها ، ولمست أحسدها على ثرائها الطائل ، فلأفنياء أيضا متاعبهم الجسيمة •

قالت ميح :

— أما أن فقدت وجدت اليوم أسرة كنج في هرج ومرج ، وأخبرتني ابنتهم الصغيرة أن أباها الأكبر أتى فعلة شنعاء ، طرده أبوه على أثرها من البيت ، وسمعت نحيب مسز كنج وصياح مستر كنج ، وعندما مرت بى بنتاهما الكبيرتان جريس وآن ، التفتنا الى الناحية الأخرى حتى لا أرى عيونهما التي قرحها البكاء • ولم أسأل بطبيعة الحال عما حدث ، فليس من الأدب أن أتطفل على شئون الغير ، ولكنى حزنت من أجل هذه الأسرة ، وحمدت الله أن ليس لنا أخ يأتى شرورا تشين العائلة •

فهزت أُمى رأسها هزة الحكيم المحنك وقالت :

— حدث اليوم فى مدرستنا ما يشبه ذلك ، فقد حضرت سوزى بيركنز وفى أصبعها خاتم أحمر اللون ، وددت لو كان لى مثله لأزهو به على أترابى ، ولكن هذا أمر آخر • المهم أن سوزى جلست فى الفصل ترسم صورة لمدرسنا مستر دافيز ، وجعلت له فيها أنفا هائلا ، وظهرها أحذب ، وأخرجت من فمه كلاما يقول فيه : « عينى عليك أيتها الفتيات » وبينما كنا نضحك من الصورة الهزلية ، إذا بعين مستر دافيز تقع علينا فعلا ، فاستدعى سوزى إليه ، وأمرها أن تحضر رسمها معها • وكادت المسكينة تجن لفرط فزعها ، ولكنها اضطرت أن تذهب إليه ، وبين يديها دليل جريمتها ، فشد أذنها ، ثم جرّها الى المنصة ، وأمرها بالوقوف

فوقها نصف ساعة تحمل الصورة بحيث يراها تلميذات الفصل كلهن ،  
تصورى هذه القسوة والبشاعة !! اعتقد أن أخطاء المدرسة أشد خطرا  
وأعمق أثرا من أى خطأ فى الحياة .

سألتها جو :

— ألم يضحك البنات لما أصابها ؟

أجابت أمى :

— بل انكمشن كالفيران ، وغلبت الدموع سوزى ، فبكت ما شاء  
لها البكاء . وعندئذ رثيث لحالها ، وعرفت أن خواتم العالم كله لا تعوضها  
عن إهانتها البالغة ، ولو كنت فى مكانها ما نسيت هذه اللحظة طول حياتى .  
وتناولت تطريزها ، تعمل فيه مطمئنة الى سموها على مثل هذه المواقف  
المخجلة .

قالت بث ، وهى ترتب أدوات التطريز التى اختلطت فى سلة جو :

— نسيت أن أحدثكن على العشاء بما رأيته هذا الصباح ، عندما  
ذهبت الى السوق أبتاع بعض لوازم حنا ، فقد رأيت مستر لورنس  
العجوز فى متجر الأسماك ، ولكنى حرصت على الاختفاء وراء برهيل  
كبير حتى لا يرانى . ودخلت حينئذ امرأة فقيرة تحمل دلوأ به مكنسة  
وفرشاة ، وسألت صاحب المتجر أن يسمح لها بتنظيف المكان لقاء قطعة  
من السمك تطعم بها أطفالها الجياع . وكان البائع مشغولا بعمله ، فصرفها  
بخشونة ، فاستدارت المرأة الى الباب وعلى وجهها أبلغ أمارات الحزن  
والياس . وفى هذه اللحظة رأيت مستر لورنس يأخذ من المتجر سمكة  
كبيرة ، ويعطيها إياها ، فاجتذبتها من يده فرحة مسرورة ، وخرجت تحتضنها

وتقول : « سأسرع بطهيها لأطفالي الجياع » • وشعرت أن لمستر لورنس مكانا فسيحا في الجنة ، فليس أجمل من أن تدخل السعادة على قلوب المحرومين •

وعندما انتهت بث من قصتها ، التقت أخواتها الى أمهن ، وطلبن إليها أن تروي لهن بدورها خبرا ، فقالت بعد تفكير قليل ، وقد بان الجد على وجهها :

— بينما كنت أعمل اليوم في تفصيل ملابس الجنود بدار الجمعية ، حملتني أفكارى الى والدكن فاستبدت بى القلق على حياته ، وتمنيت الى الله أن يحفظه من كل سوء ، حتى لا نعيش بعده في وحدة وعجز • وما كان يصح أن أفكر هكذا ، ولكن تلقى عليه أخرجنى عن حكمتى • ودخل رجل مسن يطلب بعض المهمات ، فرأيت في وجهه مظاهر التعب والفاقة والقلق ، وأردت أن أسرى عنه ، فبدأته الحديث قائلة :

— ألك أولاد في الجيش ؟

أجاب بهدوء :

— نعم يا سيدتى ، أخذ الجيش منى أربعة أولاد ، قتل منهم أثنان ، وأسر الأعداء الثالث ، أما الرابع فجريح في مستشفى واشنجلتون ، وقد جئت الآن أطلب له المهمات •

وانقلبت شفقتى عليه احتراما له فقالت :

لقد ضحيت كثيرا من أجل وطنك •

قال :

— لم أضح أكثر من غيرى ، إنه الواجب يا سيدتى ، وقد كنت

كنت أتمنى أن أحارب في الجبهة دفاعا عن وطنى ، ولكنى عجوز مريض لا أصلح للقتال ، ولذلك قدمت أولادى عوضا عنى ، ولا أبتغى من وراء ذلك شكرا أو جزاء •

وكان يتكلم بمرح كأنه سعيد بتضحيته ، وشعرت بالخجل من نفسى ، وكرهت أن أقدم للوطن رجلا واحدا ، ثم أطلب الله بسلامته • كنت أظن أننى قدمت بزواجى كثيرا ، فتبينت خطأى أمام ذلك الأب الباسل الذى أعطى الوطن راضيا أربعة أولاد ، ذهب ثلاثة منهم ، والله يعلم بمصير رابعهم الجريح • وهانت علىّ تضحيتى عندما تذكرت أن لى بناتا حبيبات يؤنسن وحدتى ، ويذهبن وحشتى ، وإنها لثروة طائلة من السعادة • وأعطيت الرجل هدية طيبة ، ومنحته بعض المال شاكرة له الدرس الخلقى الذى تعلمته عنه •

وساد السكون برهة ، ثم قالت جو :

— علينا بقصة أخرى يا أماء ، يكون لها مغزى جميل كهذه ، فإنى أحب أن أستعيد فى وحدتى ما تقولين ، بشرط أن يكون حقيقيا وليس فيه وعظ كثير •

فابتسمت مسر مارش ، وبدأت لفورها قصة أخرى ، وكانت تعرف ما يعجب سامعاتها الصغيرات ، قالت :

— إنها قصة أربع فتيات ، أنعم الله عليهن بحاجتهن من طعام وشراب وثياب ، وكذلك أنعم عليهن بوالدين طبيين ، وأصدقاء مخلصين ، وبالرغم من كل هذه النعم لم يكن البنات راضيات ...•••

وهنا التفتت السامعات بعضهن الى بعض ، ثم انحنين على تطريزهن  
يشتغلن فيه بجد واجتهاد •

واسترسلت الأم في حديثها فقالت :

— كن في الحقيقة بنات طبيبات ، يتقنن الى فعل الخير ، ولكنهن  
أخطأن الطريق إليه لسبب ما ، وانسقن وراء مطالب الدنيا الغرور ،  
فنسين ما أنعم الله عليهن به ، وتطلعن الى مزيد من الترف والرخاء •  
وزايلتهن السعادة ، فذهبن الى عجوز يطلبن منها طلبا يفتح أمامهن  
أبواب الهناء ، فقالت لهن : إذا أعوزكن رضا النفس ، تذكرن نعم الله  
عليكن ، وانظرن ما تمترن به على غيركن ممن هم أقل منكن حظا ، وتأتن  
السعادة مسرعة ، وتنتفتح لكن أبواب السلام •

وهنا رفعت جو رأسها بسرعة ، كأنها تريد أن تتكلم ، ولكنها عدلت  
عن رأيها حتى تنتهي أمها من القصة •

ومضت الأم في حديثها تقول :

— وكن في الحقيقة بنات عاقلات ، فأخذن بنصيحة العجوز ، وعملن  
بمشورتها ، فإذا بالسعادة تأتيهن غامرة : فقد إكتشفت إحداهن أن المال  
لا يحمى بيوت الأغنياء من العار ، وتبينت الثانية أنها على فقرها أسعد  
ألف مرة من عمة ثرية مريضة ، وعرفت الثالثة أنها إذا كانت تتعب وتشتقى  
في كسب رزقها فتعبها وشقاؤها أكرم وأفضل من مذلة السؤال ، وتعملت  
الرابعة أن الخواتم الحمراء الثمينة لا تعوض خسارة الإنسان في  
الأخلاق • وهكذا انبلجت الحقائق أمام البنات ، فأقلعن عن الشكوى  
والتذمر ، ورضين بنصيبيهن في الحياة ، وبدأن سيرة جديدة عاطرة لا بطر  
فيها بنعمة الله •



صاحت ميج بأمرها تقول :

— والله إنها لمهارة يا أماه ، أن تشهري قصصنا أسلحة في وجوهنا ،  
وتقلبيها الى حكم وعظمت •

وقالت بث في تأمل وتفكير :

— إني أحب هذه العظمت ، لأختها تذكرنى بما كان يقوله لنا أبى •

وقالت أمى معجبة بالمغزي الحسين :

— ليس من طبعى أن أشكو كثيرا ، ولكنى سأضعف من اليوم  
حذرى ، فقد كان فيما أصاب سوزى درس لن أنساه •

## الفصل الخامس

### حقوق الجار

في عصر أحد الأيام ، دخلت جيو الردهة ، وهي تلبس حذاءها الطويل المطاط ، وتتدثر بمعطف قديم سميك ، وكانت تحمل في إحدى يديها مكنسة ، وفي الأخرى مجرفة ، فسألتها أختها ميح :

— ما وراءك يا جو ؟

أجابت بخبث :

— سأخرج في رياضة قصيرة .

قالت ميح وهي ترتجف بردا :

— ألم تكفك رياضة الصباح ؟ لقد سرنا طويلا مرتين ، والبرد الآن

شديد في الخارج فأنصحك أن تبقى معي هنا ، حيث الدفء والجفاف .

قالت :

— وفري عليك نصيحتك ، فلست قطة كسولا أقضى اليوم كله

ساكنة في البيت ، إننى شغوفة بالمخاطرات ، وسأخرج الآن بحثا وراءها .

وتركتها ميح تفعل ما تشاء ، راضية لنفسها بالجلوس الى جانب

النيران وبين يديها قصة « ايفانهو » وانصرفت جو الى الخارج تشق

طريقها بين الثلوج المتراكمة في الحديقة . ولم تكن الثلوج قد تماسكت

بعد ، فلم يكن من العسير عليها أن تشق طريقا بمجرفتها ومكنستها ،

وغرضها من ذلك أن تهيبء لبث أسباب النزهة اليومية في صحبة دماها

المشوهات . . وكان منزل آل مارش يقع في ضواحي المدينة ، حيث تمتد

الأحراش ، وتكثر الحدائق والحشائش الخضراء ، وكان بيتا أكسبه الشتاء لونا بنيا ، عبث الصقيع بحديقته ، فجردها من زهورها وخضرتها • وفي نهاية الحديقة سياج قصير على الجانب الآخر منه قصر مستر لورنس العجوز ، وكان القصر جميل البناء تدل مظاهره على اكتمال وسائل الراحة والرفاهية فيه ، فمن حظائر كبيرة للعربات الى مسطحات سندسية خضراء الى بيوت زجاجية تحوى أجمل الزهور • وعندما تتفرج الستائر قليلا عن نوافذه ، يستطيع الناظر إليه من الخارج أن يرى الرياش العظيم ، والأثاث المريح • ولكن رغم هذه الميزات العدة ، كان البيت يبدو خلوا من الناس ، فلا وجه يطل من نوافذه ، ولا طفل يلعب في حديقته ، ولا ضجيج يوحى بالأنس والبهجة ، وهو أمر طبيعي ما دامت الأسرة قد اقتصرت على الجد وحفيده ، والأصدقاء القليلين يترقون أبوابه •

وكانت جو بطبعها ذات خيال واسع حى ، فكأيت تعتبر بيت لورنس قصرا مسحورا يمتلىء بالمتع والمسرات التى لا يمكن أن توجد فى مكان غيره • وكلم تأقت نفسها الى رؤية ما فيه من سحر وعظمة ، وكلم تمننت أن تتعرف بلورنس الصغير الذى تدل مظاهره على أنه يرحب بمعرفتها ولكنه لا يعرف من أين يبدأ صداقته معها • ومنذ أن تلاقيا فى ليلة المرقص ، رسمت خططا كثيرة لاكتساب صداقته ، فلم يشأ القدر أن تتحقق واحدة منها ، إذ إختفى الصبى عن عينيها فى المدة الأخيرة ، حتى ظنت أنه قد سافر الى مكان ما • وظل الحال على هذا المنوال ، الى أن خرجت أمى وبث الى الحديقة ذات يوم ، تلهوان بكرات تصنعانها من الجليد وتتراشقان بها فى عبث ومرح ، وعندئذ رأت جو وجه الصبى يطل من النافذة العليا على أختيها وفى عينيه شوق مكبوت الى اللهو معهما • فقالت تحدث نفسها :

— إن هذا الصبي في وحدة قاتلة ، وجدده العجوز يجهل صاحبه فيحرمه من حريته ، ويغلق الأبواب دونه • إنه في حاجة الى صحبة طيبة ورفاق يمتلئون شبابا وحيوية ، وتحذونى رغبة شديدة في أن أزور السيد العجوز ، وأرشدته الى ما فيه خير حفيده •

وأعجبت جو بالفكرة الجريئة ، ولكنها اجتفظت بها حتى تاتى الفرصة المناسبة •

وفي عصر ذلك اليوم البارد ، الذى رأته فيه ميح تخرج الى الحديقة بمكنستها ومجرفتها ، كانت جو قد قررت أن تفعل شيئا ، بعد أن رأته مستر لورنس العجوز يستقل عربته وينصرف عن البيت لقضاء بعض الشؤون ، فنزلت الى الحديقة تمهد طريقا فى الجليد يتجه نحو السياج ، فلما انتهت من مهمتها ، وقفت تجيل بصرها فيما حولها • وكان كل شئ هادئا ساكنا ، فستائر القصر مسدلة ، وخدمته لا أثر لهم ، ولم تقع عينها إلا على الصبي لورنس وهو يرسل النظر ساهما من وراء زجاج النافذة ، وقد أسند رأسه الى يده • قالت لنفسها :

— يا للأسى ! إن الصبي يقبع فى البيت وجيدا مريضا فى مثل هذا اليوم العبوس ، سأرميه بكرة من الجليد ، لألقت نظره ، فأحياه •

وجمعت قبضة من الجليد الناعم ، وشكلتها فى كرة صغيرة ، ثم ألقت بها الى النافذة ، فالتفت الصبي نحوها ، وذهب شروده عنه ، وافتر ثغره عن ابتسامة مشرقة • وألقت إليه بتحيتها ضاحكة ، ولوحت له بمكنستها ، وصاحت تقول :

— كيف حالك ؟ أمريض أنت ؟

وفتح لورى النافذة ، وقال فى صوت مبجوح :

— قد أصابنى برد شديد ، أقعدنى الفرائس أسبوعا ، ولكنى اليوم أحسن حالا •

قالت :

— يؤسفنى أن تمرض ، ولكن ماذا تفعل بنفسك طوال الوقت ؟

قال :

— لا شىء ، إن البيت فى وحشة القبور •

قالت :

— ألا تقرأ كتابا ؟

قال :

— ممنوعونى من القراءة حتى أسترد عافيتى •

قالت :

— ألا تجد من يقرأ لك ؟

قال :

— جدى يقرأ لى أحيانا ، ولكن كئيبى لا تروقه ، وأكرهه أن أثقل على رائدى « بروك » •

قالت :

— ألا من صديق يقرأ لك ؟

قال :

— ليس لى صديق فى هذا البلد ، وأخشى إن دعوت فتيانا ،

أن يصدعوا رأسي بضجيجهم وضخبهم .

قالت :

— إن البنات هادئات بطبعهن ، ولعبة التمرريض محببة لهن ، أفلا من صديقة تقرأ لك وتسليك ؟

قال :

— لا أعرف فتاة واحدة ، مع الأسف .

قالت :

— ولكنك تعرفني .

ثم ضحكت وتوقفت عن الكلام ، فصاح بها فرحا :

— صدت ، فهلا تكرمت بالحضور قليلا ؟

قالت :

— لست بنتا هادئة كما تعتقد ، ولكن يسرنى أن ألبى الدعوة إذا أذنت لى أمى بذلك . فأغلق نافذتك ، حتى أستأذنها .

وأسندت مكنستها الى كتفها ، وسارت الى البيت بخطى واسعة ، وهى تتسائل عما يقوله أخواتها عندما تروى لهن ما حدث .

وهرع لورى يستعد للقاء الفتاة فرحا بحضورها ، وكان سيديا مهذبا كما وصفته مسز مارش ، فمشط شعره ، وغير بنيقته ، ثم عكف على الحجره ينظمها بنفسه ، رغم وجود ستة خدم يقفون على خدمته . وسرعان ما علا رنين الجرس فى البيت ، وسمع صوتا يسأل عن

« مستر لورى » ، ثم أقبلت عليه الخادم تعلن فى دهشة بالغة قدوم سيدة صغيرة •

قال لورى وهو يتجه الى الردهة ليقابل جو :

— إنها مس جو ، فأرجو أن ترشديها الى •

ودخلت عليه جو فى بسمه هادئة ، وكانت تحمل فى إحدى يديها صحنًا ، وفى اليد الأخرى قطيطات بث الثلاث قالت بحماسة :

— جئت بكامل عدتى وعتادى ، والدتى تقرئك السلام وقد سرها أن أزورك وأسليك ، وفى هذا الصحن فطائر صنعتها ميج ، ويسرها أن تتذوقها لتقتنع بمهارتها ، أما بث فقد أصرت على أن أحمل إليك قطيطاتها عسى أن تجد فيها شيئًا من التسلية • وكنت أخشى أن تضايقك القطيطات ولم أكن أريد أن أحضرها معى ، ولكن قلبى لم يطاوعنى على إيلاء بث إذ كانت شديدة الرغبة فى أن تساهم بنصيب من الترفيه عنك •

وزايل لورى خجله الشديد ، فضحك من القطيطات ، وأقبل على زائرته يحدثها فى غير تردد أو حرج •

وكشفت جو الغطاء عن الصحن ، فظهرت الفطائر الشهية مزينة بزهور من آمى ، فقال باسما :

— إن منظرها جميل ، وحرام أن أفسد هذا الجمال بالتهاهما •

قالت :

— إنها هدية بسيطة ، وقد أردنا بها أن نعبر عن ودنا لك ، فاطلب

الى خادمك أن تحفظها لك حتى يحين موعد الشاي • هذه فطائر بسيطة ،  
وستجدها سهلة الهضم ، شهية المذاق •

وتلفتت حولها تتأمل الغرفة وقالت :

— يا للحجرة المريحة !

قال :

— إنها بالفعل مريحة ، ولكنها في حاجة الى التنظيم ، والخدمات  
هنا غاية في الكسل ، ولست أعرف كيف أجبرهن على العمل •

قالت ، وهي تنهض من مكانها :

— أنا أرتبها لك في دقيقتين ، فالرماد أمام المدفأة تزيله الفرشاة  
هكذا ، وهذه الأشياء يستقيم شكلها هكذا ، والكتب توضع هنا ،  
والزجاجات في الناحية الأخرى ، وأفضل أن أدير الأريكة حتى لا تواجه  
الضوء ، وفي رأيي أن وسائدنا محشوة أكثر مما يجب • والآن ، نظمت  
الغرفة وانصلح كل شيء •

وكانت على حق ، فقد استطاعت في خلال حديثها المرح أن تضع  
الأشياء في مواضعها ، فإذا بالغرفة تبدو جميلة أنيقة مريحة • ووقف لورى  
يتبعها بأنظاره صامتا ، فلما انتهت من عملها ، ودعته الى الجلوس على  
الأريكة ، نادت عنه تنهده عامرة بالرضى • قال يشكرها :

جميل منك أن تفعلنى هذا كله ، وقد رتبته كما أريد تماما • هلا  
تفضلت بالجلوس على هذا المقعد الكبير ، وسمحت لى أن أسلى ضيفتى ؟

قالت :

— بل أنا أسليك ، فهل تحب أن أقرأ لك ؟



والتفتت نحو مجموعة كبيرة من الكتب ، فقال لها :

— شكرا ، فقد قرأت هذه الكتب كلها ، وأفضل أن نتبادل الحديث  
إذا شئت .

قالت :

— في مقدورى أن أتكلم طول النهار ، وتقول بث إننى متى بدأت  
فمن العسير أن أنتهى .  
سألها باهتمام :

— من منكن بث ؟ أهى الفتاة الصغيرة ذات اللخدود الوردية ، التى  
تقضى معظم الوقت فى البيت ، وتخرج أحيانا وفى يدها سلة صغيرة ؟  
أجابت :

— نعم ، إنها فتاة مدهشة ، وأنا أحبها من صميم قلبى .

قال :

— والحناء هى ميج ؟ وذات الشعر المجعد هى أمى على ما أعتقد ؟

قالت جو :

— كيف عرفت ؟

ولحمر وجه لورى خجلا ، ولكنه أجاب فى صراحة :

— كثيرا ما أسمعكن تتنادين بعضكن بعضا ، وأراكن أحيانا تنتقلن  
بين أرجاء البيت ، وعندما تتركن نافذة البهو مفتوحة ، وتضعن الأنوار  
( م ٧ — نساء صغيرات )

في الداخل ، أشاهدكن تجلسن مع واندتكن حول المائدة ، فيخيل إلى انى أتأمل لوحة زيتيه رائعة • إنى أقضى معظم الأوقات وحيدا ، وقد فقدت والدى مند زمن طويل ، وحرمت متعة الأسرة ، وعندما أرى ستائركن مرفوعة ، يسوقنى الإغراء الى التطلع نحوكن ، فأستميحكن عذرا لجرأتى •

وانحنى على الموقد يحرك نيرانه ، فرأت جو في وجهه مظاهر تأثر بالغ ، يحاول جاهدا أن يخفيه ، وكانت الفتاة بطبعها طيبة صريحة ، فألمها أن تقتله الوحدة ، وهى بأمرها وأخوتها سعيدة مرحة ، قالت في صوت ناعم يفيض بالحرارة والحنان :

— لن نسدل الستائر بعد اليوم ، ويسرنا أن نتطلع إلينا متى شئت ، ورأبى أن تزورنا في بيتنا ، وتشاركنا جلساتنا ، وسوف تعجب بوالدتى كل الإعجاب ، لأنها امرأة عظيمة بمعنى الكلمة • ولن تندم على زيارتنا ، فستغرقك والدتى بأكوام من الخبز ، وتغنى لك بث إذا أردت ، وترقص لك أمى في خفة الطيور ، وسأضحك أنا وميج على معدات مسرحنا الطريف ، وهكذا نقضى معا أمتع الأوقات وأبهجها • ولكن أيسمح لك جدك بزيارتنا ؟

قال ، وقد ازداد وجهه إشراقا :

— أظنه يوافق اذا طلبت إليه والدتك ، فهو طيب رغم مظهره الخشن ، ولا يمنعنى من أن أفعل ما أريد ، وكل ما يخشاه أن أثقل على الأغراب •  
— لسنا أغربا ، إنما نحن جيران ، وإن تنقل علينا بزيارتك ، وقد كنا نود معرفتك من زمن طويل ، وقمنا في سبيل ذلك بمحاولات كثيرة •

نحن أسرة ودود ، ومع أننا نزلنا هذه البقعة من عهد قصير ، فقد صرنا أصدقاء لأهل الحي كله .

قال :

— إن جدى يعيش مع كتبه فقط ، ولا يهتم بما يحدث فى الخارج ، ورائدى لا يسكن معنا ، ولذلك لا أجد رفيقا أخرج معه ، فأضطر الى البقاء فى البيت وحيدا معظم الوقت .

قالت :

— أنا لا أتفق معك فى هذه السياسة ، ورأى أن تترور وتزار ، حتى يزداد أصدقاؤك ، وتتوافر لك أسباب الترفيه ، ولا تخش الخجل فإنه مع المثابرة يزول .

واحمر وجه لورى مرة ثانية ، ولكنه لم يغضب من كلامها ، فقد كانت ملاحظاتها الجريئة ، عامرة بالمعطف والحنان .

قال يغير الموضوع :

— أتحبين مدرستك ؟

أجابت :

— إنى لا أذهب الى المدرسة ، لأننى رجل أع . . . أقصد فتاة أعمال وأستغل وصيفة لعمة عجوز ثائرة المزاج .

وفتح الفتى فمه يسألها أمرا ، ولكنه أمسك عن الكلام قبل أن ينطق به ، خشية أن تظن به التطفل .

وأعجبت جو بأدبه ، ولم تر بأسا من أن تسليه قليلا بأحوال عمتها ،

فشرعت تصف له العجوز النائرة . وكلبها المدلل السمين ، وبيغاءها التي تتقن الحديث باللغة الإسبانية ، ثم مكتبتها العامرة بأجمل المؤلفات والمصنفات . وسر الفتى بحديثها سرورا بالغا ، فلما روت له ما حدث يوم حضر سيد عجوز أنيق يخطب عمتها ، فغافلته البيغاء الخبيثة ، واختطفت شمره المستعار من فوق رأسه الأصلع ، استلقى لورى على ظهره مقهقها ، وسالمت الدموع على خديه لفرط الضحك ، فتأطلت إحدى الخادمت برأسها من الباب ، تطمئن على سيدها الصغير .

ورفع الفتى إليها وجها ضاحكا وقال :

— يا لها من قصة ، امض في الحديث يا لله عليك ، فقد أفادني انضحك كثيرا .

ومضت جو في حديثها ، وقد طربت لنجاحها العظيم ، فقصت عليه أخبار تمثيلياتها ، وأنباء خططها ، وأحوال عالمها الصغير ، الذي تعيش فيه مع أخواتها آمنة ، ثم انتقل الحديث الى الكتب ، فوجدت لمزيد سرورها ، أنه يحب القراءة أكثر مما تحبها .

قال لها الفتى ، وهو ينهض من مجلسه :

— إذا كنت تحبين الكتب الى هذا الحد ، فهيا بنا الى غرفة المكتبة ولا تخشى شيئا ، فجدى ليس بالبيت .

قالت في اعتراض بشجاعتها :

— أنا لا أخشى أحدا .

فنظر إليها نظرة ملؤها الإعجاب ، وتصور ما قد يحدث إذا تصادف

أن اصطدمت مثل هذه الفتاة الجريئة بجده وهو في ثورة من ثرراته •  
ولكنه قال :

— أعتقد ذلك فلست ممن يخافه الناس •

وكان البيت دافئاً ، فسار بها لورى من غرفة الى غرفة ، وهى تتأمل  
ماحولها باهتمام شديد ، حتى وصلا الى حجرة المكتبة ، ما إن ولجت  
جو أبوابها حتى صفقت بيديها طربيا ، على عاداتها كلما رأت شيئا يعجبها •  
وكانت الجدران مغطاة برفوف انتظمت عليها مئات الكتب والمؤلفات ،  
وأركانها مزينة بالتماثيل والنصور ، وكان فيها — فضلا عن ذلك — خزائن  
زجاجية ، تحوى نقودا أثرية وتحفا تاريخية ، وتحيط بهذه الخزائن  
مقاعد وثيرة وموائد أنيقة ، وكان أجمل ما فى الغرفة كلها مدفأة واسعة ،  
صنعت من القرميد المنقوش •

وتتهدت جو ، وهى تغوص فى أعماق مقعد مكسو بالمخمل الناعم ،  
وجعلت ترسل النظر الى ما حولها بإعجاب واغتراب • وقالت :

— يا للثراء الممتع ! ثيودور لورنس ، أعتقد أنك أسعد أهل الدنيا  
كلها •

فهر الفتى رأسه ، وقد أسند ذراعيه الى مائدة قبالتها ، وقال :

— لا يعيش الإنسان على الكتب وحدها •

وقبل أن ينتهى من حديثه ، تعالى رنين الجرس فى البهو الخارجى ،  
فقفزت الفتاة من مجلسها ، وقالت بخوف :

— إنه جدك ••• رحماك يا إلهى !

أجاب الفتى بغيث :

— ظننت أنك لا تخافين أحدا ؟ !

فقلت تتظاهر بالشجاعة ، وإن ظلت أنظارها عالقة بالباب :

— إني خائفة قليلا ، ولست أرى في الحقيقة داعيا لذلك ، فقد

استأذنت والدتي في زيارتك ، ولا أعتقد أن صحتك ساعت بحضورى •

قال الفتى :

— بل أفادتني زيارتك كثيرا ، وأشعر بتحسن عظيم ، وكل ما أخشاه

أن تكوني قد تعبت لكثرة الكلام ، ولكنها كانت قصصا ممتعة حقا .—

ولم يطاوعني قلبي على قطعها •

ودخات الخادم تعلن حضور الطبيب ، فقال لورى لجو :

— أضيرك أن أتركك لحظة واحدة ، حتى أستقبل الطبيب ؟

أجابت :

— اذهب إليه ، ولا تبال بي . فأنا سعيدة في هذه الغرفة الساحرة •

وخرج الفتى ، فقامت جو تجول في أنحاء الغرفة ، وتتسلى بما فيها ،

الى أن وصلت الى لوحة زينتية كبيرة لمستر لورنس العجوز ، فوقفت

تنظر إليها بتأمل شديد ، وسمعت الباب يفتح خلفها ، فقالت دون أن

تدير رأسها :

— أنا لا أراذ وسيما كجدي ، ولكنه يعجبني ، فعيناه صريحتان ،

وجبينه المقطب يفيض بالقوة والصلابة . وأعتقد أنني لن أخاف منه إذا

قابلته •

قال من خلفها صوت خشن :

— أشكرك يا آنسة :

ولبالغ دهشتها ، رأت مستر لورنس العجوز يقف وراءها ، فتخضب وجهها بحمرة الخجل ، وأسرت دقات قلبها ، وعندما تذكرت ملاحظتها أمام صورته ، تملكها رغبة ملحة في أن تطاق ساقها للريح ، وتعود الى بيتها بأسرع ما تستطيع ، ولكنها كرهت أن تفعل ذلك ، حتى لا يتهمها أخواتها بالجبن ، ويضحكن منها •

واسقرت رأيها على البقاء ، وشجعها على ذلك أن رأت في عيني العجوز طيبة وحنانا ، لم تلمسهما في صورته الزيتية قبل حضوره • قال الجد ، في صوت أكثر خشونة من ذي قبل :

— إذا فأنت لا تخافينني يا آنسة ؟

قالت :

— ليس كثيرا يا سيدي :

قال :

— وترين جدك أكثر وسامة مني ؟

قالت :

— الى حد ما يا سيدي •

قال :

— وجيبينى المقطب يفيض بالقوة والصلابة ؟

قالت :

— أظن ذلك يا سيدي •

قال :

— ومع كل هذا أعجبك ؟

— نعم ، أنت تعجبني يا سيدي •

وسر العجوز بحديثها ، فضحك ضحكة قصيرة ، وصافحها مرحبا ،  
ثم وضع أصبعه تحت ذقنها ، ورفع وجهها إليها يفحصه مليا ، ثم قال  
وهو يوميء برأسه :

— لقد ورثت عن جدك أخلاقه وشكله ، وكنت أأخر بصداقته —

لا لحسن معاشرته وحسب ، فقد كان أيضا رجلا شجاعا أمينا صادقا •

وارتاحت الفتاة لكلامه كل الارتياح ، فزال عنها خوفها المسبق ،

وقالت :

— أشكرك يا سيدي •

سأها فجأة :

— ماذا كنت تصنعين بحفيدي ؟

أجابت :

— أردت أن أكون له جارة طيبة •

تم روت له القصة من بدايتها الى نهايتها ، وكيف أتت لزيارة لوري ،

قال :



— أتظنين أنه يحتاج إلى صحبة مرحة؟

قالت بلهفة :

— بلا شك يا سيدي • إنه وحيد ، وصحبة الشباب يفتيده ، وكلنا فتيات مع الأسف ، ولكن يسرنا أن نرفه عنه ما استطعنا ، فما زلنا نذكر الهدية الفاخرة التي بعثت بها إلينا في ليلة العيد •

قال :

— لا ... لا ... إنها فكرة الصبي ، ولكن كيف حال المرأة الفقيرة؟

قالت :

— تحسنت صحتها يا سيدي •

ثم شرعت تقص عليه في عبارات سريعة أخبار آل هامل ، الذين بادرت أمها إلى مساعدتهم قبل الأغنياء • قال :

— إنها طريقة أبيها في فعل الخير ، وقد أخذت عنه قلبه الكبير ، فأخبريها بأنني آت لزيارتها في يوم قريب •

ودق الجرس في هذه اللحظة ، فاستطرد الجدي قلئلا :

— حان موعد الشاي ، ونحن نتناوله مبكرا من أجل الصبي ، فابقي معنا ، ولستمرى في أن تكوني لحفيدي جازة طيبة •

قالت :

— كما تريد يا سيدي •

قال ، وهو يقدم لها ذراعه تستند إليه ، حسب التقاليد القديمة :

— لو لم أكن أريد بقاءك ، ما دعوتك إلى البقاء •

وسارت بجانبه الى غرفة الشاي ، وعيناها تلمعان طربا ، لما سوف  
تقصه على أخواتها عندما تعود الى البيت • قالت في نفسها :

— ترى ماذا تقول ميح ، فيما حدث اليوم ؟

هتف العجوز متعجبا :

— ماذا دهى الصبى ؟ !

فقد كان لورى يهبط السلم جريا ، ثم توقف دهشا ، عندما طالعته  
المنظر العجيب منظر جو تستند الى ذراع جده المخيف •

نظرت الفتاة بانتصار ، فقال لجدته معذرا :

— لم أكن أعلم بعودتك يا سيدي •

قال الجد :

— فهمت ذلك من جريك على السلم ، تعال معنا الى الشاي ، وكن  
مضيفا كريما أيها السيد الصغير •

ثم جذب شعر الفتى مداعبا مدللا ، وتقدم بجو نحو غرفة المائدة ،  
وكان لورى يسير خلفهما ، ويقوم بحركات فكاوية ، كادت الفتاة تنفجر  
معها ضاحكة • وجلس الثلاثة معا ، فلم يتكلم الجد كثيرا ، وقنع بارتشاف  
أربعة أقداح من الشاي صامتا ، وكان طول الوقت ، يراقب الصغيرين  
في مرحهما ، ويصنئ الى أحاديثهما البريئة المسلية فلم يفتته ذلك التغير  
العجيب الذى انتاب لورى : فقد كان الصبى مشرق الوجه ، مقورد  
الوجنتين ، يتحدث بنشاط وحيوية ، ويضحك عن سرور حقيقى لا يشوبه  
التصنع • قال مستر لورنس فى نفسه :

— صدقت الفتاة فيما قالت لى ، فالصبي يحتاج الى ألفة ، وأتوقع له خيرا فى صحبة أولئك الفتيات ، فقد أعجبتته جو بصراحتها وخشونتها ، وأدرك أنها تفهم نفسية الصبي ، كما لو كانت صبيا مثله .

ولو كان آل لورنس من أولئك « المتعطرسين » على حد تعبير جو ، لما أقبلت الفتاة على معرفتهم ، أو سعت الى صداقتهم ، إذ كانت تكره مثل هذا اللون من الناس ، وتشعر فى حضرتهم بمنتهى القلق ، ولكنها لمست فى أسرة لورنس بساطة اجتذبتها اليهم مطمئنة راضية .

وعندما انتهت وجبة الشاي ، استأذنت جو فى الانصراف ، ولكن لورى استبقاها ، ليربها شيئا جديدا ، ثم خرج بها الى بيت الزهور ، فخيل اليها أنها تعيش فى حلم جميل ، فقد كان ذلك البيت الزجاجى ، قطعة من الفن الرفيع ، مماشيه ممهدة ، وزهوره يانعة ، وجدرانها لامعة ، وأصواؤه خافتة ، وكرومه دائية القطوف . وانحنى لورى على الشجيرات يقطف أبهى زهورها ، حتى اجتمعت له باقة جميلة ، ربطها بشريط حريرى ، وقال فى غبطة وانسراح :

— أرجو أن تحملى هذه الباقة الى والدتك ، واشكرى لها أن سمحت لك بزيارتى ، فقد كنت خير دواء لمرضى .

وعاد الاثنان الى البيت ، فوجدا مستر لورنس يقف أمام المدفأة فى احدى غرف الجلوس الكثيرة ، فاسترعى اهتمام جو معزف كبير ، فسألت لورى فى إجلال واحترام :

— أتعزف عليه ؟

قال فى تواضع :

— أحيانا .

قالت :

— اذا اعزف لى مقطوعة ، فأنا أحب أن أسمع موسيقتك ،

• لأخبر بث •

قال :

— ألا تعزفين أنت أولا ؟

قللت :

— يؤسفنى أن لا أستطيع ، فقد كنت أغبى من أن أتعلم العزف ،

ولكنى أحب الموسيقى من كل قلبى ، ونغماتها تشجيني وتطربنى •

وعزف الصبى مقطوعة ، استمعت اليها جو ، وأنفها مدفون فى

باقة الزهور ، وكان الصبى عازفا ممتازا ، فازداد تقديرها له ، وتضاعف

احترامها لمواهبه • وتمنت لو أمكن بث أن تسمع عزفه المتقن ، ولكنها

لم تجهر بأمنيئتها هذه ، إنما أغرقتة بمديحتها واطرائها ، حتى استبد

به الخجل ، وتورد وجهه بدماء الحياء ، وانبرى جده التى انقاذه

فقال :

— كفاك اطراءً له يا آنسة ، فان المبالغة فيه مفسدة للأخلاق ،

وربما كلن عزفه جيدا ، ولكنى كنت أفضله أن يظهر بواعته فيما هو

أهم من الموسيقى • أذاهبة أنتى ؟ اذاً ، دعينى أشكرك على زيلوتك ،

واحملى تحيتى لوالدتك ، ومساء الخير يا دكتور جو !!

وصافحها بعطف ، غير أنه كان يبدو ساهما واجما ، كما لو أن

أمرا ضايقه ، فلما بلغت الفتاة ردهة البيت ، سألت لورى عما أغضب،

جده ، فجز رأسه ، وقال :

— كل ما في الأمر أنه لا يرتاح الى اهتمامى بالموسيقى •

قالت :

— ولماذا ؟

قال :

— لن أخبرك الآن ، وربما فعلت ذلك فى يوم من الأيام •

وسارت الى الباب ، فقال لها :

— كنت أود أن أصحبك فى طريق عودتك ، ولكنى مريض كما

تعلمين ، فخذى معك خادمنا جون •

قالت :

— لا داعى لذلك ، قلت طفلة صغيرة ، والمسافة بيننا وبينكم

خطوات معدودات ، فإلى اللقاء ، وأرجو أن تعنى بصحتك •

قال :

— أعدك بذلك ، فهل تزوريننى مرة ثانية ؟

قال :

— لذا وعدت بزيارتنا عندما تشفى •

قال :

— أعدك بذلك •

قالت :

— مساء الخير يا لورى •

قال :

— مساء الخير يا جو •••• مساء الخير !

جلست جو الى أخواتها تحدثهن بما جرى في بيت لورنس ، فاستنفدت العصر كله في حديثها ، الى أن انتهى رأيهن جميعا الى وجوب زيارة الجار الطيب ، فقد أثار حديث جو اهتمامهن ، وجعلت كل واحدة منهن تتشعر أنها ستجد في البيت الكبير شيئا يهمها ويسليها ، فمسز مارش تحب أن تستعيد مع مستر لورنس العجوز ذكريات أبيها العزيز ، وميج مشوقة الى رؤية بيت الزهور ، وبث تحلم بالمعزف الكبير ، وآمى نتلف لرؤية الصور والتماثيل •

قالت جو لأمها :

— ترى لماذا يكره مستر لورنس أن يهتم لورى بالموسيقى ؟

قالت :

— لست أدري على وجه التحقيق ، وان كنت أظن أن مرد السبب الى ابنه ، والد لورى ، فقد تزوج ايطالية تحترف الغناء ، وكان الزواج على غير رغبة أبيه ، فغضب العجوز المتكبر ، ولم يرض بزيارة ابنه أو رؤيته سنين طويلة • وولد لورى في ايطاليا ، وظل بها بعض الوقت ، فلما توفى والداه ، أحضره جده الى بيته واحتضنه ، ولم يكن الصبى قوى البنية فأحاطه مستر لورنس بكل ألوان الرعاية ، خشية أن يفقده كما فقد والده من قبل ، ولذلك ترينه الى اليوم حريصا يخاف على لورى من التعرض للبرد أو الاختلاط بالناس • ولقد ورث الصبى عن أمه حبها للموسيقى ، ولعل الجد يخشى أن يتخذها حفيده مهنة في يوم من الأيام ، ولا شك أن الموسيقى تذكر مستر لورنس بزواج ابنه

الايطالية ، التى لم يحببها أبدا ، مع أنها كانت امرأة طيبة ، فتثيرة الذكرى وتغضبه •

قالت ميچ بدهشة :

— يا لها من قصة !

وقالت جو :

— يا للغباء ! لماذا لا يغدو لورى موسيقيا اذا كانت ميوله كذلك ؟  
ولماذا ينغصون عليه حياته بارساله الى جامعة يكرها ؟

قالت ميچ ، وكانت عاطفية الى حد ما :

— عرفت الآن السر فى عينيه السوداوين ، وشعره المجعد ، وذوقه السليم • انه الدم الايطالى ، والايطاليون قوم مهذبون •

صاحت بها جو ، ولم تكن عاطفية كأختها :

— وماذا تعرفين عن عينيه السوداوين وذوقه السليم ؟ انك لم تتحدثى اليه مرة واحدة •

قالت ميچ :

— ولكنى رأيته فى الحفلة ، وسمعت ما رويته لنا عنه ، خصوصا عندما شبعك بدواء ناجع ، انها لباقة تدل على ذوق سليم •

قالت جو :

— كان يقصد هدية الفطائر •

قالت ميچ :

— أنت ساذجة يا طفلى ، لقد كان يقصدك أنت •

وكانت فكرة جديدة لم تطرأ لجو من قبل ، فاستمت عينها دهشة ،  
وقالت :

— أكان يقصدنى حقاً ؟

قالت ميح ، بلهجة الخبيرة المحنكة :

— أنت غبية لا تميزين الاطراء عندما يأتيك \*

قالت جو :

— لا يهمنى الاطراء ، وأكون شاكرة اذا اقتصدت فى سخافتك ،  
فأخشى أن تفسدى على سرورى بزيارته \* ان لورى صبى لطيف ،  
ويعجبني منه . خالق كريم \* وطن أسمح بعبارات الاطراء أن تقف بيننا ،  
وأرجو أن نعدق عليه للعطف لأنه يتيم ، لقد وعد بزيارتنا ، فهل تسمحين  
له بذلك يا أماه ؟

قلت الأم :

— على الرحب والسعة ، وأملى يا ميح أن لا تفسدى جمالك  
الصداقة البريئة بهذا الكلام ، ودعى الأطفال أطفالا أطول وقت  
مستطاع \*

قالت أمى :

— اننى حقيقة فى الثانية عشرة من عمري ، ولكنى لا أشعر بأننى  
طفلة ، فما رأيك يا بث ؟

وكانت بث ساهمة كعادتها ، تسبح بذهنها فى عالم الخيال ، ولم  
تسمع كلمة من حديث أختها ، قالت :



— كنت أفكر في لعبة الحجاج وكيف نمضى فيها الى قصر الأمانى ،  
عبر الصعاب والآلام ، ويخيل الىّ أنه بيت لورنس العامر بألوان المباحج  
والمسرات •

قالت جو ، وقد أعجبها تشبيهه أختها :

— علينا أولاً أن نشق طريقنا اليه •

## الفصل السادس

### بث في قصر الأمانى

مضى بعض الوقت قبل أن يزور بنات مارش بيت لورنس ، وعندما دخلنه بعد عقبات ، وجدت بث أنه حقيقة « قصر الأمانى » . وكان مستر لورنس العجوز قد قام بزيارة الأسرة كما وعد ، فلقبه البنات بخوف ورهبة ، ولكنه جلس الى أمهن يتذاكر معها سيرة أبيها في الأيام الخوالى ، ويشير الى صديقه القديم بلهجة الإعزاز والاحترام ، ثم داعب البنات وتحدث اليهن واحدة بعد واحدة ، فأنسن له وانقشعت ازهبة عن نفوسهن ، اللهم إلا بث التى اختارت بحيائها الشديد أن تبقى على مبعدة ، بالرغم من محاولاته الكثيرة فى كسب ثقتها وودها .

وزالت العقبة الأولى بزيارة مستر لورنس ، وكانت العقبة الثانية فقرهن وثناء لورى ، فقد كن يشعرن بالحرص البالغ اذا بعث الصبي اليهن بهدية لا طاقة لهن على الرد بمثلها ، ثم كشفت لهن الأيام مدى اعترافه بجميلهن عليه ، وتقديره لرعايتهن اياه ، واغبطاه البالغ بعطف مسز مارش التى كانت تعامله معاملة الابن العزيز . وقوت هذه الحقائق صداقتهن بلورى ، فذهب شعورهن بالحرص ، وتلاشى احساسهن بالفوارق ، وأصبح بيتهن المتواضع ملاذا له يأوى اليه كلما أعوزته أسباب المسرة والمهناء ، ولم يجد البنات غضاضة فى مبادلتة الهدايا دون اعتبار كبير لقيمتها المادية .

هكذا نمت صداقة جديدة ، وترعرعت سريعا مثلما يتزرع النبات فى أرض طيبة . ومضت الأيام مفعمة بدواعى السرور والتسلية : فقد

أحبين لورى جميعا ، وغمرته بعطف خالص لا زيف فيه ولا اصطناع ، واستجاب الصبى لشعورهن النبيل ، فكان يؤمن بأنهن فتيات مدهشات عن جدارة واستحقاق ، ويجد في رفقتهم الطاهرة البريئة متعة أنسته وحدة اليتيم ووحشته . وسرعان ما ظهر أثرهن في اتجاهاته ، فإن حياتهن العامرة بالكد والكفاح في طاب الرزق ، أورثته خجلا من دعتهم وفراغهم ، واشتأقت نفسه لأن يكون مفيدا مثلهم ، ولكن صداقتهم رغم ذلك شغلته عن كتبه ودروسه ، فكان يهرب منها الى بيت مارش ساعات كل يوم ، مما اضطر معه رائده مستر بروك ، الى اطلاع جده على الأمر . قال العجوز في غير قلق :

— دعه يستمتع بعطلة طيبة ، تقويه على الدرس فيما بعد ، ولا تخش عليه ، فإن جارتى الطيبة ترى الصبى متعبا مجهدا ، وتعتقد أنه في حاجة شديدة الى الصحة والمتعة والتسلية . ولا شك أنها على صواب ، وأظن أنني غاليت في الحد من حريرته ، فدعه بالله عليك يفعل ما يشاء ، مادام سعيدا ، واطمئن الى أنه في سلام وأمان ، مع الأسرة التقية الطاهرة فلقد استفاد بحنان مسز مارش أضعاف ما استفاد بما فعلناه له طوال السنوات الماضية .

ومضى الوقت كأسعد ما يكون ، في روايات تمثيلية ، ولوحات حية ، ونزهات في الحقول ، وانزلاق على جليد الشتاء ، ثم أمسيات مرحة يقضيها لورى مع صديقاته في غرفة الجلوس القديمة ببيت مارش ، وحفلات أنيقة تقام بقصر لورنس الكبير . وأتيح لميج أن تزور بيت الزهور ، وتخرج منه وفي يدها باقات جميلة ، والتهمت جو ما في المكتبة الجديدة بنهم القارئة الجشعة ، وأضحكت السيد العجوز بنقدها الطريف للمكتب . أما أمى فكانت تشبع هوايتها للرسم بنسخ الصور

الجميلة المعلقة على جدران القصر • كل هذا ولورى يقوم بدور المضيف «  
في أسلوب السيد المهذب الكريم •

ولكن بث رغم تشوقها الى المعزف الكبير ، لم تقو على جمع  
شجاعتها ، لتتور « قصر النعم » كما كانت تسميه ميچ • ولقد ذهبت  
يوما مع ميچ ، ولكن السيد العجوز ، الذى لم يكن يعرف مدى حياتها ،  
حذق فى وجهها بشدة ، وتطلع اليها من تحت حاجبيه الكثيف ، وناداه  
بصوت عال ، فأفزعها بذلك كل الفزع ، وفرت الى بيتها هاربة ،  
وقالت للأمها انها لن تذهب الى القصر الكبير مرة ثانية ولو كان فيه  
معارف الدنيا كلها ، فلقد أفزعها العجوز حتى ارتجفت ركباتها ، وأحست  
لفرط المرعب كأنها تكاد تسقط على الأرض • ولم يجد الاثناع فيها ،  
ولم تغلح الحجج فى لزالة مخاوفها ، الى أن وصل الخبر بطريقة ها الى  
مسامع مستر لورنس ، فعمل على اصلاح الأمر بنفسه • وفى لحدى  
زيلراته للقصورة لآل عارش ، وجه الحديث الى الموسيقى بطريقة لبقة ،  
وتكلم عن أشهر المطربين اللذين رآهم على المسارح ، وأجمل المعزف  
اللتى سمع بها ، ثم قص حولث وقصصا طريفة ، اجتذبت بث اليه من  
ركنها البعيد ، فتسلت تقترب منه خطوة خطوة ، وكان يدا خفية  
تدفعها اليه • وأخيرا وقفت وراء مقعده تصغى بشوق الى حديثه ،  
فلم بيد مستر لورنس اهتماما بوجودها ، ولم يلق بالا اليها ، انما  
جعل يتكلم عن لورى ومدرسيه ودروسه ، ثم قال فجأة كأن فكرة عرضت  
لذهنه بالصدفة :

— يسرنى أن أهمل للصبى مرانة الموسيقى ، بعد أن انشغل به  
الى حد الهوس ، ولكنى أخاف أن يفسد الاهمال المعزف ، فهل أجد  
فى بناتك الصغيرات من تتفضل بالمعزف عليه بين وقت وآخر ؟

وخطت بث الى الامام خطوة ، وقد ضمت يديها الى صدرها ، حتى لا يدفعها السرور بهذا الخبر ، الى التصفيق في حضرة العجوز ، فقد كان الاغراء شديدا ، ومجرد التفكير في استعمال المعزف يهر أنفاسها • وقبل أن تجيب مسز مارش ، قال مستر لورنس باسمها :

— ولن يقلق العازفة شيء ، فأنا أجلس بمكتبى في نهاية البيت ، ولورى لديه ما يشغله ، وبعد الساعة التاسعة لا يقترب من غرفة الجلوس أحد من الخدم ، فان شاءت احدى بناتك أن تأتي ، فأهلا بها وسهلا ، في أى ساعة تروق لها •

ونفض عن مقعده كأنه يريد الانصراف ، فاستقر رأى بث على أن تقول كلمة بعد أن أوقعها مستر لورنس في شباك حيلته ، ولكن العجوز لم ينتظر حتى تتكلم ، وقال :

— أخبرى الفتيات بهذا الأمر ، فاذا رغبن بعد ذلك عن الحضور ، فلا بأس عليهن •

وهنا أمسكت يد صغيرة بيده الكبيرة ، ورفعت بث اليه وجها مفعما بالشكر ، وقالت في جد يشوبه الحياء :

— بل يرغبن في الحضور كل الرغبة •

فسألها بصوت خفيض ، حتى لا يفزعها مرة ثانية :

— أنت الموسيقية منهن ؟

قالت :

— أنا بث ، وأحب الموسيقى من كل قلبى ، ويسرنى أن أعزف

ببيتك ، اذا لم يسمع عزفى أحد •

وقالت متأدبة ، وجسدها يرتجف حياءً :

— واذا لم يزعجك حضوري •

قال :

— لن تزعجى أحدا يا عزيزتى ، فالبيت خال معظم النهار ، وأكون

شاكرا اذا حضرت فى أى وقت تشائين •

قالت :

— هذا كرم منك يا سيدى •

ونظر إليها بعطف بالغ ، فاحمر وجهها خجلا ، ولكنها لم تشعر بالخوف منه ، وضغطت بيدها الصغيرة على يده الكبيرة ، تعبر له عن شكرها فى صمت • وربت السيد العجوز بيده على شعرها ، ثم انحنت وطبع على جبينها قبلة ، وقال بصوت خفيض لم يسمعه إلا بعض الجالسات :

— كانت لى حفيذة لها مثل عينيك ، فليحفظك الله يا عزيزتى •

ثم قال لسز مارش وهو يسرع بالانصراف :

— طاب يومك يا سيدتى •

وسرت بث بصنيع مستر لورنس سرورا لا يزيد عليه ، ولما كان أخواتها فى الخارج ، وليس بالبيت من لا يعلم بالنبا العظيم ، فقد طارت جريا الى أفراد أسرتها من الدمى الكسيحة ، وجعلت تروى لها كيف تفتحت لها أبواب الجنة على يدي جارهن العجوز • وغنت فى تلك الليلة كما لم تغن من قبل ، وعندما استسلمت للنوم كانت أصابعها طوال الليل تلعب على وجه أختها أمى كأنه المعزف المنشود •

وفي صباح اليوم التالي ، قبعث بث وراء النافذة ، حتى رأت مستر لورنس وحفيده يغادران البيت ، وعند ذلك استجمعت شجاعتها ، وبعد تردد طويل ، دخلت القصر من بابه الجانبى ، وسارت تسترق الخطى كفأر مذعور ، الى غرفة الجلوس ، حيث يوجد المعزف الذى تحلم به . وكان على المعزف بعض كتب موسيقية ، سجلت فيها مقطوعات سهلة الأداء ، فأخذتها بأصابع مرتجفة ، وهى تتوقف بين لحظة وأخرى ، لتصيح السمع خشية أن يكون أحد على مقربة منها . وعندما تأكدت أن البيت هادىء ساكن ، جلست الى المعزف ، وما إن لمست أصابعها مفاتيحه ، حتى انقشع عنها خوفها تماما ، ونسيت نفسها عن كل شىء فى غمرة نشوتها بأنغام الموسيقى الممتعة .

وظلت تعزف حتى أتت حنا تدعوها الى تناول الغداء ، ولكن غبطنها كانت قد ذهبت بشهوتها للطعام ، فجلست مع أخواتها الى المائدة بتبسم ولا تصيب من صحنها شىئا .

وتوالت زياراتها لغرفة الجلوس ، وكانت فى ذهابها وإيابها ، أشبه بطيف موسيقى يقبل ويدبر ولا من يراه .

ولم تشعر قط بأن مستر لورنس ، كثيرا ما كان يفتح باب مكتبه بهدوء بالغ ، ليختلس السمع الى الأنغام الكلاسيكية ، التى يفضلها على غيرها من الأنغام ، وكذلك لم تر لورى ، وهو يقف خارج الباب حارسا أمنيا ، يحمىها من الإزعاج ويرد عنها تطفل المتطفلين . وكانت تجلس الى لورى فى بيتها أحيانا ، فتجد فى أحاديثه العابرة عن الموسيقى ، خير مرشد وموجه ، ولكنها لم تكن تعرف أن الكتب التى تجدها على المعزف ، لم تترك فى مكانها اعتباطا ، إنما كان يضعها لورى بيده خصيصا لها ،

ويختارها بنفسه بعد طول تفكير وتدقيق • وعاشت بث في نعيم مقيم ،  
ولعل رضاها بهذا النعيم وتقديرها له ، كانا فاتحة لخيرات أخرى مازالت  
الأيام تخفيها في جعبتها • قالت لأمها بعد انقضاء أسبوع على بداية هذه  
الحوادث :

— أريد يا أماد أن أصنع خفا لمستر لورنس ، فقد غمرني بكرمه ،  
وأحب أن أعبر له عن شكري وامتناني •

فقال مسز مارش ، التي لم تكن ترد لبث طلبا ما استطاعت :  
— إنها فكرة طيبة ، وسيسره أن تعبري له عن شكرك بهذا الأسلوب  
اللطيف •

واشتركت ميج وجو في مناقشة فكرة الهدية ، واجتمع رأي الأسرة  
على طراز الخف ، واشترت لوازمه في أسرع وقت ، ثم عكفت بث على  
صنعه ليلا ونهارا ، وكانت في عملها نشيطة دقيقة ، فلم ينقض وقت  
قصير حتى انتهت من إعداد هديتها على أحسن وجه • وطوت الخف في  
لفلفة أنيقة ، واستعانت بلورى على كتابة بطاقة الإهداء التي سترفقاها  
بها ، ثم تسلت الى القصر ذات صباح ، ووضعت هديتها على مكتب  
العجوز ، قبل أن يستيقظ من النوم •

وهدأت نفسها بذلك بعض الهدوء ، ولاذت ببيتها تنتظر النتائج ،  
ولكن يوما كاملا مضى ولم يأتيها خبر بوصول الهدية الى صاحبها ،  
وانتصف اليوم الثانى بلا جديد ، فانتابتها المخاوف ، وخشيت أن تكون  
الهدية لم تقع من نفس العجوز موقعا حسنا •

وخرجت في العصر لبعض شأنها ، واصطحبت معها دميتها الكسيحة  
تفرج عنها ، فلما عادت الى البيت ، استقبلتها أربع رءوس تطل من النافذة



في انتظارها ، وصاح بها أخواتها مهلات مرحبات ، وسمعت صوتا يقول لها :

— جاءتك رسالة من السيد العجوز ، فأسرعى بالدخول لتقرأها .

وصاحت آمي من النافذة تقول :

— لقد بعث إليك بـ ...

ولكن الجملة لم تتم ، فقد صفق أخواتها النافذة ، ليمنعنها من الكلام ، ودخلت بث ترتجف انفعالا ، فاستقبلها أخواتها الثلاث على باب البيت ، وقدنها الى غرفة الجلوس في مظاهرة مرحة .

هتفن بها في صوت واحد :

— أنظري هناك ... أنظري .

وتطلعت بث الى حيث أشرن بأيديهن ، فامتع لونها لفرط الدهشة والسرور ، فقد برأت في ركن الغرفة معزفا صغيرا جميلا ، وضعت على غطاءه الأسود اللامع ، رسالة كتب على مظروفها ، « الى الأنسة بث مارش » .

فشهقت بث ، وأصحت كأن قواها تخور فجأة ، فاستندت الى جو

خشية أن تهزمها الحوادث المتتابعة المثيرة ، فتسقط على الأرض .

قالت :

— أهذا المعزف لى ؟

أجابت جو ، وهي تناولها رسالة العجوز :

— أجل ... إنه لك أيها الملك الصغير ، فقد بعث به إليك أطيّب  
عجوز في هذه الدنيا ، هاك الرسالة والمفتاح .

ودفنت بث رأسها في ثوب أختها جو ، وقالت لها بانفعال شديد :

— اقرأى الرسالة عنى ، إن المفاجأة تذهلنى وتعجزنى .....

وفضت جو الرسالة ، وراحت تتلو ديياجتها ضاحكة :

« الى الآنسة مارش .

» سيدتى الفاضلة .....

وصاحت آمى وقد أعجبها الأسلوب التقليدى فى الرسالة :

— ليتنى أتسلم رسالة بهذه الديياجة الرائعة !

واستأنفت جو قراءة الرسالة فقالت :

« لبيت فى حياتى خفوفا لا عداد لها ، ولكن هديتك فاقتها جمالا  
وحسنا ، فقد عرفت كيف تختارين ألوانى المحببة ونقوشى المفضلة ،  
وثقى أن خفك الجميل سيذكرنى دائما بصانعتة الكريمة ، فاسمجى للسيد  
العجوز أن يعبر لك عن بعض شكره وامتنانه ، وتقبلى منه معزفا عزيزا ،  
كان فى يوم من الأيام ملكا لحفيدته المحبوبة التى فقدتها صغيرة قبل  
سنوات .

فتفضلى يا سيدتى بقبول وافر الشكر والامتنان

ودمت لصديقك الوفى وخادمك المطيع

« جيمس لورنس »

وكانت بث تصغى للرسالة ، وجسدها يرتجف لفرط الانفعال ، فقالت  
جو تخفف عنها :

— انه شرف عظيم يا بث ، فقد حدثنى لورى بقصة هذه الحفيدة ،  
وكم كان مستر لورنس العجوز يحبها ويجل ذكراها ، فيحتفظ بكل صغيرة  
وكبيرة من مقتنياتها ، فليس أمرا هينا أن يعطيك معزفها ، ولعله وجد  
شبيها لها فى زرقه عينيك وشغفك بالموسيقى .

ورفعت ميج غطاء المعزف تستعرض محاسنه ، وقالت :

— انظرى الى حوامل الشموع المعدنية ، وتأملى فى جمال الحرير  
الأخضر المطرز بالورود الذهبية ، ثم حامل الأوراق المنقوش ، والكرسى  
الأنيق المستدير .

قالت آمى ، وما زالت مشغولة البال بأسلوب الرسالة التقليدى :

— تصورى أن يختم الرسالة ، « خادمك المطيع جيمس لورنس » !  
والله لأحدثن بنات المدرسة بذلك الأذهلن وأدهشن .

وكان من عادة الطاهية حنا أن تشترك فى أفراح الأسرة وأتراحها ،  
فقالت :

— جربى المعزف يا حبيبتى ، وأسمعينا صوته الجميل .

وجلست بث الى المعزف ، وتحركت أصابعها على مفاتيحه ، فانبعثت  
منه أنغام شجية ، قال البنات انهن لم يسمعن لها مثيلا من قبل . وكان  
المعزف من نوع جيد ، وأوتاره حديثة الضبط والشد ، ولكن سعادة البنات  
به ، ضاعفت محاسنه وزادت فى آذانهن أنغامه روعة وجمالا . قالت  
جوداعب بث :

— عليك أن تذهبي الى مستر لورنس ، وتقومي بواجب الشكر له •

وكانت تظن أن أختها لن تجرؤ على الأخذ بنصيحتها ، ولكن بث  
أدهشت الأسرة كلها بقولها :

— هذا أقل ما يجب ، وأفضل أن أبادر الآن بالذهاب ، قبل أن  
أطيل التفكير في الأمر فينتابني الخوف •

وقامت الى السلم تهبط درجاته بعزيمة قوية ، وخرجت الى الحديقة  
فتخطت السور ، ثم دخلت بيت آل لورنس •

وألجمت جرأة الفتاة السنة أخواتها عن الكلام ، فقالت حنا  
مندهشة :

— هذا أعجب ما رأيت في حياتي ! لقد طيرت الهدية صوابها ، ولو  
كانت بكامل عقلها ، ما رضيت أن تذهب •

ولكن ما فعلته بث بعد ذلك كان أعظم وأروع ، فقد طرقت باب  
المكتبة ، غير مقرودة ، فلما أذن لها الصوت الخشن بالدخول ، سارت الى  
مستر لورنس مباشرة في جرأة أدهشته ، ومدت يدها تصافحه ، وقالت  
بصوت خافت مرتجف :

— جئت يا سيدي ، أشكر لك ...

وتطلع اليها العجوز بحنان بالغ ، فاحتبست الكلمات في فمها ،  
وتلاشت عبارات الشكر من ذهنها ، ولم تعد تذكر سوى أنه رجل فجع  
في حفيخته التي كان يحبها من كل قلبه ، وعندئذ غلبتها العاطفة ، فطوقت  
عنقه بذراعيها ، وطبعت على جبينه قبلة حارة •

ولو أن سقف الدار طار الى السماء السابعة ، ما دهش العجوز دهشته بهذه القبلة ، فتأثر كل التأثر ، ورفع الصغيرة بين ذراعيه ، وأجلسها على ركبتيه ، ولصق خده المجعد الخشن بخدها الناعم الوردى فى رضا غامر ، كأنما حفيدته قد أعادت الى الحياة ثانية •

ولم تعد بث تخافه أو تخشاه ، وزلزل المتكلف بينهما ، فجعلت تتحدث اليه بغير حرج مثلما تتحدث الى صديق عزيز ، عرفته طول عمرها • ولما حان موعد عودتها الى البيت ، رافقها الى بابه ، وانحنى أمامها مودعا ، وقد رفع القبعة عن رأسه بيده ، ثم عاد على أعقابها رافع الرأس مشدود الصدر •

ورأى البنات من النافذة ، كيف عادت أختهن الى البيت برفقة السيد الأنيق ، وكيف انحنى لها مودعا باحترام وتقدير ، فظفن بالغرف يرقصن ، وقالت ميج وهى تضرب كفا بكف :

— لقد انقلبت الدنيا ، ولا أظن يوم القيامة ببعيد •

## الفصل السابع

### آمی تقاسی الهوان

امتطى لورى صهوة فرسه ذات صباح ، ومر ببیت مارش ، فلما رأى البنات فى النافذة ، لوح لهن بسوطة محببيا ، فقالت آمی تتفلسف على عادتھا :

— ألا يبدو « مفترسا » بمعنى الكلمة !

صاحت جو ترد العدوان عن صديقھا :

— انه مثل فى الهدوء والوداعة ، فكيف تجرؤين عن اهانته بهذا

الوصف ؟

قالت آمی تدافع عن نفسها :

— كنت أمتدح أسلوبه فى ركوب الخيل ، ولم أتقوه بكلمة تهينه •

فانفجرت جو ضاحكة ، وقالت لأخواتھا :

— ان هذه الغيبة تقصد « فارسا » ، فتقول « مفترسا » •

قالت آمی :

— كفاك ضحكا ، فما هى الا فلتة لسان ، على حد تعبير مدرسنا

مستر دافيز •

ثم أردفت بصوت منخفض كمن تتحدث الى نفسها ، وان كانت فى

الحقيقة تريد أن يسمعها أخواتھا :

— ليتنى أملك من المال بعض ما ينفقه لورى على فرسه •

فضحكت جو مرة أخرى ، ولكن ميج قالت فى عطف :

— أحتاجين الى نقود ؟

قالت :

— كل الاحتياج ، فقد أغرقت نفسى فى الديون ، ولن أحصل على

مصروفى القادم ، قبل أسبوع طويل •

فقالت ميج فى جد :

— أى ديون ، يا أمى ؟

قالت :

— اقترضت من زميلاتى اثنتى عشرة « مصاصة » ليمون ، وعلى

أن أردھا الى صاحباتھا فى أقرب وقت ، ولكن نقودى نفذت ، وأمى تكره

أن آخذ من المتجر على الحساب •

ونظرت ميج الى أمى باهتمام ، وقالت وهى تحاول أن تحتفظ

بهدهئھا :

— كانت كرات المطاط ، فى أيامنا ، تسلية مدرسية شائعة ، فهل

حلت « مصاصات الليمون » محلھا ؟

— كلنا نشتریھا الا البضیلات الشحیحات ، ونحن نضعھا فى

أدراجنا ، ونمصھا خلصة أثناء الدرس ، وأحیانا نقایض علیھا بالأقلام

الرصاص ، أو الخواتم الزجاجیة ، أو الدمى الورقیة ، أو غیر ذلك من

اللعب المسلیة • وقد اعتدنا أن نعبر بها عن شعورنا ، فاذا كانت لى

صديقة مثلا أعطيتها واحدة ، واذا كانت لى عدوة وقففت أمصها أمامها  
ولا أدعوها الى مشاركتى فيها ، وجرى العرف على أن توزع كل بدورها  
مصاصات الليمون على صاحباتها ، وقد أخذت بهذه الطريقة عددا كبيرا  
منها ، ويحز فى نفسى أن أعجز عن ردها ، لأنها ديون شرف ، لا يصح  
أن نسكت عليها •

وأخرجت ميج كيس نقودها ، وقالت :

— كم تحتاجين لتسددي ديونك كلها ؟

قالت :

— يكفينى ربع ريال ، وربما تبقى جزء منه أشترى لك به نصيبا  
من مصاصات الليمون ، أفلا تحبينها ؟

قالت ميج :

— لا ! لا أحبها ، فخذى نصيبى ، وهاك النقود ، فلا تسرعى  
بانفاقها اذ أننى أكسبها بشق النفس كما تعلمين •

قالت أمى :

— شكرا لك وألف شكر ، لا يمكنك أن تتصورى كم تفرجين عنى  
بذلك ، فقد مضى على أسبوع كامل لم أشتر فيه واحدة ، وكذلك لم أقبل  
من زميلاتى هداياهن حتى لا تتضاعف ديونى فيصعب على ردها •

وفى صباح اليوم التالى ذهبت أمى الى مدرستها متأخرة ، ومع أن  
زميلاتها كن جالسات فى الفصل عند وصولها ، فقد ساقها فرحها الى  
اطلاعهن على السر ، فأرتهن من تحت درجها الكيس البنى الممتلىء  
بالمصاصات •



وسرى الخبير في الفصل بسرعة البرق ، فعرف البنات جميعن أن  
أمى أحضرت معها أربعاً وعشرين « مصاصة » ، وأنها تنوى توزيعها على  
من تجب ، فيتلفظن معها تليظفاً بالغا ، حتى أن كيتى براون دعتهما الى  
حفليتها القريبة ، وأصرت ماري كنجزلى على أن تقرضها ساعة يدها الى  
نهاية الحصة ، أما جينى سنو ، تلك الشيطانة الصغيرة ، التى لم تسكت  
طوال الأسبوع الأخير عن معايرتها بعبجها عن شراء المصاصات ، فقد  
كفت عن عدوانها ، وعرضت على أمى اجابات المسائل الحسابية الصعبة .  
ولكن تودد جينى لم يلق قبولا من أمى ، اذ كانت الفتاة لا تزال تذكر  
لغريبتها ما كانت تقول عن « صاحبة الأنف المفرطح التى لا تمنعها فرطية  
أنفها من شيم حلوى الأخرىات » . لا ، ولم تغفر لها اشارتها الجارحة  
الى « أولئك الفتيات اللائى يستجدين الحلوى بلا كرامة أو إياء » .  
وكانت هذه الأقوال تجز في قلب أمى ، فلما رأت تودد جينى ، بعثت  
اليها برسالة سريعة تهدم فيها آمالها وتقول : « لا حاجة بك الى الأدب  
المصطنع ، فلن تنالى منى مصاصة واحدة ! » .

وتصادف أن كان بالمدرسة ذلك اليوم زائر كبير ، حازت خرائط  
أمى اعجابه وتقديره ، فأثار النصر الجديد أجقياد جينى سنو ، وحفزها  
الى طلب الانتقام ، وكان انتقاما ذريعا ، قلب الأمور رأسا على عقب :  
فعندما انصرف الضيف الكبير عن الفصل ، قامت جينى الى مستر  
ديفيز ، كأنها تريد أن تسأله سؤالا ، ثم همست فى أذنه بأن أمى تخفى  
فى درجها ، كيسا مليئا بالمصاصات .

كان مستر ديفيز قد حرم على البنات احضار المصاصات الى  
الفصل ، وتوعد بالعقاب الشديد من تحدثها نفسها بمخالفة أوامره .  
( م ٩ — نساء صغيرات )

وكان قد أفلح قبل ذلك في منع « أنبان » والقصص والجرائد والمجلات ، ووضع حداً لأسماء التذليل التي كان البنات ينادين بها بعضهن بعضاً .  
وم، أن قيادة البنات أشق على النفس من قيادة البنين ، خصوصاً على رجل عصبى المزاج مثل مستر ديفيز ، فقد استطاع المدرس بطغيانه وشراسته أن ييسط نفوذه على خمسمائة فتاة في المدرسة ، وأفلح في ترويضهن على احترام أوامره . وكان مستر ديفيز مدرساً ممتازاً ، يتقن اللغة اللاتينية كما يتقن الحساب والجبر والهندسة ، ولكن أساليبه في معاملة البنات كانت خشنة جافة ، وتصادف في ذلك اليوم أن كان ثائراً أكثر من المعتاد ، لصداع شديد ألم برأسه ، ولأن البنات لم يظهرن براعة كافية أمام الزائر العظيم . والحقيقة أن البنات ذقن منه الأمرين في ذلك الصباح ، حتى وصفنه « بالساحرة الشريرة » و « الدب الثائر » ، فجاعت وشاية جينى نارا على بارود ، إذ امتنع وجهه امتقاعاً شديداً ، وضرب المنضدة بقبضته ضربة تنذر بالخطر ، ثم صرخ قائلاً :

— انتباه !

وهذا الفصل لكلمته هدوء القبور ، وتطلعت عيون البنات الى وجهه القبيح في خوف وقلق . قال :

— آمى مارش ، تعالى هنا .

وتظاهرت آمى بالثبات ، ولكن قلبها كان يرتجف بين ضلوعها ، وقبل أن تخطو اليه خطوة واحدة ، قال على غير انتظار :

— وأحضرى معك مصاصات الليمون الموضوعة في درجك .

همست زميلة ذكية تحذرها :

— لا تأخذها كلها !

وعملت آمل بالنصيحة ، غتركت فى الدرج ست قطع ، وحملت  
الباقى الى منضدة مستر دافيز ، وكلها أمل أن تلين رائحة الحلوى الشهية  
قلبه الجامد ، ولكنه قال باشمئزاز :

— أهذا كل ما معك ؟

وعجز لسانها عن الكذب ، فأجابت متلعثمة :

— ليس كله •

قال :

— اذا عودى وأحضرى الباقى •

وخضعت لأمره والأسى يملأ قلبها • قال :

— أهذه مصاصاتك كلها ؟

قالت :

— ليس من عادتى أن أكذب يا سيدى •

قال :

— أعتقد ذلك ، والآن خذى هذه القاذورات ، اثنتين فاشنتين ،

وألقى بها من النافذة •

وندت عن البنات تنهدة الحزن والأسى ، فقد ذهبت أوامر مستر

دافيز بأخر أمل فى انقاذ المصاصات الشهية •

وفى مزيج من الخجل والغضب ، خضعت آمل لارادة مدرستها ،

فكانت تحمل فى كل مرة مصاصتين ، تذهب بهما الى النافذة ، فتلقيهما

منها ، ثم تعود لتحمل مصاصتين أخريين ، وهكذا قطعت الطريق بين

منضدة الأستاذ ونافذة الفصل اثنتى عشرة مرة ، فى كل منها يتعالى هتاف أولاد الشارع ، وهم يتلقفون الحلوى ، وكأنما تهبط عليهم من السماء . وإذا كانت خسارة التلميذات فى المصاصات عظيمة ، فقد كان الخطب أفتح بالهتاف ، إذ كان بينهن وبين هؤلاء الغلمان عداء قديم مكين .

وبعد أن ألفت أمى آخر مصاصتين ، كان المدرس الطاغية يحدث التلميذات بصوت رنان :

— منذ أسبوع ، يا بنات ، حذرتكن من احضار المصاصات الى الفصل ، وتوعدت من تخالف أمرى بالعقاب ، وليس من عادتى أن أسكت عن العصيان ، أو أرجع عن كلمة قليتها ، ولذلك أرانى مضطرا الى عقاب هذه الفتاة جزاء وفاقا على استهتارها بالنظم . أمى مارش ، مدى يدك .

وانتفضت أمى فزعا ، وسجبت يدها الى ما وراء ظهرها ، وتطلعت اليه فى صمت يفيض بالاستعطاف . وكانت أمى تلميذته المفضلة ، وكثيرا ما كان ديفيز العجوز يمتدحها ويثنى عليها ، فلما رآها تنظر اليه هكذا ، لان قلبه الجامد ، وحدته نفسه بأن يغفر لها غلطتها ، ولكن شاء سوء الحظ فى تلك اللحظة أن ينكر التلميذات أساليب التأديب البدنى ، فندت عن احدها آهة غضب خافتة ، لم تغب عن أذن المدرس العنيد ، فقرر أن يمضى فى عقابه ، ليحد من عصيان تلميذاته . هكذا تقرر مصير أمى ، وكان رده على نظرتها المستعطفة ، أن قال بخشونة مرة أخرى :

— أمى مارش . . مدى يدك .

وشعرت آمل برغبة شديدة في انبكاء ، ولكن كبرياءها منعتها من أن تطلق العنان لدموعها ، فأطبقت فكها في تحد ، وأعطته يدها يضرب عليها ، واختارت أن تتقبل العقاب صامتة ساكنة لا يتحرك لسانها بكلمة ولا يرمش لها جفن .

وكانت الضربات موجعة ، ولكن شعورها بالمذلة والهوان كان أشد ألما من الضرب ، إذ كانت هذه أول مرة تعاتب فيها بهذه الصورة . قال مستر ديفيز بعد أن أعطاها نصيبتها من لسعات مسطرتة :

— والآن قفى على المنصة ، حتى تنتهى الحصنة :

وكان هذا أبشع ما فى المسألة كلها ، فقد كانت آمل تأمل أن ينتهى الأمر عند الضرب ، فيسمح لها أستاذها بعده بالرجوع الى قمطرها ، بين عطف صديقاتها وشماتة عدواتها ، أما أن يمضى فى عقابها ، فيأمرها بالوقوف على المنصة ، لتواجه نظرات التلميذات ، وما زال هوان الضرب عالقا بها ، فأمر لا تختمله نفسها الوديعه الحساسة . وتطاحت الألام فى صدرها ، وخيل اليها أن تلقى بنفسها على الأرض باكية صارخة ، ولكن منعها من ذلك أن تذكرت جيني سنو ووشايتها الخبيثة ، فثارت كرامتها ، وأقسمت فيما بينها وبين نفسها أن تتحمل الهوان بشجاعة الى النهاية .

وصعدت المنضدة ، واختارت من جدار الغرفة نقطة عالية ، تثبت عليها أنظارها ، لتتحاشى بذلك مواجهة عيون زميلاتها . ولزمت مكانها لا تتحرك عنه ، وقد امتنع وجهها امتقاعا شديدا ، شغل البنات به عن تتبع الدرس ، فقتلن اليها أسفات مشفقات .

وربما يعتقد بعضنا أن الحادث فى حد ذاته بسيط تافه ، وأن

العقاب أمر شائع في كل مدرسة ، ولكن أمى ذات الكبرياء والحس المرهف ، وجدت فيه محنة نفسية بالغة لا ينسى عارها مدى الحياة ، فقد تعودت الفتاة منذ مولدها الى ذلك اليوم المشؤوم ، أن تعامل بالعطف والحسنى ، ولم يسبق لأحد أن حطم كبرياءها بمثل هذا العقاب المذل المهين ، فكان ألمها النفسى به أضعاف أضعاف البدنى ، وبلغت ثورتها الصامتة أقمصاها ، عندما تذكرت أمها وأخوتها ، وتصورت كيف يكون وقع الخبر عليهن •

ومضت بها ربع ساعة ، كل دقيقة منها في طول الدهور ، ثم شاءت الأقدار أن ترحمها ، فانتتهت الحصة وانتهى معها العقاب • قال مستر ديفيز في قلق ملحوظ :

— عودى الى قمطرك يا آنسة مارش •

ونظرت أمى اليه طويلا ، ومن غير أن تنطق بكلمة واحدة ، أعطته ظهرها ، وخرجت من الفصل مسرعة الى غرفة الملابس حيث جمعت حاجياتها وأدواتها ، وانصرفت بها عن المدرسة الى الأبد •

ودخلت البيت في حالة يرثى لها ، وروت لأسرتها ما حدث ، فانزعج له أخواتها ، وعكفت جو على كف أمى الملتهب تدلكه بالجليسرين ، وهى في ذات الوقت تتوعد دافيز ، وتطالب بالتبض عليه ومحاكمته على وحشيته ، فتؤيدها الطاهية حنا في هذا الرأى ، وتتمنى لو كان في استطاعتها أن تقلو الشرير كما تقلو البطاطس في الزيت • وروحت مسز مارش عن بنتها بكلمات هادئة مقتنبة ، ولكن جسدها كان يرتجف لفرط ثورتها المكبوتة ، اذ كانت بطبعها أما خيبة ، تقدر كبرياء الصغار كما تقدر كبرياء الكبار ، وتبتكر أساليب القسوة في العقاب والتربية •

وعرف بنات الفصل بهرب أمى من المدرسة ، ولاحظن بعيونهن الثاقبة كم تأثر دافيز بذلك فنحا طول اليوم نحو الهدوء والسكون ، وتقبيل انتهاء اليوم الدراسى رأين جو تدخل عليه غاضبة ، فتضع أمامه خطابا من أمها ، ثم تتجه الى قمطر أختها ، فتأخذ منه الكتب والأدوات ، وتنصرف بها ، وهى تحك قدميها على منفضة الباب ، كأنها تريل عن حذائها آخر غبار للمكان البغيض •

وفى مساء اليوم المشهود ، قالت مسر مارش لبنتها أمى :

— أكره أن يعاقب البنات بالضرب ، وأرى فى أساليب مستر دافيز ما يبتغى مع أصول التربية ، فخير لك أن تبقى فى البيت ، وتشغلى وقتك بالدرس مع بث ، حتى أكتب لأبيك أسأله رأيه قبل أن أبعث بك الى مدرسة أخرى •

فتنهدت أمى وقالت بلهجة الشهيذة المعذبة :

— يؤسفنى أن أحرم من صحبة زميلاتي ، ولكنى سعيدة بترك المدرسة ، وأتمنى من صميم قلبى أن يتركها بالمثل التاميزات كلهن ، حتى يصاب دافيز بالافلاس ، فيغلق أبواب مدرسته •

قالت أمها بصرامة :

— لست آسفة لحرمانك من زميلتك ، لأنك أخطأت وخالأت القوانين ، فحق عليك العقاب •

قالت أمى فى انزعاج :

— أيرضيك هوانى أمام المدرسة كلها ؟

أجابت أمها :

— ليست القسوة طريقتى فى التربية ، ولكنك تلقيت درسا مفيدا ، يقوم اعوجاجك ويصاح ما اختلف من أمرى ، فقد داخلك الغرور أخيرا ، واستكبرت بما وهبك الله من فضائل ، ونصيحتى أن تعيدى النظر فى أحوالك ، فالغرور مقتلة العبقرية ، والتواضع سر العظمة ، وليس أجمل ولا أنبل من أن نغتبط بفضائلنا دون أن نتشقق بها ، والا نفر الناس منا ، وكرهوا الاختلاط بنا .

وكان لورى يلعب الشطرنج مع جو فى جانب من الغرفة ، فلما سمع كلام مسز مارش قال :

— هذا عين الصواب ، فالتواضع ثروة خلقية طائلة ، فأنا أعرف فتاة بارعة فى الموسيقى ، تعزف أجمل المقطوعات بمهارة فائقة ، ولكنها مثل فى التواضع الجميل ، ولو صارحتها برأى فى فنها الأصيل ما صدقتنى . انها فتاة فريدة فى نوعها ، تعيش بمواهبها الممتازة ، ولا تكاد تحس بها .

واجتذب حديث الموسيقى بث ، فسارت الى لورى تقول :

— انى غبية بليدة ، أفلا تعرفنى بهذه الفتاة الممتازة ، لتساعدنى وترشدنى ؟

أجاب لورى بمرح واغتياب :

— ولكنك تعرفينها كل المعرفة ، وما من انسان يساعدك مثلها .

وأدركت بث فى هذه اللحظة أنه كان يعنيه بالكلام ، فاحمر وجهها احمرارا شديدا ، وغلبها الخجل ، حتى دفنت وجهها فى وسائد الأريكة .



واغتبطت جو بكلام لورى كل الاغتباط ، وسرها أن يمتدح أختها  
المفضلة بهذا الأسلوب اللبق الجميل ، فتساهلت معه في لعبة الشطرنج ،  
وتركت له الفرصة لينتصر عليها ، وغرضها من ذلك أن تكافئه على حسن  
صنيعه • واستمدت بث من الحديث شجاعة وقوة ، فقامت الى « البيان »  
تعزف عليه أجمل مقطوعاتها ، ولورى يغنى معها بصوت شجى ، فعاد  
المرح الى جو الأسرة ، وانقضى المساء فى رضا وحبور •

ولما حان وقت العشاء ، انصرف الفتى الى بيته ، وقالت أمى  
لوادتها ، بعد طول تأمل وتفكير :  
— أليس لورى مثقفا ماهرا ؟

أجابت والدتها :

— انه بالفعل كذلك ، فقد نال من التعليم قسطا موفورا ، وعنده  
من المواهب العالية ذخيرة طيبة ، وسيغدو رجلا ممتازا اذا لم يفسده  
التدليل •

سألت أمى ثانية :

— وليس مغرورا أيضا ؟

قالت :

— أبدا ، ولذلك نحبه ونصطيفه •

قالت أمى فى عجب وتأكيد ، كأنها اهدت فجأة الى سر الحياة :

— جميل أن يكون المرء مثقفا أنيقا ممتازا ، ولا يباهى أو يغتر بما

حباہ الله به من خير جزيل •

قالت مسز مارش :

— ان المواهب الحققة لا تخفى على أحد ، ولسنا فى حاجة الى استعراضها لاطهارها ، فالحديث عنها يضعف قيمتها مهما بلغت :

قالت جو تتم موعظة أمها :

— وشأن من تتفاخر بمواهبها ، شأن من ترتدى دفعة واحدة كل ثيابها وقبعاتها وأشرطتها ، لتباهى بها الناس ، فنكون النتيجة أن يسخر المجتمع منها ، ويحتقرها •

وانتهت المحاضرة بعاصفة من الضحك !!

## الفصل الثامن

### جو في قبضة الشيطان

في عصر يوم من أيام السبت ، دخلت أمي حجرة أختيها ميح وجو ، فوجدتهما تستعدان للخروج ، وتحاولان اخفاء ذلك عنها ، فأثار تكتمهما فضولها ، قالت :

— الى أين تذهبان ؟

أجابت جو بحدة :

— هذا شأننا ، وليس لطفلة مثلك أن تتدخل فيما لا يعنينا .

وتأملت أمي لرد جو ، ولكنها قررت أن تعرف الى أين تذهب أختها ، ولو اضطرت في سبيل ذلك الى الالاحاح ساعة كاملة ، فليس أشق على كرامة الصغار من أن يقال لهم انهم صغار ، وليس أبغض الى نفوسهم من أن يؤمروا بالانصراف الى الملعب . وكانت أمي تعرف أن ميح لا ترفض لها طلبا ، فتوجهت اليها بالسؤال في دلال وظرف ، قالت :

— أخبريني يا ميح الى أين تذهبان ، فربما ذهبت معكما ، إذ أن

بث تلهو بدماها ، ولست أجد تسلية أقتل بها وحدتي .

ولان قلب ميح ، فشرعت تشرح لها الأمر ، قالت :

— لا يمكنك الذهاب معنا يا عزيزتي ، لأنك لست مدعوة .

فقاطعتها جو بصبر نافذ وقالت :

— اسكتى يا ميج والّا أفسدت كل شىء •

والتفتت الى أمى تقول :

— لن ترافقينا يا أمى ، فاسكتى ، ولا تنوحى نواح الأطفال •

قالت أمى :

— أعتقد أنكما ستذهبان مع لورى الى مكان ما ، فقد رأيتم فى الليلة الماضية ، تتهاوسون وتضحكون معا على الأريكة ، ثم سكتن عند دخولى ، ألسن على صواب فى حدسى ؟

قالت جو :

— نعم ، فاسكتى الآن ، وكفى عن مضايقتنا •

وسكتت أمى ، وأمسكت لسانها عن الكلام ، ولكنها دارت بعينيها تفحص ما حولها ، قلما رأت ميج تدس مروحة فى جيبيها ، صاحت تقول :

— لقد عرفت وجهتكما ، فأنتما ذاهبتان مع لورى الى المسرح ، لمشاهدة تمثيلية « القلاع السبع » •

وسكتت قليلا ، ثم قالت باصرار :

— ما كان يليق أن تخفيا الأمر عنى ، فقد أذنت لى والدتى بمشاهدة التمثيلية ، ولدى من النقود ما يكفى لشراء تذكرة •

فقال ميج تهديها :

— أصغى الى لحظة ، وكونى فتاة عاقلة : ان والدتى لا توافق على ذهابك هذا الأسبوع حتى تبرأ عيناك تماما ، فلا تؤذيها أضواء المسرح •

ولن تفوتك بذلك للفرصة ، ففي الامكان أن تشاهدي الرواية مع بث وحننا  
في الأسبوع القادم •

قالت آمي ، تستعطفها وترجوها :

— ولكن متعتى تكون أعظم اذا ذهبت معكما ومع لورى ، فهلا  
سمحتما لى بذلك ؟ لقد ضاق صدرى بالبقاء فى البيت ، ولم أخرج منذ  
أصابنى البرد ، ونفيسى تتوق الى بعض التسلية . فدعيني أذهب معكما  
يا ميج ، وأعدك بأن أكون دائما فتاة طيبة مطيعة •

ولان قلب ميج مرة ثانية ، فقالت تسأل جو :

— ماذا لو أخذناها معنا ؟ لن تمنع والدتى فى ذهابها اذا دثرناها  
بمعطف سميك •

فقاطعتها جو غاضبة ، وقد غاظها أن تقلب آمي خطتها ، وتفسد  
بذهابها ما كانت ترجوه من متعة وتسلية ، قالت :

— اذا أخذتها فلن أذهب معكم ، اذ أن لورى دعانا نحن الاثنتين  
فقط ، فان تفرضى عليه شخصا ثالثا ، مفاجأة لأبسيط قواعد اللياقة ،  
وثقى أنه لن يغبط بذلك •

وكانت آمي قد شرعت تلبس حذاءها ، فأغضبها من جو كلامها  
ولهجتها ، فقالت فى إصرار :

— سأذهب اذا كانت ميج تريدنى ، ولن أكيد لورى مشقة ما دمت  
أملك ثمن التذكرة •

وكانت جو قد وخزت أصبعها بدبوس فى لهفتها على ارتداء ملابسها ،  
فازدادت بذلك حنقا على حنق ، فقالت غاضبة :

— إن مقاعدنا محجوزة ، ولن تجدى مقعدا بجوارنا ، فإما أن تجلسى وحدك وهذا لا يجوز ، أو يعطيك لورى مكانه فتفقد السهرة بهجتها ، أو يبتاع لك مقعدا رابعا مع أنه لم يفكر فى دعوتك من بداية الأمر ، فخير لك أن تبقى فى البيت ولا تخرجى منه •

وتوقفت آمى عن لبس حذائها ، وجلست على الأرض تبكى بحرقة ، فحنت عليها ميج تسرى عنها ، وتقنعها بالبقاء فى البيت ، وإذ ذاك ارتفع صوت لورى ينادى من الطابق الأسفل ، فأسرعت الفتاتان تهبطان إليه ، ومن خلفهما آمى تصيح وتنوح بأعلى صوتها ، فلما لم تجد من يلتفت إليها ، أطلت برأسها من أعلى السلم ، وقالت نتوعد جو :

— سوف تتدمين على فعلتك يا جو مارش ، وترين كيف أنتقم منك •

أجابت جو وهى تصفق خلفها :

— هراء !

وقضت الفتاتان وقتا جميلا ، فقد كانت « القلاع السبع » تمثيلية رائعة ، فيها كل ما يشتهي قلب جو من أمراء وأميرات وأشباح وملابس براقة ومناظر خلابة ، فجعات الفتاة ترقب المسرح بنظرها وقلبها وحسها ، حتى ظهرت ملكة التمثيلية بشعرها الذهبى الطويل ، وعندئذ تذكرت أختها الصغيرة ، فغشى سرورها بعض الأسف والألم ، وظلت طوال فقرات الاستراحة التى تتخلل الفصول ، تفكر فى عيد آمى ، وتتكهن بما قد تفعله فى سبيل الانتقام الذى أنذرتها به •

ولم يكن هذا أول خلاف ينشب بين جو وآمى ، فكثيرا ما كانت المعارك تقوم بينهما ، وتبلغ من العنف أحيانا حدا بعيدا • وكانت جو

بطبعها سريعة الغضب عصبية المزاج ، إذا أثارها إنسان ، فقدت سيطرتها على نفسها ، ولكنها كانت الى جانب ذلك طيبة القلب حسنة الأخلاق ، لا يدوم غضبها أكثر من دقائق معدودات ، يهدأ بعدها غليان مراجلها ، فتعتذر في لين وأدب عما بدر منها . وكانت تعرف موطن الضعف فيها ، فتبذل جهودا جبارة في سبيل السيطرة على غضبها ، وتعاهد نفسها في كل مرة على أن تكون مثالا في التسامح والصبر ، ثم يثور غضبها لأمر من الأمور ، فينفلت منها الزمام ، لتهدأ بعد قليل ، وتعتذر في لين وأدب . وكان أخواتها يعرفن فيها هذا الطبع الملائكى ، فيتعمدن إغاظتها ليستمنن بجمال اعتذارها ، ولكن أمى كانت بدورها سريعة الغضب عصبية المزاج ، ولذلك كثيرا ما كانت تصطدم بجو ، وتبلغ المعارك بينهما مبلغ العنف والشدة .

وعند ما انتهت التمثيلية ، وعادت الفتاتان الى البيت ، كانت أمى تقراً في الردهة ، وقد علت وجهها سمات الألم الدفين . وأرادت أن تعبر عن غضبها لأختيها ، فتجاهلت دخولهما ، وأبت أن ترفع رأسها عن كتابها ، ورغم شوقها العظيم الى معرفة تفاصيل السهرة ، اختارت أن تترفع عن الكلام ، تاركة لبث مهمة إشباع فضولها بأسئلتها واستفساراتها .

وصعدت جو الى غرفتها تخلع قبعيتها ، فكانت خزانة الملابس أول ما اتجه إليه نظرها ، فقد انصب انتقام أمى في آخر معركة نشبت بينهما ، على قلب حاجاتها المرتبة ، وإلقائها على أرض الغرفة . ولكنها لم تفعل ذلك في هذه المرة ، ولم تعبت بدرج أو خزانة أو صندوق ، فاطمأن قلب جو الى أن أمى نسيت وعيدها ، وصفح عنها . ولكنها أخطأت الظن ، فقد حدث في اليوم التالى أن بحثت جو عن كراسة القصص التى تضم

فيها مؤلفاتها ، فلم تجدها حيث تركتها آخر مرة ، وأقنعها البحث الدقيق بأن الكراسية اختفت ، وأن بدا خبيثة ساهمت في اختفائها •

وكان أخواتها يجلسن في الغرفة السفلى ، فهبطت الدرج إليهن مبهورة الأنفاس ، وقالت بانفعال :

— هل أخذت إحدائكِ كراسيتي ؟

وأجبت ميح وبث بالنفي ، وقد باننت في وجهيهما أمارات الدهشة الصادقة ، أما أمي فقد احمر وجهها قليلا ، ولم تقل شيئا ، وتشاغلته عن الإجابة بتقليب نار الحفأة ، فاتجهت جو إليها مباشرة ، وقالت لها :

— أمي •• لقد أخذتها !

قالت :

— لا ، لم آخذها •

— إذا فأنت تعرفين مكانها !

أجابت :

— لا ، لا أعرف •

صرخت بها جو :

— أنت تكذبين !

وشارت براكين غضبها المعهود ، فأمينت بكفتي الفتاة بخسونة شديدة ، انخلع لها قلب أمي ، فقالت خائفة :

— لست كاذبة ، ولم آخذ كراستك ، ولا أعرف أين هي ، ولا يهمني

• ما أصابها •



قالت جو وهى تهزها قليلا :

— بل تعرفين يا أمى أين ذهبت الكراصة . فاعترفى من تلقاء  
نفسك ، وإلا أكرهتك على الاعتراف .

فصاحت أمى ، وقد ثار غضبها بالمثل :

— افعلى ما بدا لك ، ولكنك لن ترى قصصك السخيفة مرة أخرى :

قالت :

— ولم ؟

قالت :

— لأننى أحرقتها !

فغاض الدم من وجه جو ، وتشنجت يداها على كتفى أمى ، وقالت  
فى استيكار وفزع :

— ماذا تقولين ؟ أأحرقت كراستى التى تعبت فى كتابتها سنوات  
طويلة ، لأنتهى منها قبل عودة أبى الينا ؟ !

قالت :

— نعم أحرقتها ، وقد أنذرتك أمس وأقسمت أن أورك الندم على  
فعلتك ، ولقد نفذت وعيدى وأحرقتها ، فافعلى الآن ما تريدين .

وانفجرت مرابجل غضب جو ، وركبها شيطان الشر ، فجعلت تهز  
أختها وتهزها ، بكل ما تستطيعه من قوة وعنف ، حتى اصطكت أسنان  
أمى لفرط الألم والرعب ، وصاحت الغاضبة تقول :

( م ١٠ — نساء صغيرات )

— أيتها الشريرة الخبيثة ، لن أغفر لك فعلتك ما حييت ، فقد حرمتني من أجمل قصص كتبتها •

وأسرت ميح تنقذ آمي من بين يدي جو ، وهرعت بث الى أختها المفضلة تسرى عنها وتخفف من حدة غضبها ، ولكن جو لم تسكت حتى لطمت آمي على وجهها لظمة شديدة ، لاذت بعدها بغرفتها تعالج ثورتها وحيدة •

وهدأت العاصفة في الردهة السفلى ، عندما عادت مسز مارش من عملها ، وعلمت بما حدث ، فأنبت آمي تأنيبا شديدا ، وبينت لها مدى الأذى الذي ألحقته بأختها ، فقد كانت تلك الكراسية مفخرة جو ، وكانت قد سكبت فيها روحها وقلبها ، وتعبت في تأليف قصصها وتهذيبها ، وقضت شهورا في تجميل أسلوبها وتنميته ، عسى أن تستطيع نشرها في يوم من الأيام • وكانت جو قد اكتفت بالنسخة الأخيرة ، وأعدمت الأصول كلها ، فكان آمي بفعلتها قضت على جهودها طوال السنوات الأخيرة ، وأنزلت بها خسارة لا تعوض •

وخيم على البيت سكون ثقيل ، فقد جلست مسز مارش حزينة مهمومة ، وبكت بث على ما أصاب مؤلفات جو بكاءً كثيرا ، كما رفضت ميح أن تدافع عن أختها المفضلة أمام قبح الفعل التي أتتها ، فاستبد الندم بآمي ، وانتوت أن تعتذر لأختها في أول فرصة ، حتى تستعيد رضا الأسرة وعطفها • فلما حان موعد تناول الشاي ، وأقبلت جو على غرفة الطعام حزينة مهمومة ، استجمعت آمي شجاعتها كلها ، وقالت في صوت خجل ضعيف :

— ان أسفى لما فعلت بانغ يا جو ، فسامحيني بالله عليك •

أجابت جو في صلابة :

— لن أصفح عنك ما حييت •

ومنذ تلك اللحظة تجاهلت وجود أمي كلية ، ولما كانت أمها وأخواتها يعرفن بالتجربة ألا فائدة تترجى من الجدل معها وهي في عنفوان غضبها ، فقد سكتن جميعا عن الإشارة الى الموضوع ، حتى يهدى الزمن ثائرتها ، فيلين قلبها •

ومضى المساء في حزن ووجوم ، بالرغم من أن البنات كن يطرزن كالعادة بجوار المدفأة ، وأمهن تقرأ لهن كتابا مسليا ، فقد كان الجو خاليا من الأنس والألفة ، والأسرة في قلق واضطراب بعد طول هدوء وسلام • وعندما اقترب وقت النوم ، وحان موعد الغناء ، وقفت جو بجوار المعزف صامتة جامدة ، كأنها تمثال قد من صخر ، وانهارت قوى أمي فسكتت بدورها ، ولم يشترك في الغناء سوى ميج ، ولكن صوتها الجميل خذلها في هذه المرة، وخرج رغم محاولاتها الكثيرة عن الأنغام على غير المعتاد •

وأوت جو الى غرفتها ، فدخلت عليها أمها تقبلها وتهمس في أذنها

قائلة :

— لا تدعى شمس غد تشرق على غضبك ، وكوني بقلبك الكبير

غفورة رحيمة •

وأحست جو برغبة ملحة في أن تسند رأسها الى صدر أمها ،

وتبكي جهودها الضائعة ، ولكنها كانت تحتقر الدموع ، وتراها

مظهرا لا يليق بكرامة الرجال الذين كانت تتمنى لو خلقت واحدا

منهم ، فطوت صدرها على ألها وهزت رأسها وقالت بصوت أجش سمعته أمى من خارج الغرفة :

— لقد أخطأت خطأ جسيما ، ولست أراها تستحق الصفح .

وبهذه الكلمات سارت الى فراشها ، فأنتهى المساء كئيبا حزينا .

ومضى نهار اليوم التالى ، ومراحل غضب الفتاة مازالت تنذر بالانفجار ، وزاد الطين بلة أن كان الجو باردا مكهرا ، فسقط معطفها فى الوحل أثناء سيرها فى الطريق ، وعندما وصلت الى عمتهما وجدتها فى ثورة مضاعفة ، لا تتى عن التذمر والنقد والتجريح .

وظلت ميج طوال النهار شاردة الذهن ، وكانت بث حزينه واجمة ، أما أمى فقد ساءها أن يقابل اعتذارها بالرفض ، وندمت على أنها أذلت كبرياءها بطلب المغفرة من أختها ، وأحست أن موقف جو الأخير منها قد جرح كرامتها أكثر من ذى قبل ، فعادت الى غرورها السابق ، وأمعنت فى التحدث عن فضائلها ومواهبها ، ولم تنس التعريض بمن يتظاهرن بالطيبة أمام الناس ولا يعملن فى الحقيقة بأصولها ودواعيها .

وضاق صدر جو بثرثرة أختها وغرورها ، ورأت أن تفرج عن نفسها بالنزهة قليلا ، وقالت تحدث نفسها :

— كلهن بغيضات الى قلبى اليوم ، ولورى فتى كريم مرح ، ولن

يتردد فى الانزلاق معى على الثلج اذا طلبت منه ، وسوف تنسرى عنى صحبته وتسليبنى .

وسمعت أمى ضجيج قبقاب الانزلاق ، فأغرته نفسها بالانزلاق مع أختها ، فقالت لميج :

— لقد أوشك الشتاء على الانتهاء ، ولم تسنح لى فرصة الانزلاق على الجليد بعد ، لكن لا فائدة ترجى من أن أطلب الى هذه العنيدة أن تصحبنى معها ، رغم أنها وعدتنى بذلك فى يوم من الأيام •

قالت ميج :

— لا تلموئها ، فقد كنت البادئة بالعدوان ، وليس من اليسير على نفسها أن تغفر لك ما فعلته بكراستها ، ولكن خذى قبقابك على كل حال ، وأخرجى خلفها عسى أن تكون الآن أكثر استعدادا للصفح عنك ، ونصيحتى أن لا تعترضى طريقها ، حتى يسرى لورى عنها ويدخل بعض المرح على نفسها ، وعندئذ انتهزى الفرصة المناسبة واعتذرى لها ، وقبليها مستغفرة ، وبذلك تستعيدين صداقتها من جديد •

قالت أمى ، وقد راققتها الفكرة :

— سأحاول •

ثم أسرعست تستعد ، وجرت خلف جو ولورى ، ولكنهما كانا قد سبقاها الى منعطف الطريق • ورغم أن المسافة لم تكن طويلة بين البيت والنهر ، فعندما لحقت بهما أمى ، كانا قد شرعا فى الانزلاق ، وكان لورى قد سبق زميلته الى سطح النهر المتجمد يختبر كثافة جليده ، ويختار منه البقعة الصالحة للانزلاق ، فلم ير أمى عند حضورها ، ولكن جو رأتهما ، فأدارت لها ظهرها ، وتجاهلت وجودها •

ووقفت آمل جانباً تتأمل لوري ، وهو يختبر النهر في حذر ، وقد ارتدى معطفاً سميكاً وغطى رأسه بقبعة من الفراء فبدأ كأنه أمير روسي ، وسمعته يقول لجو : دعيني أختبر الجليد قبل أن نبدأ السباق .

وأرادت آمل أن تلفت النظر إلى وجودها ، فجعلت تضرب الأرض بقدميها ، وتتفخ في كفيها ، وهي تحاول عبثاً أن تلبس قبقابها بغير معونة . ولكن جو أمعنت في تجاهلها ، وشرعت تنزلق في خط متعرج ، ونفسها تفيض بالرضا بما تعانیه أختها من مشقة وغيظ ، فقد كان غضبها على آمل يزداد بمضي الوقت ويتعرج . قال لوري لجو :

— الزمى جانب النهر ، وإياك أن تقتربي من وسطه ، فالجليد فيه رقيق لا يحتمل ثقلنا .

وسمعت جو التحذير ، ولكن آمل لم تسمعه ، إذ كانت في شغل عن الاضغاء بمحاولة الوقوف على الجليد المصقول . ونظرت جو إليها من فوق كنفها ، وهمس الشيطان في أذنها يقول : « لا يهم ان كانت قد سمعت التحذير أو لم تسمعه ، دعها تتولى أمرها بنفسها » .

وانزلق لوري إلى جانب النهر ، وتبعته جو في ببطء وتأن ، وسارت آمل إلى الوسط غير عالمة بالخطر ، فتوقفت جو لحظة ، وقد تطاحت في صدرها رغبات مختلفة ، فقلباها يهيب بها أن تحذر أختها ، وشيطانها يحرضها على تركها لشأنها . وترددت جو بين الرغبتين ، ولكن ترددتها لم يطل أكثر من لحظة خاطفة ، وقع البلاء بعدها فجأة : إذ انشق الجليد تحت قدمي آمل . وغاص جسدها الصغير في مياه النهر الباردة . وصرخت آمل عن قلب استبد به الرعب ، وفتحت جو فمها تستغيث بلوري ولكن الفزع ألجمها عن النطق وأسكتها عن الحركة ، فتسمرت في مكانها صامتة . وجسدها يرتجف من الرأس إلى أخمص

القدمين • ومضت برهة وهي جامدة في مكانها تتطلع الى القبعة الزرقاء الصغيرة وهي تغوص وتطفو في مياه النهر السوداء ، ثم سمعت صوت لورى يصيح بها وهو يمرق أمامها كالسهم :

— أسرعى الى بلوح من الخشب •

ومضت الدقائق التالية وكأن جو في كابوس مخيف : كانت تتحرك دون أن تدري ، وتطيع أوامر من غير تفكير ، وكان الفتى رابط الجأش ثابت الجنان ، فانبطح على الجليد ، وأمسك يد آمى ليحول بينها وبين الغرق ، حتى انتزعت جو من السياج الخشبي القريب لوحا ، وحملته اليه ، فتعاون الاثنان على انقاذها من الخطر مستعينين باللوح الخشبي ، وأخرجوا آمى الى سطح الجليد بعد عناء سببه الفزع أضعاف ما سببه النصب •

ودثر لورى الفتاة بمعطفه الثقيل ، وشد حولها حزامه ، وقال لها :

— عودى الى البيت مسرعة ، وأنت يا جو اجمعى حاجاتنا ، حتى أخلع عن قدمي هذه القباقيب للعينة •

وعاد ثلاثتهم الى البيت ، وآمى ترتجف وتبكي وتقطر ماء ، ومضت بالأسرة فترة عامرة بالانفعال والقلق ، حتى استسلمت الفتاة للنوم تحت الأغطية السميكة بجوار النار الموقدة • ولم تتكلم جو إلا قليلا خلال تلك الدقائق القلقة ، وجعلت تروح وتجيء في الغرفة شاحبة اللون نائرة غير آبهة بثوبها الممزق ويديها الزرقاوين المجروحتين بفعل الجليد والخشب •

ولما راحت أمي في سباتها العميق المريح ، وساد السكون في البيت ، جلست مزمارش تضمد جروح جو وتعالجها ، فنظرت الفتاة بحزن الى رأس أختها النائمة ، وتصورت قسوة المصير الذي كان ينتظرها في غياهب النهر ، فقالت لأمها :

— أواثقة أنها بخير يا أماه ؟

فقالت أمها في لهجة عذبة :

— اطمأنى يا عزيزتى ، فمن حسن الحظ أنها لم تصب بجرح واحد ، وأعتقد أن لا خطر عليها من البرد بعد أن دثرتها بالمعطف ، وأسرعنا بها الى البيت •

قالت جو :

— الفضل في ذلك للورى وحده ، أما أنا فلم أفعل شيئاً ، انما كنت السبب في سقوطها ، وأنا اللومة على ما أصابها ، ولو ماتت ما سئل عن موتها غيرى •

وارتمت جو تحت أقدام أمها ، وانفجرت تبكى في ندم شديد ، وجعلت تروى لأمها ما حدث ، وتتهم نفسها بقسوة القلب والشر ، ثم تتجه الى الله شاكرة أن أنقذ برحمته أختها من الموت • قالت في أسى :

— انه خلقى الثائر الغضوب ، وكم أقسمت أن أتغلب عليه وأقهره ، فكنت أخفق دائماً ، إذ عندما يثور غضبى ينفلت الزمام أتمد عنفا مما مضى •

أسندت مزمارش رأس ابنتها الحزينة الى صدرها ، وطبعت



على خدها المندى قبلة الحنان ، وقالت للفتاة التى زادها عطف أمها  
بكاءً ونحيباً :

— اتجهى الى الله دائماً ، واطلبى منه العون ، يقويك على  
غضبك ، ولا تستسلمى لليأس ما دمت قادرة على اصلاح الخطأ .  
قالت الفتاة :

— خلقى يا أماه يورثنى الحزن والأسى ، فما ان يركبنى شيطان  
الغضب ، حتى أصبح وحشاً ضارياً ، وأشعر بقدره عجيبة على إتيان  
الشر ، ويلذ لى أن أرد العدوان أضعافاً مضاعفة ، وأخشى أن يقهرنى  
الشيطان ذات يوم فأقوم بفعله منكرة تفسد حياتى وتنفّر الناس  
منى . ساعدينى يا أماه وأنقذينى من محنتى .

قالت مسز مارش :

— ساعينك يا بنيتى فكفك بكاء ، وعاهدى النفس منذ اليوم على  
أن لا تكررى ما حدث . كلنا بشر يا جوء ، وللبشر أخطاءهم وان  
اختلفت ، والسعيد من كانت أخطاؤه يسيرة ، والشقى من قضى العمر  
فى التغلب عليهما . لا تظنى أنك فريدة فى حماقتك ، فقد كنت مثلك  
وأكثر ، ولكنى روضت نفسى على الهدوء والتسامح ، فلماذا لا تفعلين  
ما فعلت ، فتبلغين ما بلغت من راحة وهدوء وسلام ؟

قالت جو ، وقد أنستها الدهشة آلامها :

— أنت يا أماه ؟ ! لم أرك تغضبين مرة فى حياتى .

قالت :

— لأننى قضيت أربعين سنة فى علاج غضبى ، ولم أنجح إلا بقسط يسير ، فأنا أغضب كل يوم يا جو ، ولكنى تعلمت أن أخفى ثورتى عن الناس ، وأن أكبتها فى قلبى وأعطيتها بسـتار سـميك من الهدوء الظاهرى . ومازلت أرجو أن أنتصر على ضعفى انتصارا حاسما ، وأقتلع شجرة الغضب من جذورها ، ولن أسكت حتى أبلغ غايتى ، ولا يضيرنى أن أقضى فى السعى إليها أربعين سنة أخرى .

وتطلعت جو الى وجه أمها ، فرأت فيه أبلغ معانى الصبر والثقة بالنفس ، فتعلمت من ذلك درسا بليغا ، وأحست براحة هائلة تعمّر قلبها الحزين القلق ، واستمدت من قصة أمها قوة على تهر نقيصتها .

وازدادت بصراحة أمها الطيبة رغبة فى الكفاح والجهاد ، من أجل الهدوء والسلام ، وكانت تعرف أن أربعين عاما يقضيها الانسان فى مراجعة نفسه دهر طويل ، ولكن أمها لم تياس على مضى السنين ، فلماذا لا تقتفى خطواتها ، وتطلب الكمال متفائلة وان طال الأمد ؟ وأحست فى تلك اللحظة كأن أمها أقرب إليها من أى وقت مضى ، فسألتها :

— لاحظت يا أماه أنك ترمين شفتيك ، أو تخرجين من الغرفة مسرعة ، إذا أمعنت العمه مارش فى نقدها ولجاجتها ، فهل تكونين فى مثل هذه الأوقات غاضبة ؟

وتنهدت مسز مارش ، ورقعت يدها الرحيمة الى رأس جو تسوى شعرها المشعث ، وقالت :

— نعم ، ولكنى تعلمت أن أحبس كلمات الغضب فى فمى ، وأسرع بالخروج من الغرفة لأعاتب النفس على ضعفها وخذلانها .

سألته الفتاة :

— أرشديني يا أماد ، كيف أستعين بالهدوء على الغضب ، فالكلمات القاسية تتدفق من فمي على الرغم مني ، وكلما ازداد تدفقها ازدادت مراجل غضبي ثورة وغليانا ؛ حتى يعميني الضلال ، فأجد لذة في جرح شعور الآخرين • أريد أن أكون مثلك ، فعلميني ما تعلمته ، وساعديني على بلوغ غايتي •

قالت :

— كانت لى أم رحيمة تساعدني •

فقاطعتها جو بقبلة ، وقالت :

— مثلما تساعدنا برحمتك وحنانك •

قالت مسز مارش :

— ولكنها ماتت وأنا في سن مبكرة ، فجعلت أكافح الحياة وحدي ، وقد منعتني كبريائي من أن أنشد معونة غيرها • وكان وقتا عصيبا ، كله دموع وأحزان • ولكني لم أوفق في تحسين أحوالي رغم جهودي المضحية ، ثم جاء أبوك ، ومعه الخير والسعد ، فتحسننت مواردى ، وتحسننت معها أخلاقى ، واستطعت أن أكون امرأة طيبة • ولما مضت السنون ، ووزقت ببنت أربيع ، ضاعت ثروتنا ، فعادت لى أحزاني ، وعزز على أن يحرم بناتى متع الحياة ومسررتها •

قالت جو :

— مسكينة يا أماد ، ولكن من الذى أخذ بيدك فى تلك المحنة ؟

قالت :

— أبوك يا جو ، فهو رجل لا ينفد له صبر ولا يعتور إيمانه شك ،  
يعمل ويجتهد وينتظر السعادة صابرا • كان يعينني ويواسيني ، ويريني  
كيف أتحدى بالفضائل حتى أكون مثلا تحتذيه بناتي ، وكان من السهل  
على أن أضحي من أجلكن ، وأن أقتفى خطواته لأكون عن جدارة  
واستحقاق خير قدوة لبناتي ، ووجدت في حبكن لى وثقتكن بى أعظم  
جزء فى الحياة •

صاحت جو فى تأثر بالغ :

— لينتى أتحدى بنصف فضائلك يا أماه •

قالت :

— بل يجب أن تكون لك فضائلى وأكثر ، وكل ما أطلبه منك أن  
تحذرى العدو الكامن فى صدرك ، حتى لا يسيء اليك ويفسد حياتك •  
لقد تلقيت اليوم درسا واندازا ، فاتعظى بما حدث ، وجندى قواك فى  
قهر الغضب ، وفى الانتصار عليه ، قبل أن يوزدك موارد التهلكة ، فتقاسى  
من الألم ما لا قبل لك به •

قالت جو :

— سأحاول يا أماه فى اخلاص وعزيمة ، فكونى بجانبى دائما ،  
وساعدينى على بلوغ غايتى ، ولا تتوانى عن الأخذ بيدي إذا رأيتنى  
أستسلم للغضب • لقد كنت أرى أبى أحيانا يضع أصبعه على شفتيه ،  
وينظر اليك فى جد وعطف ، وكنت أراك إذا ما فعل هذا ترميز شفتيك ،  
ثم تتصرفين من الغرفة مسرعة ، فهل كانت هذه وسيلته فى معصونتك  
على قهر الغضب ؟

قالت :

— نعم ، وكم أنقذتني تلك الاشارة الصغيرة من أخطاء كثيرة •  
ورأت جو الدموع تغرورق في مقلتي أمها ، فخشيت أن تكون  
قد تخطت الحدود بكلامها ، فقالت بلهفة وندم :

— أكان خطأ منى أن أرقبكما ، وأصارحك بما رأيت ؟ انما أردت  
أن أفتح لك صدرى ، وأحدثك بخواطرى واحساساتى ، بعد أن وجدت  
في كتفك راحة نفسية غامرة •

قالت الأم :

— لا بأس عليك يا جو ، وأكثر ما يسعدتنى يا حبيبتى أن أكون  
موضع ثقة بناتى ، فأقص عليهن سعادتى وأتراحى •

قالت جو :

— خشيت أن أكون قد آلتك بحديثى •

قالت الأم :

— لا يا عزيزتى ، ولكن الحديث عن أبيك يحرك وحشتى اليه ،  
ويذكرنى بأفضاله الكثيرة ، ويحفزنى الى الاخلاص فى رعاية بناته ،  
وحفظهن سعيدات من كل سوء •

قالت جو :

— ومع ذلك ، فقد تركته يذهب الى الميدان ، ولم تذرني دمعة  
فى يوم الوداع ، وبقيت الى اليوم راضية كأن شيئاً لا ينقصك فى  
الحياة •

قالت :

— لقد وهبت الوطن أعز ما أملك ، وحبست دموعى حتى لا أحزن  
والدك يوم السفر ، وأقلعت عن الشكوى قانعة بإرادة الله • لقد أدى  
كلانا واجبه ، والسعادة تنتظرنا فى النهاية • انى لا أطلب العون ،  
لأن الله فى عونى ، ومن كان الله له معيناً ، فلا حاجة به الى انسان •  
ان المتاعب يا بنيتى قد بدأت فى حياتكن ، وستزداد يوماً بعد يوم ،  
فاستعن بالله على قهرها ، يراكن الله ويكلاكن برحمته وعنايته • وكلما  
ازداد ايمانكن بالله ، ازداد الله قرباً منكن ، وكفاكن شر الحاجة الى  
الناس • ان عطف المولى معين للسعادة لا يغيض ، وينبوع للقوة  
والسلام لا يينضب ، فاحفظى قولى هذا عن ظهر قلب ، وتوجهى اليه  
عز وجل بكل ما فىك من قوة وايمان • الجأى اليه فى آمالك وأحزانك ،  
واستغفريه عن نزواتك وأخطائك ، يستجب لك من علياء سمائه •

وأفحمت جو بنصيحة أمها ، فأحاطتها بذراعيها صامتة ، وتوجهت  
الى الله فى صلاة خاشعة ، خرجت منها نقيه القلب ، طاهرة النفس •  
فكما تعلمت فى هذه اللحظة قسوة الندم والألم واليأس ، كذلك تذوقت  
خلاوة التضحية وجمال السيطرة على النفس • فقد أرشدتها الى طريق  
الله ، وأخذت بيدها الى رحمته التى تشمل كل حزين ضال والتى تريد  
فى عظمتها وجلالها عن رحمة الآباء والأمهات •

وتعلمت آمى فى فراشها ثم تنهدت ، فنظرت جو اليها نظرة جديدة  
كلها عطف وحنان ، كأنها تتلف الى المبادرة بالتكفير عن زلتها •  
وقامت الى أختها تحنو عليها ، وتربت على شعرها الذهبى الناعم ،  
ثم تقول لأمها :

— لقد عصيتك أمس ، فلم أصفح عنها ، وتركت شمس النهار  
الجديد تشرق على قلبي المفعم بالغضب ، ولولا لورى ، لكنت فقدتها  
الى الأبد ، وشقيت بإثمي العظيم مدى الحياة •

وكان الصغيرة قد سمعت قول أختها ، إذ فتحت عينيها ، ومدت  
ذراعيها ، وافتر ثغرها عن ابتسامه نفذت الى صميم قلب جو • ولم  
تنبس احداهما بكلمة ، وتعانقتا فى صمت ، ثم محت القبلات آثار  
الحنه الماضيه •

## الفصل التاسع

### ميج تجرب مباحج المجتمع

في أول يوم من شهر أبريل ، وقفت ميج في حجرتها تعـد حقيبة السفر ، وأخواتها من حولها يساعدنها • قالت تتحدث عن الأطفال الذين تعمل مربية لهم :

— أليس من حسن الحظ أن يصاب أولئك الأولاد بمرض الحصبة في الوقت الحاضر ؟

قالت جو ، وهي تساعد أختها في طي ملابسها :

— وأليس جميلا من أنى موفاة أن تتذكر وعدها لك ، فتدعوك لقضاء أسبوعين في ضيافتها ؟

وكانت بث تقوم بنصييها من مساعدة أختها ، فتطوى الشرائط الملونة ، وتضعها في صندوق أعارته ميج بهذه المناسبة السعيدة ، قالت :

— ومن حسن المصادفات أن الجو معتدل جميل •

قالت أمى وهي تغرز الدبابيس في وسادتها الصغيرة :

— من لى بدعوة أنيقة أرئدى فيها كل هذه الملابس الجميلة •

قالت ميج ، وهي تجيل بصرها في ملابسها وأدوات زينتها :

— كنت أتمنى أن تذهبن معى ، ولكن أنى لم تسدع سواى ، فلتطمئن نفوسكن الى أننى سوف أحفظ بكل ذكرياتى ومخاطراتى ،



لأرويتها لكن عند عودتي ، فهذا أقل ما يجب على ، بعد ما لمستته من عطفكن البالغ وتسابقكن الى اعارتي أجمل ملابسكن ومقتنياتكن •

سألتها أمي :

— وهل أعطتك والدتي شيئاً من صندوق تحفها المعهود ؟

وكانت تشير بهذا الكلام الى صندوق كبير من خشب الصنوبر ، اعتادت مسز مارش أن تحتفظ فيه بما تركته لها أيام الرخاء من تحف غالية ومقتنيات ثمينة ، لتهبها لبناتها في الوقت المناسب • وكانت الأم قد فتحت الصندوق لأول مرة من أجل رحلة ميغ ، ولكن ثساء سوء الطالع أن تكون أمي خارج البيت في تلك اللحظة المثيرة ، فلم تر شيئاً من عطايا أمها •

أجابت ميغ :

— أعطتني جوربا حريريا ، ومروحة منقوشة ، وحزاما أزرق اللون • وكنت أحب أن آخذ قطعة الحرير البنفسجية ، لكنى عدت فتركتها ، إذ ليس لدى متسع من الوقت لقصها وحياتها • وأرى أن أقنع بثوبى المقوى القديم •

وكانت جو تتمنى لو استطاعت أن تعطي أختها كل ما تملك ، ولكن سوء الاستعمال كان قد أفسد ملابسها وأدوات زينتها ، فلم تعد تصلح للأهداء • قالت :

— سيكون ثوبك جميلا ، عندما ترتدينه فوق قميصي الجديد ، وترينينه بحزام أمي الأنيق ، وكان يسعدنى أن أعيرك سوارى المرجانى ، ولكنه تهشم منى مع الأسف •

( م ١١ — نساء صغيرات )

قالت ميج :

— رأيت في صندوق التحف عقدا من اللؤلؤ ، فلم تشأ والدتي أن تعطيني إياه ، وقالت إنني ما زلت صغيرة السن ، والزهور الطبيعية أليق زينة بي ، وقد وعد لورى أن يمدني بكل ما أحتاج إليه منها •

وعادت تتأمل ملابسها وتقول :

— هذه الريشة تحتاج الى إصلاح ، وهذا الطاقم الرمادي الجديد ينفع للسير في الصباح ، والرداء البوبلين للحفلات الصغيرة ، وإن كنت أعتقد أن نسيجه سميك لا يناسب جو الربيع • آه لو كان الوقت يسمح بحياسة القطعة البنفسجية !

قالت أمي ، وهي تسرح الطرف في مجموعة الملابس الأنيقة :

— لا يهم ، فثوبك الموسلين يصلح للحفلة الكبيرة ، ولونه الأبيض يكسبك حسنا ملائكيا •

قالت ميج :

— إنه قصير ، وفتحته ضيقة ، ولكني سأصلحه على كل حال • وثوبى الأزرق يبدو جميلا بعد أن قلب وثني حتى أصبح كالجديد ، وحقيبتى من طراز عتيق ، وقبعتى ليست كقبعة سالى ، ولكن هذا كله لا يضايقنى بقدر ما تضايقنى مظلتى الجديدة : فقد طلبت من والدتي واحدة سواء بمقبض أبيض ، فابتاعها صفراء بمقبض أخضر قبيح • إنها متينة الصنع جيدة النسيج ، ولكن لونها لا يعجبني وأتسعر بالخجل عندما أقارنها بمظلة أمى الحريرية المذهبة •

وتنهدت ميج ، ونظرت الى مظلتها بعين الرثاء ، فاقترحت جو أن  
تغيرها ، ولكن ميج أنكرت هذا الرأي وقالت :

— لا ، لن أغيرها حتى لا أجرح شعور والدتي ، بعد أن تكبدت  
عناء كبيرا في شرائها ، واقتصدت في مصروفاتها ، لتوفر ثمنها .  
انها نزوات سخيفة لا يصح الاستسلام لها ، خصوصا اننى أجد  
في جوربى الحريري وقفازى الجديد عزاء كبيرا . كان جميلا منك  
يا جو أن تعيرينى قفازك الجديد لآخذه مع قفازى القديم بعد تنظيفه .  
وأحضرت آمى كوما من الشرائط الحريريّة البيضاء ، كانت حنا  
قد كوتها ، لتوها ، ثم سألت أختها ميج :

— ان آنى. موفات تحلى قلنسوة نومها بأشرطة زرقاء وحمراء ،  
فهل تفعلين مثلها ؟

قالت جو بحزم :

— لو كنت مكانك يا ميج ، ما فعلت ذلك ، حتى لا يتجسم الفارق  
بين أناقة القلنسوة ، وبساطة ثوب النوم الرخيص .

فقالت ميج بضيق :

— متى يأتى اليوم الذى أستطيع فيه أن أزين قبعاتى بالأشرطة ،  
وأحلى ثيابى بالدنتلا الحقيقية ؟

قالت بث فى هدوئها المعهود :

— كنت تتمنين منذ أيام أن يسعدك الحظ بتلبية دعوة آنى

موفات فقط !

فقالت ميج :

— صدقت ، ولا يصح أن أخرج من أمل الى أمل ، وإنكها الطبيعة البشرية ، فكلما تحقق لنا رجاء تطلعنا الى غيره .

تلقت ميج حولها ، واستطردت في غبطة ملحوظة :

— أعتقد أننا انتهينا من اعداد الحقيبة ، ولم يبق غير ثوب المسورة ، وأفضل أن أتركه لوالدتي تضعه في الحقيبة بتقسها .

وكان اليوم التالي صحو والشمس مشرقة ، فغادرت ميج دارها سعيدة الى حيث تقضى أسبوعين في ضيافة صديقتها آنى موفات ، ولم تكن مسز مارثس تميل الى الموافقة على ذهابها ، خشية أن تعود مارجریت ، بعد زيارة أولئك الأثرياء ، أكثر تدمرا بحالها من أى وقت مضى ، ولكن ميج استعطفتها كثيرا ، وبالغت في الالاح والرجاء ، وضمت صديقتها سالى صوتها الى صوتها ، وتعهدت برعايتها خلال الزيارة ، فلم تجد الأم بدا من الموافقة ، راجية أن تكون دعوة آل موفات خير ترفيه عن ابنتها بعد عملها المرهق طول السنة .

وكان آل موفات على ثراء عظيم : يعيشون في قصر كبير ، ويرفلون في حلل الخير والأناقة ، فانكششت ميج في بداية الأمر ، ثم لم تلبث أن خبرت حسن أخلاقهم ، وعظيم تواضعهم ، فزال توجسها واندمجت فيهم ، وأمكنها بعد وقت قصير أن تلمس ما وراء مظاهرهم الفاخرة من معدن عادى لا يزيد عن معدن الآخريين في شيء . وكانت مترفة المزاج بطبعها ، فأعجبتها أساليبهم في البذخ ، وسرها أن تعيش مع قوم لا يعرفون من الحياة الا ركوب العربات الجميلة ، وارتداء

الملابس الأنيقة ، وقضاء الليالى فى المتع والمسرات ، وكان تأثرها بعشرتهم بالغاً ، فجعلت تقلدهم فى تصرفاتهم وأحاديثهم ، فتكوى جدائلها كل يوم ، وتحشو كلامها بألفاظ فرنسية ، وتحصر مناقشاتنا فى شئون الأرياء وأخبار المسارح ، وكانت تبذل فى اتقان هذا التقليد جهوداً عظيمة . وكلما كانت ترى مزيداً من مظاهر الثراء فى بيت موفات ، يزداد حسدها لابنتهم آنى ، ويتضاعف احساسها بفقرها وحقارة بيتها ، وترداد ثورتها على الظروف التى تحوجها الى كسب عيشها بالعمل الشاق ، حتى انتهى بها الأمر الى الشعور بأنها فتاة فقيرة مسكينة ، ظلمتها الأقدار بغير حق ، وأحلتها مكانة ما كانت تستحقها أو ترجوها . وهانت أمام شعورها هذا فرحتها بثوبها الحريري ، وجوربها الجديد ، وقفازها الجميل ، وأصبحت ترى فى تلك المقتنيات ، التى كانت تقخر بها قبل وقت قصير ، مظاهر فقر لا تليق بمقتاة مثلها .

وكان من حسن حظ ميج أن وقتها لا يتسع لطول التأمل والتفكير ، إذ حرصت مضيفتها آنى على اعداد برنامج حافل لا يترك من اليوم ساعة بغير متعة ونشاط ، فكانت تخرج بميج وسالى الى المتاجر فى الصباح ، ثم ترور معها الجيرة والأصحاب ، وفى المساء يطوف ثلاثتهن بالمتنزهات فى عربة موفات الأنيقة ، وفى الليل يذهبن الى المسرح أو دار الأوبرا . وكان لآنى موفات أختان كبيرتان هما بل وكلارا ، وكانتا على قسط عظيم من الحسن والأناقة ، وكان ربا البيت مثلاً أعلى فى الوداعة والسماحة ، وقد أعجبا بجمال ميج ، وراق لهما حسنهما الطاهر الوديع ، فأقبلوا عليها — كما أقبل بناتهما وضـيوفهما — يدلانها ، ويؤثرانها بكثير من أوجه المجاملة والتكريم ،

فازدادت ميح بذلك غرورا على غرور ، وأحست كأنها تعيش في عالم من الأحلام الحلوة .

وكان برنامج الدعوة يحوى حفلتين رئيسيتين ، احداهما صغيرة والأخرى كبيرة ، فلما حان موعد الأولى ، أخرجت ميح ثوبها المقوى ، فبدأ في عينيها حقيرا تافها ، بالقياس الى ثوب سالى القشيب . وقد أحست لذلك بحرج شديد ، ازدادت وطأته عندما لاحظت كيف تطلع البنات الى ثوبها ، ثم تبادلن النظرات خلسة . والتهب وجه ميح بحمرة الخجل ، وشعر البنات بما أصابها ، فعملن على اصلاح الخطأ بمزيد من العطف والرعاية ، فسألته سالى أن تسمح لها بتصفيف شعرها ، وتطوعت آنى بربط حزامها ، وانبرت أختاها الكبيرتان بكل وكلارا تطريان محاسن ميح ، وتثنيان على جمال ذراعيها وبياض لونهما . ولكن هذا العطف كله لم يأت بثمرته المرجوة ، فظلت ميح فيما بينها وبين نفسها حزينة واجمة تلعن الفقر والحاجة ، حتى شغلتها شجونها عن المرح والمتعة ، فانزوت في جانب من البيت صامتا واجمة ، وزميلاتها يتنقلن بين الغرف ضاحكات راضيات .

وظلت ميح في حزنها ومرارتها ، حتى أقبلت عليها احدى الخدم تحمل صندوقا شفافا به باقة زهر يانعة ، وعندئذ تصايح الفتيات معجبات بالهدية ، وقالت آنى موفات وهى تشم عبير الزهور بلهفة :

— أظنها لأختى بل فقد اعتاد خطيبها جورج أن يبعث اليها بزهور ، وان كانت هذه الباقة أجمل من سابقتها وأعظم .

قالت الخادم ، وهى تقدم الصندوق لميح :

— قال الرسول الذي أحضرها إنها للأنسة ميج مارش ، وأعطاني هذه الرسالة أرفقها بها .

وكان الخبر مفاجأة ازداد لها البنات سرورا وحماسة فسألنها في نفس واحد :

— أخبرينا ممن جاءتك الباقة والرسالة ، فلم نكن نعرف أن لك صديقا حميما ، له في اختيار الزهور ذوق سليم .  
فقالت ميج في بساطة :

— الخطاب من والدتي والورود من لورى .

وألقت عليها أنى نظرة عجيبة ، تلقتها ميج راضية ، وهى تدس رسالة أمها في جيبيها ، كأنها طلسم يقيها شر الغرور والحسد والكبرياء الفارغة ، فقد كانت تجد في كلمات أمها معينا من الخير والسعادة لا ينضب .

قالت أنى وهى لا تزال تنتظر تلك النظرة العجيبة :

— آه .. حقا ؟ !

وشعرت ميج أنها قد أصبحت محط اعجاب البنات وتقديرهن ، فاستعادت مرحها وحبورها ، واحتفظت لنفسها بجانب من الزهور ، ووزعت الباقي على صديقاتها . وكانت في تقديم هديتها مهذبة كريمة ، فاغتبط البنات لذلك ، وامتدحن ظرفها وحسن معاملتها ، وكان من أثر ما حدث أن تشجعت ميج ، فزال عنها خوفها وحيائها ، وازدادت ثقنتها بنفسها ، فلما جاءت مسز موفات تطمئن على البنات قبل بداية الحفلة ،

طلعتها وجه ميج جميلا مشرقا سعيدا ، ورأتها مخلوقة تستوقف النظر بالرغم من ثوبها القديم البالى .

وكانت متعتها كاملة في ذلك المساء ، فقد رقصت ما شاء لها شبابها أن ترقص ، وغنت ثلاث مرات اجابة لطلب الحاضرين ، وكان كل من بالحفل يعطف عليها ، ويعجب بها : فقد سأل الميجور لنكونلن عن « هذه الفتاة النضرة ذات العيون الجميلة » ، وأصر مستر موفات على الرقص معها ، لأنها كما اعترف بصراحة « تتحرك في منتهى المرونة والرشاقة » ، كما قال أحدهم : « ان لها صوتا ممتازا في جماله ونعومته » . وهكذا أمضت ميج وقتا سعيدا ، إلا أن شيئا حدث بعد ذلك عكر عليها صفاء سعادتها ، فقد خرجت الى الحديقة تنتظر صديقا وعدها باحضار بعض المثلجات ، فسمعت حديثا من الجانب الآخر من السياج المغطى بالزهور . قالت المتحدثة الأولى :

— كم عمرها في رأيك ؟

قال صوت ثان ، عرفت فيه صوت مسز موفات :

— ستة عشر عاما أو سبعة عشر على أكثر تقدير .

قال الصوت الأول :

— ستكون فرصة عظيمة اذا نجحت في اقتناصه ، فقد أخبرتني سالى أنهم أصدقاء حميمون ، وأن الرجل العجوز شديد الاعجاب بالبنات .

قالت مسز موفات :

— أعتقد أن مسز مارش عرفت كيف تحبك خططها ، ولن تلبث



أن تنجح في أداء دورها ، بالرغم من صغر سن الفتاة ، وجهها بما يعد لها • قال صوت ثالث :

— لا أشك في أن الخطاب جاءها منه ، ولكنها كذبت علينا ، فنسبته الى أمها ، ولكن أحمرار وجهها فضحها • انها فتاة جميلة ، ولولا ملابسها للعتيقة ، لازدادت جمالا على جمال • ما رأيك في أن نعيها ثوبا من أثوابنا ترتديه في حفلة الثلاثاء القادم ؟ أتظننها تقبل ذلك ؟

قال الصوت الثاني :

— لا أظنها ترفض رغم كبرياتها ، فليس عندها سوى ذلك الثوب القديم الذي ترتديه ، فاذا تمزق الليلة ، وانتنا الفرصة لنعيها ثوبا لائقا محترما •

قالت مسز موفات :

— وأرى أن أدعو لورنس الى الحفلة اكراما لها ، واتركن الباقي لحيته •

وفي تلك اللحظة أقبل على ميح الصديق الذي كان قد وعددها باحضر بعض الثلجات ، فوجددها محتقنة الوجه نائرة النفس : إذ كانت الفتاة ، على سذاجتها وبراعتها ، ذات كبرياء وأنفة ، فعز عليها أن تسمع الخديث الجارح ، ولم يخف عليها معنى من أدق معانيه • وظلت تفكر وتفكر فيما قيل عن خطط أمها وقبح ثوبها وكذبها فيما يختص بالرسالة التي جاءتها ، فزادها التفكير حزنا على حزن ، حتى أحست برغبة ملحة في البكاء ، ولكنها عرفت كيف تكبت هذه الرغبة وراء ستار من

المرح الزائف الذى انخدع به الحاضرون ، فلم يكشفوا شيئا مما كان  
يعتمل فى نفسها .

وعندما انتهت الحفلة ، أسرع ميح الى غرفة النوم تعالج فيها  
همومها وحيدة ، وأوت الى فراشها تبكى وتذرف دموعا سخينا ، فقد فتح  
الكلام المرير أمامها أبوابا جديدة تقودها الى عالم كله حيرة  
وشقاء وقلق . وشعرت أن التلميحات أفسدت صداقتها البريئة  
للورى ، وأكسبت الأخوة بينهما لونا مبتذلا رخيصا ! وأهتز ايمانها  
بعض الاهتزاز بأمها ، التى قيل إنها تحبك الخط لتقتنص لها  
الصبى الثرى ، فضاعف هذا كله نقمته على الفقر ، وبدأت تعتقد أنه  
أعظم مصيبة تنزل بالانسان تحت الشمس .

وقضت ميح ليلة عسيرة ، واستيقظت فى الصباح التالى ضيقة  
الصدر مثقلة الجفنين ، وزادها مضى الوقت حنقا وغيظا ، فقد كانت  
تعرف أنها — لا تستطيع الكلام بصراحة مع صديقاتها ، ولا يمكنها  
بحكم الضيافة أن تعيد الأمور الى نصابها .

وكان الكسل جاثما على من فى البيت جميعهم ، بعد سهرة الليلة  
السابقة ، ولذلك لم ينشط الفتيات الا ظهرا ، عندما جلسن معا يقتلن  
الوقت بالتطريز . ولاحظت ميح من صديقاتها عظفا مضاعفا ، ورأتهم  
ينظرن اليها بفضول واهتمام ، وكان بודהا أن تعلم السبب ، ولكنها  
آثرت السكوت حتى يأتيها الخبر من تلقاء ذاته . ولم يطل بها الانتظار ،  
فقد رفعت الأنسة بل — كبرى بنات آل موفات — رأسها عن  
تطريزها ، وقالت لها :

— لقد أرسلنا يا عزيزتى ندعو مستر لورنس ، ورجاؤنا أن يقبل  
الدعوة ، فكلنا رغبة فى معرفته .

فاحمر وجهه ميج ، ولكن رغبة مأكرة أغرتها بالامعان في غيظ البنات ، فقالت :

— جميل أن تتعلن ذلك ، وان كنت لا أتوقع مجيئه .  
سألته الآنسة بل :

— ولم لا يحضريا عزيزتى ؟  
قالت :

— لأن كبر سنه يمنعه من الحضور .  
فصاحت كلارا تقول لها :

— ماذا تقصدين بذلك يا صغيرتى ؟ وكم يبلغ من العمر  
يا ترى ؟

قالت ميج وهى تنتظر الى تطريزها لتخفى سرورها البالغ :  
— ليس أقل من السبعين على ما أعتقد !  
فضحكت الآنسة بل ، وقالت :

— يا لك من فتاة مأكرة ، لقد أرسلنا ندعو لورنس الشاب ،  
لا لورنس العجوز .  
قالت ميج :

— ولكنه ليس شابا ، انما هو صبي صغير .  
وضجكت فى نفسها من النظرات التى تبادلها الشقيقات الثلاث ،  
بلوصف الذى أسبغته على لورى .  
قالت احداهن :

— أهو فى سنك ؟

أجابت ميچ :

— بل هو في سن جو تقريبا ، لأننى أبلغ السابعة عشرة من عمري •

قالت آنى، وكأنها لا تصدق :

— ألم يكن جميلا منه أن يبعث اليك بالورود ؟

قالت ميچ ، وهى تتمنى أن ينتهى الحديث عند هذا الحد :

— لقد تعود أن يهدينا زهورا من حديقته الكبيرة ، ومستر لورنس

العجوز صديق حميم لأمى فطيمى أن نكون نحن الصغار أصدقاء

بالمثل فنلعب معا بغير حرج •

فأومات كلارا برأسها ، وقالت بصوت خافت :

— من الواضح أنها مازالت طفلة غريبة •

وهزت بل كتفها وقالت :

— وساذجة أيضا الى أبعد حد •

ودخلت مسز موفات تدب كالفيل في ثوبها الحريري ، وقالت :

— انى ذاهبة الى السوق لشراء بعض الأثيياء ، فهل من خدمة

أؤديها لكن يا بنات ؟

أجابت سالى :

— شكرا ، ولست أريد شيئا فعندى الصرير الوردى ليوم

الثلاثاء •

وبدأت ميچ تقول :

— ولا أنا ...

ولكنها توقفت عن الكلام ، إذ تذكرت أنها تحتاج في الحقيقة الى أشياء كثيرة ، ولكنها لا تستطيع أن تشتريها لفقرها .

سألتها سالى :

— ماذا ترتدين في حفلة الثلاثاء القادم ؟

قالت ، وهي تتظاهر بالهدوء :

— في نيتي أن أرتدى ثوبى الأبيض القديم ، اذا أمكنى أن أصلح عيوبه بحيث يصبح قابلاً لللبس .

قالت سالى ، ولم تكن فتاة خفيفة :

— ولم لا تطعين ثوبا آخر من البيت ؟

وبذلت ميح جهدا كبيرا حتى أمكنها أن تقول :

— لأنى لا أملك ثوبا آخر .

ولم تلحظ سالى ما أصاب ميح من خجل واضطراب ، فقالت :

— ألا تملكين سوى هذا الثوب فقط ؟ إنى لا أصدق .

وتوقفت عن الكلام ، إذ وقع بصرها على صديقتها بل تشير اليها محذرة ، فقالت تصلح الخطأ :

— وما فائدة الأثواب الكثيرة اذا كنا لا نخرج إلا نادرا ؟

لا تطلبى شيئا من البيت ، فلدى ثوب حريرى أزرق ، ولمست في حاجة اليه ، فهل ترتدينه يوم الثلاثاء اكرامالى ؟

قالت ميح :

— أشكرك كل الشكر ، ولكنى أفضل أن أرتدى ثوبى ، اذا لم

يكن في ذلك احراج لكن فهو مناسب جدا لفتاة في مثل سنى .

قالت بل تمنعها :

— بل دعيني أمتع نفسي برؤيتك في خير الثياب وأجملها ،  
وستكونين رائعة الحسن بلا شك ، ولن أسمح لأحد أن يراك قبل أن  
أنتهى من تربيнок كما أشتهى ، وعندئذ أدخل بك على الناس ، كما دخلت  
سندرلا المرقص مع أمها الطيبة •

وكان الرجاء مهذبا لطيفا ، فلم تقو ميج على الرفض ، وتحرك  
غرورها ، فتملكتها رغبة في أن تكون رائعة الحسن أنيقة ، وأنستها رغبتها  
هذه ما كانت تشعر به من مرارة نحو آل موفات •

وفي مساء الثلاثاء المعهود عكفت بل بمساعدة خادمتها الفرنسية ،  
على تحويل ميج الى سيدة جميلة ، فتعاونتا معا على تصفيف شعرها ،  
وتعطير وجهها وذراعيها ، ودهن شفيتها ووجنتيها بحمرة خفيفة ، ثم  
ألبيستها بعد ذلك الثوب الأزرق ، وكان ضيقا عند الخصر ، واسعا عند  
الصدر ، حتى استبد الخجل بالفتاة ، وهي تتطلع الى صورتها المنعكسة  
أمامها على المرآة • ولم تنس بل أن تحلى معصم صديقتها بالأساور ،  
وعنقها بالعقود ، وأذنيها بقرط فريد في نوعه ، وثبتت الخادم باقصة  
من الورود الحمراء في صدر ميج ، وألبستها حذاء ذا كعب عال من  
النوع الذي كانت تشتيه نفسها ، وأكملت الزينة بمنديل مزركش ،  
ومروحة لها مقبض فضى • قالت بل وهي تتأمل ميج راضية :

— أنت دمية رائعة الحسن •

وصاحت الخادم الفرنسية تقول معجبة :

— أليست الأنسة غاية في الفتنة ؟

قالت بل ، وهى تقود ميغ الى حيث اجتمع البنات فى انتظارها :

— تعالى وابهرين بجمالك •

وسارت ميغ تحف بها أذيال ثوبها ، والمقرط يللمع فى أذنيها ، وكان قلبها يندق سريعا لفرط طربها ، بعد أن حدثتها المرأة بجمالها الباهر • وطرب البنات لمرآها ، وأقبل الأصدقاء يطرون محاسنها ، فسر بل أن تنجح فى مهمتها ، فقالت لأختها :

— علميها يا أنى كيف تحمى أذيال ثوبها من حذائها ، والا تعثرت فى سيرها • وأنت يا كلارا ضعى فراشتك الفضية فى وسط شعرها ، واشبكي الخصلة المتدلّية منه ، واحذرن جميعا أن تفسدن السحر الذى صنعه بيدي •

ودق الجرس ، فأرسلت مسز موفات تستدعى البنات الى بهو الحفلة ، فقالت ميغ لصديقتها سالى :

— أخاف أن أدخل الحفلة ، وأنا نصف عارية بهذا الشكل •

قالت سالى ، وهى تحاول أن تخفى غيرتها :

— قد تغير شكلك تماما ، وأصبحت جميلة بمعنى الكلمة ، ولن أكون شيئا مذكورا بجانبك ، فان بل ذات ذوق ممتاز ، وأنت فرنسية الطابع • دعى زهورك تتهدل ، ولا تكثرى من الالتفات اليها وحاذرى أن تتعثرى فى أذيالك •

وعملت ميغ بالنصائح فى حذر ، فهبطت السلم فى أمان ، ثم سارت الى حجرة الجلوس حيث اجتمع آل موفات مع من بكر من

الضيوف بالحضور • وكسفت لأول وهلة كم للثياب الأنيقة من سحر في نفوس بعض الناس ، إذ أقبل عليها المدعوات معجبات ، وأحظنها بالعطف بعد أن تجاهلن وجودها منذ أيام ، واجتمع الشبان حولها وتسابقوا الى خطب ودها ، ولم يبخلوا بالثناء عليها في عبارات أعجبتها رغم سخافتها • وحتى العجايز اللواتي دأبن على النقد ولم تنج واحدة من ألسنتهن ، سألن عن اسمها باهتمام ، وسمعت ميح مسز موفات تقول لاحداهن :

— انها مارجريريت مارش ابنة ضابط كبير في الجيش ، ومن أحسن العائلات وأعرقها ، ولكن المال ينقصها ، وهي صديقة حميمة لآل لورنس ، وقد تدله في حبها ابني ند •

وتمتت العجوز متعجبة ، وعادت تنظر الى ميح من خلال عيوناتها ، تستكمل فحصها الدقيق ، فتذرعت الفتاة بالثبات ، وتظاهرت بأنها لم تسمع شيئا من حديث مسز موفات العامر بالادعاءات والأكاذيب •

وسارت الأمور على ما ينبغي ، وخيل الى ميح أنها تتقن أداء دور الفتاة الحسنة ، وقد أتقنته بالفعل رغم أن خصر الثوب كان يحز في وسطها لشدة ضيقه ، وكعب حذاءها يشتبك بذيلها أحيانا ، وخوفها الدائم من أن يسقط القرط من أذنيها ، فتطأه الأقدام وتهشمه •

ووقفت ميح تداعب مروحتها ، وهي تصغى ضاحكة الى ملح سخيفة يرويها على مسامعها صديق متظرف ، ثم سكتت عن الضحك بغتة ، وغشاها قلق واضطراب ، فقد رأت لوري يقف قبالتها ، وفي نظراته أبلغ معاني الدهشة والاستنكار ، ورغم أنه انحنى باسمها



يحييها ، غير أن لحظة في عينيه الصريحتين ، بعثت حمرة الخجل في وجنتيها ، وجعلتها تتمنى أن لو كانت ترتدى ثوبها القديم ، وقد ازداد حرجها لما رأت أنى وبل تتغامزان ، ونشيران اليها وصديقها لورى الذى بدا فى بزة السهرة أصغر سنا من حقيقته .

وسارت تعبر الحجرة اليه ، وهى تقول فى نفسها :

— لن أدع أولئك السخيفات يفسدن صداقتى بلورى ، أو يغيرن بشكوكهن البلهاء شعور الأخوة بيننا .

ثم قالت للورى وهى تصطنع لهجة الفتاة الكبيرة الناضجة :

— انى سعيدة بحضورك ، وكنت أخشى أن تعتذر .

وابتسم لورى فى عطف وأجاب دون أن ينظر اليها :

— جئت ارضاء لجو ، فقد أرادت أن ألبى الدعوة ، حتى أراك وأحدثها عنك .

واستبد بها الفضول ، وأرادت أن تعرف رأيه فيها ، فقالت والقلق ما زال يساورها :

— ماذا تنوى أن تقول لها يا ترى ؟

أجاب وهو يعبث بقفازه :

— سأقول لها اننى لم أعرفك لأول وهلة ، فأنت تبدين أكبر سنا ،

ولست تشبهين ميج التى أعرفها ، وأشعر بخوف شديد منك .

واستبدت بها رغبة شديدة فى أن تنتزع كلمات الإعجاب صريحة

من فمه ، فقالت :

— ألبسنى البنات هذه الملابس الجميلة ، ألا تعتقد أن جو ، اذا  
رأتنى بها ، تقف دهشة مأخوذة ؟

قال :

— لست أشك فى ذلك •

فسألته :

— ألا يعجبك شكلى ؟

قال بصراحة خشنة :

— لا •• لا يعجبنى •

قالت بلهفة :

— ولم لا ؟

فنظر الى شعرها المجمع ، وكتفيتها العاريتين ، وثوبها الخليع  
المزركس ، نظرة أخلجتها ، وقال فى نبرات خلت من لباقتة المعهوده :

— أنى لا أحب الغرور والخياء •

وكان رده أكثر مما تحتمله من صبى فى سنه ، فقالت وهى تنصرف  
عنه غاضبة :

— أنت أوقح صبى عرفته فى حياتى •

وابتعدت عنه فى انفعال شديد ، واختارت من القاعة جانبا هادئا  
تعالج فيه غضبها وحيدة ، واتخذت موقفا بجوار احدى النوافذ حتى  
يخفف هواء الليل البارد احتقان خديها ، فاذا بالكولونيل لنكولن  
يمر بها فى صحبة والدته ، وسمعته يقول :

— كنت أود أن أريها لك ، ولكن البنات أفسدن شكلها تماما ،  
وجعلن منها أضحوكة لا تستحق النظر .

وتنهدت ميج ، وقالت في نفسها :

— ليتنى رضيت بملابسي القديمة ، فلو أننى ارتديتها ، ما نفر الناس  
منى ، وما خجلت من نفسى كل هذا الخجل .

وأسندت جبينها إلى زجاج النافذة البارد ، وأخفف جسدها وراء  
الستائر ، غير عابئة برقصة الفالس التى تحبها ، وظلت فى مكانها ساهمة  
واجمة ، حتى أحست بيد تلمسها . والتفتت ميج خلفها فرأت لورى  
ينظر إليها وعلى وجهه أبلغ أمارات الندم ، قال فى انحناءة رشيقة :

— اغفرى لى وقاحتى ، وهيا بنا نرقص الفالس .

وأرادت أن تتظاهر بالغضب ، ولكنها لم تفلح ، فقالت فى ذلة :

— أخشى أن تضايقتك رفقتى .

قال :

— أبدا فإنى أتوق الى الرقص ، وأحب أن تكونى غفورة متسامحة .

لست أنكر أن ثوبك لا يعجبني ، ولكنك جميلة رائعة .

ولوح بيده كأن الكلمات لا تسعفه .

فابتسمت ميج فى استسلام ، وسارت معه الى الرقص تقول :

— احذر أن تدوس ذيل الثوب ، فقد جشمنى متاعب كثيرة ، وكانت

حماقة أن ارتديه .

قال وهو ينظر الى حذاءها ولا يخفى اعجابه به :

... ارفعى الذبول الى أعلى . تلافيا للخطر .

ودخلا الحلبة يرقصان سويا في رشاقة وانسجام ، وكانا متكافئين  
طولا وسنا فتبعتهما العيون معجبة ، وهما لاهيان عنها بحبورهما  
وسعادتهما ، فقد شعرا أن المعركة الصغيرة التي نشبت بينهما دعمت  
صداقتهما أكثر من ذي قبل .

قالت ميح عندما انتهى الرقص ، ووقفت تروح عن نفسها ، وتلتقط  
أنفاسها اللاهثة :

— أريد مكرمة منك يا لورى .

قال :

— اطلبى ما تشائين .

قالت :

— لا تحدثهن في البيت عن هذا الثوب ، فأخشى أن لا يفهمن الأمر  
على حقيقته ، وربما أغضب أُمى ما فعلت .

قال في تساؤل واضح :

— اذا لماذا ارتديته ؟

قالت :

— أفضل أن أخبرهن بنفسى : ولن أتردد في الاعتراف لوالدتي  
بغباوتى وحمادتى ، فمن الخير أن تترك الأمر لى .

قال :

— أعدك بذلك ، ولكن خبرينى ماذا أقول اذا سئلت .

أجابت :

— قل فقط اننى كنت جميلة سعيدة •

قال :

— سأكتفى بالشطر الأول من الخبر ، أما عن السعادة فلست أرى

• علائمها عليك

وكان فى نظرتة ما جعلها تقول بصوت خفيض :

— لم أكن سعيدة فى بداية الأمر ، ولكن السعادة لا تتقضى الآن ،

وأرجو أن لا تسيء الظن بى ، فما ارتديت الثوب إلا سعيا وراء متعة

بريئة ، وقد نلت نصيبي منها واكتفيت •

قال لورى ، وقد انعقد حاجباه الأسودان :

— أرى-ند موفلت. يقبل علينا ، فماذا يريد يا ترى ؟

وكان واضحا أنه لا يرحب بقدوم مضيعة الصغير ، ولا يسر

بحضوره فى تلك اللحظة • قالت ميج فى تراخ أدهش لورى :

— كنت قد وعدته بثلاث رقصات ، وأظنه جاء يذكرنى بها ،

ولكن حماستى فقرت ولا أشعر برغبة شديدة فى الرقص •

وسارت الحفلة فى مجراها ، ولورى لا يتحدث الى ميج ، حتى

حان موعد العشاء ، فرأها تشرب الشمبانيا مع ند ، وقد ضايقه منها

أن تفعل ذلك ، إذ كان يشعر أنه بمثابة الأخ لبنات مارش ، ومن أوجب

واجباته أن يحميهم من كل سوء يعترضن له • ولم يكن يليق بفتاة فى

سن ميج أن تشرب الشمبانيا ، فانتهز أول فرصة وهمس فى أذنها يقول :

— لا تكثرى من الشمبانيا ، وإلا أصابك صداع شديد في الصباح ،  
وتذكرى أن والدتك لا توافق على مثل هذه التصرفات •

قالت تفتعل ضحكة :

— لست في هذه الليلة ميج التى تعرفها ، وما أنا إلا دمية تقوم  
بأعمال طائشة ، وغدا أخلع ثوب خيلائى وغرورى ، وأستعيد سابق  
طبيتى وصلاحي •

قال :

— لبتك تبدئين من الآن •

ثم سارت مبتعدا عنها ، وقد ساءه ما حاق بها •

واقفقت ميج خطوات الفتيات الأخريات ، فرقصت وثرثرت  
وضحكت ، ولما انتهى العشاء عادت الى حلبة الرقص تطوف بها مع  
زميلها مسرعة ، فتكاد تسقطه على الأرض لكثرة ما تعثر في ذيل ثوبها •  
وكانت تتمايل في شكل استنبحه لورى ، فأعد لها تأنيا قاسيا ، ولكن  
الفرصة لم تواته ، فقد تحاشته الفتاة طوال السهرة ، حتى حان موعد  
الانصراف ، وأقبل عليها مودعا ، فقالت وهى تصطنع ابتسامة رغم  
ما تعانيه من صداع شديد :

— تذكر ما اتفقنا عليه •

قال بلهجة تمثيلية :

— السكوت حتى الموت !!

ثم انصرف عنها مسرعا •

وأثار حديثها مع لسورى فضول آنى موغات ، فسعت الى معرفة ما دار بينهما ، ولكن ميج رغبت عن الحديث لفرط تعبها ، فذهبت الى فراشها وهى تشعر كأنها كانت فى حلم لم تستمتع به بقدر ما كانت تحب أن تستمتع .

ومضى اليوم التالى وما زالت تعبـة مرهقة ، وفى يوم السبت عادت الى بيتها ، بعد أن قضت أسبوعين فى ضيافة آل موغات ، وشعرت أنها نالت كفايتها من حياة الدعة والترف .

وفى مساء ذلك اليوم ، جلست ميج الى أمها وأختها جو ، تقول راضية :

— جميل أن يعود الانسان الى هدوء بيته المتواضع ، بعد طول الرياء والتصنع .

وكانت أمها قد لاحظت ما اعترى ابنتها من تغير ، فنظرت اليها بقلق وقالت :

— يسعدنى أن أسمع ذلك ، فقد كنت أخشى أن تعودى الى بيتك ، أكثر تدمرا بالفقر من ذى قبل .

وروت ميج لأخواتها أخبار مخاطراتها ومسراتها ، وأكدت لهن مرة بعد مرة مبلغ سعادتها وهنائها ، ولكن همكا دفيناً كان يثقل نفسها ، فلما ذهبت أختها الصغيرتان الى النوم ، جلست ميج تتأمل نيران الموقد شاردة الذهن مهمومة ، حتى دقت الساعة تسعا ، واقترحت جو أن تأوى الى غرفتها ، إذ ذاك نهضت ميج عن مقعدها فجأة ، وقبعت على كرسى بث الصغير بجوار قدمى أمها ، وقالت بشجاعة :

— أريد أن أعترف بذنوبي يا أماه •  
قالت مسز مارش :

— هذا ما كنت أنتظره يا بنيتي •  
قالت جو بصوت خافت :

— أتفضلين أن أترككما وحدكما ؟  
قالت ميج :

— لا ، ولا يسيئنى أن أتحدث فى حضرتك ، فقد تعودت أن أصارك  
بكل شىء ، وما سكت عن الكلام الى الآن الا خجلا من أن أعترف بمبازلى  
على مسمع من أختى الصغيرتين •

ورغم قلق مسز مارش الواضح ، قالت باسمه :  
— كلى آذان صاغية •  
قالت :

— ذكرت أنهم أعرننى ثوبا من ثيابهن ، ولكنى لم أقل لهنن ظلين  
وجهى بالمساحيق ، وشددن خصرى وجعدن شعرى ، حتى صرت كاحدى  
عارضات الأزياء • ولا أشك فى أن لورى تألم كثيرا لما فعلت ، واعتبره  
خروجا على دواعى الاحتشام المستحب • وكانت حماقة بالغة ، ولكنى  
أردت أن أثير الاعجاب ، فجعلت من نفسى أضحوكة الناس •

ونكست ميج رأسها بذلة : وبدت عليها مظاهر الندم الشديد ،  
فلم يطاوع مسز مارش قلبها على تأنيبها ، وقالت :

— أهذا كل ما فعلت ؟

قالت فى ندم بالغ :



— بل ذهبت الى أبعاد من ذلك : شربت الشمبانيا ، وتمايلت في الرقص ، وكنت في تصرفاتي مثالا للرعونة والطيش •

فربتت مسز مارش على الخد المتقد بنيران الخجل وقالت :  
— ليس هذا كل شيء على ما أعتقد •

قالت ميج :

— هناك أمر آخر سخييف ، ولكنى أفضل أن أحدثك به ، فليس أبغض الى نفسى من أن يتقول الناس عن صداقتنا بلورى •

ثم روت لأمها ما قاله آل موفلت فى «الحديقة» وتولأظت جو كيف زمت مسز مارش لهذا الحديث شفتيها ، كأنها تستكر أن تدخل مثل هذه الأفكار رأس ميج الساذجة • فصاحت جو تقول فى ترفع :

— هذا أسخف ما سمعت فى حياتى ، وكان واجبك أن تظهرى نفسك لهن ، وتضى الأمور فى نصابها •

قالت :

— لم أجرؤ على ذلك ، فقد غلبنى الارتياك فى بداية الأمر ، ثم أجمنى الغضب عن الحركة والكلام ، فلم أفكر حتى فى مغادرة مكاني •

قالت جو :

— ويل لآنى موفلت حين أراها وأسوى معها هذه المهزلة • أيطن هؤلاء الأغبياء أننا ن نصب الشباك حول الصبى الغنى ، ونسعى الى اقتناصه زوجا فى الوقت المناسب ؟ آه لو سمع لورى يهذه السخافات !!

وضحكت جو عندما تصورت كم يغضب صديقها اذا حدثته

• بالقصة •

قالت ميچ تحضرها :

— لن أصفح عنك اذا حدثته بذلك ، أيمح أن تقول له مثل هذا الكلام يا أماه ؟

قالت مسز مارش بجد :

— اياك أن تعيدى القصة على مسامعه ، وانسيها بأسرع ما يمكن •  
وكان خطأ منى أن سمحت لك يا ميچ بزيارة قوم لا أعرفهم الا قليلا ،  
وأعتقد أنني ألحقت بك ضررا بليغا ، فما كان يجوز أن أبعث بك الى  
أناس ماديين ، تملأ رءوسهم أفكار نابية ، لست أشك في طيبة قلبهم ،  
ولكن نصيبيهم من حسن التربية قليل •

قالت ميچ فى حرج مما اعترفت به :

— اطمئنى يا أماه • ان ضررا لن يصيبى ، وثقى بأننى لن أذكر  
إلا الخير مما رأيت ، وانى لأشكرك شكرا جزيلاً أن سمحت لى بالذهاب ،  
فقد تمتعت كثيرا ، وتعلمت أيضا أن القناعة كنز لا يفنى • لقد خرجت  
على تعاليمك ، ولكنى تبينت الحقيقة الآن ولن أتخلى عن مشورتك ، حتى  
أصبح قادرة على رعاية نفسى بنفسى • وكنت أسعى الى الاطراء  
والمدح ، فحدث ما حدث •

قالت :

— كلنا يجب الاطراء يا بنيتى ، ولكن لا يصح أن نذهب فى السعى  
اليه الى حد المبالغة ، فنأتى أفعالا لا تليق بنا • تعلمى أن تطلبى من  
المدح ما تستحقينه فقط ، واعلمى على أن تثيرى اعجاب الناس بفضلك  
وحسن أخلاقك •

وجلست مارجرىيت تفكر ساهمة ، فوقفت جـو وتتأملها في دهشة  
وحيرة ، إذ كانت هذه أول مرة ترى فيها وجه أختها الكبرى يحمر  
بالخجل ، ولم يسبق لها أن سمعتها تتحدث عن الاعجاب والاطراء  
والشبان بمثل هذه اللهجة • وأحست جو أن أختها قد كبرت خلال  
الأسبوعين الماضيين بدرجة ملحوظة ، وأنها بدأت تنزلق بعيدا عنها الى  
دنيا جديدة ليس في استطاعتها أن تتبعها اليها •

قالت ميج تسأل أمها بحياء :

— أحقا ما تقوله مسز موفات من أنك تضعين بشأننا خططا ؟

قالت :

— نعم •• انى أضع لكن خططا كثيرة ، شأنى فى ذلك شأن  
الأمهات جميعهن ، ولكن خططى تختلف قليلا عما تظنه مسز موفات ،  
ولست أرى بأسا فى مصارحتك بها الآن ، فقد كبرت يا ميج وحنان  
الوقت لأن أرشدك الى ما فيه خيرك حتى لا يقودك رأسك العاطفى  
الصغير الى غير الطريق الذى أبتغيه لك ، ولن تجدى أصدق من الأم  
ناصحا ومرشدا •

أما أنت يا جو ، فلم يحن دورك بعد ، ولكنى أحب أن تصغى الى  
خططى وتعاونينى على تنفيذها اذا اقتنعت بفائدتها •

وجلست جو على ذراع مقعد أمها ، وقد بدا عليها الاهتمام  
الشنديد ، وأمست مسز مارش بيدي ابنتها وجعلت تنظر بجد فى  
الوجهين الصغيرين قالت :

— أريد أن يكون بناتى جميلات متعلمات طبيات ، وأحب أن ينلن  
عطف الناس وحبهم واحترامهم ، وأن يتزوجن خير الزيجات وأكثرها

توفيقا ، وأن يعيش حياة نافعة سعيدة ليس فيها من أسباب الخوف  
الإقليل . لست أنكر أن أجمل ما في حياة المرأة أن يسعدها الله بزوج  
طيب ، ولننى لأرجو أن ينال بناتي هذه النعمة الجزيلة . ولست أرى  
حرجا يا ميج في أن نفكر في الزواج ، ونعد له أنفسنا خير اعداد ،  
حتى اذا حان الوقت المناسب ، كنا جديرات بحقوقه وواجباته . ولكنى  
لا أذهب في طموحى الى حد المرغبة في أن يتزوجن أغنياء من أجل  
مالهم فحسب فالذهب لا يصنع السعادة ، انما يصنعها الحب  
والاخلاص ، وانى أفضل أن أراكما سعيدتين مع زوجين فقيرين عن  
أن تسكنا قصورا حلت من سعادة الحب . لست أشك في أن المال أداة  
نافعة في الحياة ، ولكنه ليس هدفا نسعى اليه بل وسيلة نحقق  
بها الخير الذى نبتغيه .

فتنهت ميج وقالت :

ولكن «بل» تعتقد أن الفقيرة لا حظ لها من الزواج ، ما لم  
تتفق اليه بطريقة بنفسها .

قالت جو في كبرياء :

— أفضل أن أقضى الحياة عانسا على أن أمتهن نفسى بالسعى اليه .

قالت مسز مارش :

— صدقت يا جو ، فأكرم لك أن تكونى عانسا سعيدة ، من أن

تكونى فتاة مبتذلة تجرى وراء الرجال .

والتفتت الى ميج تقول :

— لا تقنطى يا بينيتى ، فالفقر لا يقف دون الحب الحقيقى ، وكم

من نساء فقيرات سعدن بالزواج وعشن في سعادة وهناء • دعى هذه الأمور للزمن ، وابحثى عن السعادة في هذا البيت ، واقنعى بما فيه من هناء ، حتى يمن الله عليك ببيت آخر تجعله بالحب جنة وارفة الظل • ونصيحتى لكما أن تضعا ثقتهما في أمكما وأبيكما ، فنحن أخلص الأصدقاء لكما ، وكل أملنا أن يظل بناتنا فخرا لنا ، سواء تزوجن أم عشن وحيدات •

صاحت الفتاتان تقولان باخلاص :

— سنذكر هذه النصيحة دائما •• يا أماه •

وقامت مسز مارش تقبلها وتحببها تحية المساء •

## الفصل العاشر

### ندوة الأدباء

عندما حل الربيع واتسعت ساعات النهار لمزيد من اللهو واللعب ، وجد بنات مارش أن حديقة بيتهن تتطلب اعدادا وتنظيما ، فاختصت كل فتاة منهن بربع منها ، تنسقه وتررع فيه ما تشاء ، وكانت حنا ، التي درست أخلاق البنات دراسة وافية لطول عهدها بالأسرة ، تقول :

— يمكننى أن أعرف صاحبة كل ربع مما تررعه •

ولم تكن بجانب الحق في ذلك ، فقد كانت ميول البنات تختلف بعضها عن بعض كل الاختلاف : فميج تهوى الورود ولا ترضى عنها بديلا ، وجو لا تستقر على لون من ألوان النبات ، فتغير في كل فصل وتجدد ، وانصب اهتمامها في هذه السنة على زراعة عباد الشمس كي تطعم ببذوره دجاجتها وكتاكيتهما • وكانت بث تفضل الزهور العبقية ، فتجد في حلقها الصغير البازلا والربيان والعليق والبنفسج ، والى جانب ذلك خضروات تطعم بها عصفورها ، أما أمى فكانت تميل الى حشد حديقتهما بمختلف أنواع الزهور الكبيرة الملفتة للنظر ، ولا تراعى في زرعها نظاما أو تنسيقا ، فترى حديقتهما مزدحمة بالزنايق وزهور الصباح المتدلية والأبصال المتباينة في ألوانها وأشكالها •

وفي أيام الصحو ، كان البنات يقضين أوقات فراغهن في الحديقة أو في التجذيف أو في جمع الزهور البرية من الحقول ، فاذا سقطت الأمطار ، اقتصر نشاطهن على أوجه التسلية المنزلية القديم منها والجديد • وكانت الجمعيات السرية طابع العهد الذى يعشن فيه ،

فاقتبس البنات فكرتها في ألعابهن وألفن جمعية سرية أطلقن عليها « ندوة الأدباء » ، وقد ظل نشاط هذه الجمعية مجهولا لبقية أفراد الأسرة عاما كاملا ، فكن يجتمعن في غرفة السطح مساء الأحد من كل أسبوع ، فيتبعن المراسيم التي وضعنها منذ بداية الأمر ، فتوضع مقاعد ثلاثة حول منضدة عليهما مصباح وأربع شارات مختلفة الألوان ، كتب على كل منها « ندوة الأدباء » ، وبجانب هذه الشارات توضع صحيفة الندوة ، وكن يسميها « صوت الأدب » ، وكانت جو تقوم بنسخها لجمال خطها ، وكل من الأربع تساهم بنصيب في تحريرها .

وفي تمام الساعة السابعة ، يصعد الأخوات إلى مقر الندوة ، فيربطن الشارات حول رءوسهن ، ويتخذن مقاعدهن في وقار وجلال ، وكانت كل واحدة منهن قد اختارت لنفسها اسم أديب عظيم من أدباء العصر ، وتقمصت شخصيته على قدر الامكان ، وكانت ميج تلعب دور الرئيس ، فتصدر المائدة وتبدأ الاجتماع بقراءة الصحيفة التي امتلأت بالقصص والأخبار والاعلانات والفكاهات والمغامرات البريئة .

وفي أحد هذه الاجتماعات ، جلس الرئيس وقد وضع على عينيه اطار عوينات بلا زجاج ، وضرب المائدة بيده ايذانا بالبده ، ثم وقف متعاليا ينظر شزرا إلى العضو كان يجلس بغير احترام ، ويسند ظهر كرسية إلى الحائط ، فخبج العضو لسلوكه واعتدل في مجلسه ، واتخذ سمت الأدب والاحترام .

وعندما اطمأن الرئيس إلى استتباب النظام ، تناول صحيفة الندوة وشرع يقرأ « صوت الأدب » ، فقال :

## صوت الألب

٢٠ مايو

تهنئة بمناسبة مرور عام على تأسيس الجريدة

« نجتمع اليوم احتفالاً بصدر العدد الثاني والخمسين من صحيفتنا الغراء ، وقد ارتدينا شاراتنا المقدسة ، وامتلأت قلوبنا خشوعاً ووقاراً ، ونحمد الله على أننا جميعاً في صحة كاملة ، وأن فرداً لم ينقص من جماعتنا الصغيرة ، وأن الفرصة عادت فجمعتنا ، لنرى الوجوه المألوفة ونصافح الأيدي الحديقة . »

اننا نحیی الرئيس تحية حارة ملؤها التقدير والاحترام ، ونقدم له فروض الولاء والتبجيل ، وهو يتصدر اجتماعنا ، وقد وضع عويناته على أربعة أنفه ، ونحمد الله على شفائه من البرد الذي ألم به ، ونشكره تعالى على أن مكنه من أن يقرأ لنا صحيفتنا ، ويتحفنا بالدرر التي تتساقط من فمه ، رغم صوته الخشن المتحشرج المبجوح .

لقد مضى بنا عام ونحن متحدون ، نسعد أوقاتنا بالضحك والمزاح والقراءة ، وتبنى مستقبلنا بجد واجتهاد ، ونمهد الطريق أمامنا الى ذروة الأدب ، فإله ندعو أن يديم نجاحنا ، وأن يكتب الزواج الدائم لصحيفتنا ، وأن يمتع ندوة الأدباء بالسعد والهناء . »

أ . سنود جراس ( جو )

\* \* \*



## قصة

### الزواج المقنع

قصة من البندقية بقلم الأديب س . بيكويك ( ميخ )

« رسا أمام المظم المرمى جندول وراء جندول ، وتولقد المدعوون والمدعوات في ثيابهم البهيجة الغالية ، حتى غصت بهم أبهاء قصر الكونت أديلون الفخمة الواسعة . واختلط الأشراف والفرسلن والسيدات بالحراس والفقراء وبائعات الورد ، واشترك الجمع في رقص مرح على أنغام الموسيقى والغناء ، وفي هذا الجو المرح مضى الحفل التنكري الأنيق .

وانحنى الشاعر اللبق أمام ملكة القصر وقال :

— هل رأيت جلالتك ليدي فيولا هذه الليلة ؟

أجابت الملكة :

— رأيتها وكأنت رغم حزنها رائعة الجمال ، وقد أحسنوا اختيار ثوبها ، فبعد أسبوع ترف الى الكونت أنطونيو السذى تمقتته من صميم قلبها .

قال الشاعر :

— انى أعبطه وايم الحق ، وها أنا أراه قادما في ملابس العرس ، وعلى وجهه قناع أسود ، فلننتظر حتى يرفع قناعه لنرى كيف ينظر الى عروسه التى استعصى عليه قلبها ، وان كان والدها قد قبل زواجها منه .

وسارت الملكة مع الشاعر الى حلبة الرقص ، وهمست في أذنه :

— يتحدث الناس بأنها مدلهة بحب قنان انجليزى ، ويقال ان والدها باغته وهو يحوم عند سلم القصر فطرده شر طردة •

وكان الحفل فى معمعانه ، عندما دخل الى البهو قسيس ، وانتهى بالفتاة وعريستها غرفة جانبية ، وطلب منهما أن يركعا أمامه استعدادا لمراسيم الزواج • وساد القوم سكون وهدوء لا يعكره إلا خريير المياه وحفيف الأوراق وهى تتحرك تحت لمسات النسيم العليل فى ضوء القمر الفضى • هتف الكونت أديلون بمدعويه يقول :

— أيها السيدات والسادة ، جمعناكم الليلة بخدعة لطيفة كى تشهدوا زواج ابنتى من خطيبها الكونت أنطونيو •

والتفت الى القس يقول :

— سر فى مراسيمك أيها الأب الجليل ، فنحن فى الانتظار •

والتفتت العيون الى العروسين ، وسرت فى القاعة مهمة الدهشة والاستغراب ، عندما ركع الاثنان أمام القس بقناعيهما ، ولم يكن ذلك مستساغا ، فثار فضول الناس ، ولكن جلال الموقف منعهم من الكلام •

ولما انتهت مراسيم الزواج ، التفت القوم حول الكونت يستفسرونه ويستوضحونه ، فقال :

— ليس هناك ما يدعو الى توضيح ، فقد رغبت ابنتى فيولا أن تتزوج الليلة ، وأن تتم المراسيم بهذه الصورة ، فلم أرما يمنع من تحقيق رغبتها •

والتفت الكونت العجوز الى العريس وقال :

— لقد انتهينا من أداء الدور الذى طلبتماه ، فاخلعا قناعكما ، كى  
أهنئكما وأبارككما •

ولكن العروسين لم يركعا أمام الكونت ، بل تقدم العريس وحده ،  
ورفة القناع الأسود عن وجهه ، فاذا به الفنان الانجليزى ، الذى  
أحبته فيولا وطرده أبوها ، وسارت اليه عروسه باسمه راضية ، وأسندت  
رأسها الى صدره الذى التمتعت فوقه نجمة ذهبية ، هى شعار أشراف  
الانجليز • قال الفنان فى صوت أجفل له الحاضرون :

— سيدى اللورد ، قد طردتنى من قصرك ، وأبيت أن تزوج ابنتك  
إلا لمن يعادل الكونت أنطونيو حسبا وثراء ، إن لدى من المال أكاداسا  
تشبع أطماعك ، ولا أظنك تبخل بابنتك على سيد أشراف الانجليز إيرل  
ديفيرو وديفير ، فهل تقبل ثروتى الطائلة ونسبى الرفيع فى مقابل يد  
ابنتك التى أصبحت زوجتى ؟

وتسمر الكونت فى مكانه ، ولم ينطق لفرط دهشته بكلمة واحدة ،  
فالتفت الشريف الانجليزى الى الجمع وقال وعلى فمه بسمة الانتصار :

— أما أنتم يا أصدقائى الأشراف ، فالله أدعو أن يحقق آمالكم كما  
حقق آمالى ، وأن يسعدكم مثلما أسعدنى الليلة بزواج حبيبتى الشقراء  
الجميلة فى هذا الحفل التكري •

### قصة حياة عنقود عنب

بقلم ت • توبمان •• ( بث )

« يحكى أن فلاحا زرع بذرة صغيرة فى حديقته ، ولم تلبث هذه  
البذرة أن نبتت وأينعت وصارت كرمة كبيرة تتدلى منها عناقيد العنب

المشوية • وفي صباح يوم من الأيام اختار الفلاح أجمل عناقيده وأطيبها ،  
فقطفه وحمله الى السوق كي يبيعه ، فاشتراه منه بدال وعرضه في  
واجهة متجره • ومرت بالمتجر فتاة صغيرة ذات وجه مستدير وأنف  
قصير ، وكانت ترتدي ثوبا أزرق اللون وقبعة بنية ، فلما رأت العنقود  
بادرت بشرائه لأمها ، وحملته الى البيت حيث قطعته وغلته في الماء ،  
ثم عصرت جزءا منه ، وأضافت الى العصير زبدا وملحا ، وقدمته للعشاء •  
أما الباقي فقد خلطته بماء كوب من اللبن وبيضتين وأربع ملاعق من  
السكر ، وأضافت الى الخليط بعض اللوز والبسكوت ، ووضعت في إناء  
عميق ، وأدخلته الفرن حتى احمر لونه • • وفي اليوم التالي أكلته أسرة  
اسمها أسرة مارش » •

## رسالة

بقلم ن • وينكل ( أمي )

« سيدي رئيس ندوة الأدباء

أكتب اليك بخصوص حديثك عن الذنوب والمذنبين ، فقد كنت  
تشير بذلك الى من يدعى وينكل ، فنتهمه باثارة المتاعب في اجتماعات  
الندوة ، وتتهمه بالاهمال في كتابة نصيبه من موضوعات الصحيفة •  
وكل ما أرجوه من سيدي الرئيس ، أن يصفح عن اهمال هذا العضو ،  
وأن تأذن له بارسال قطعة من الأدب الفرنسي ، فان مشاغله في  
الدروس والمذاكرة تحول بينه وبين تأليف قطعة مبتكرة • وأعدك  
يا سيدي بأن يبعث اليك في العدد القادم قطعة ممتازة تستحق الذكر  
والاعجاب •

وختاما أقدم بالغ احترامي » •

\* \* \*

ملحوظة من رئيس التحرير :

في هذا الخطاب اعتذار كاف من حضرة العضو ، وأنصحه أن يزيد اهتمامه بالذاكرة حتى لا يخطيء في الهجاء كثيرا .

### حادث يوسف له

« ساد الفزع يوم الجمعة الماضي ، إثر سماعنا صوت ارتطام جسم ثقيل بالأرض في الطابق السفلي من المنزل ، واستبد بنا الهلع عندما تناهى الى آذاننا صراخ وعويل ، ونزلنا الى المخزن مسرعين ، فوجدنا رئيسنا المحبوب منبطحا على الأرض ، والمكان من حوله في فوضى واضطراب ، وأدركنا والأسف يملا قلوبنا ، أنه كان بسبيك احضار بعض الأختساب لأغراض منزلية ، فانزلت قدمه ، وسقط برأسه وكففيه في حوض الماء ، واصطدم جسمه بصندوق الصابون ، فانتقلب فوق شخصه المجلج . ولما أنقذنا الرئيس من سقطته ، كانت ملابسه ممزقة بشكل مخجل ، وليس بجسده ، لحسن الحظ ، سوى عدد وفير من الكدمات ، ولكنها تشير الى الشفاء بخطوات واسعة .

« المحرر »

\* \* \*

### أحزان شعبية

وقع حادث غامض ، اختفت على أثره الصديقة العزيزة مسز سنوبول ، تلك القطة المدللة التي عرفها الأصدقاء والمحبون مثالا في الرشاقة والجمال والأدب ، ولا شك أن اختفاءها يعتبر خسارة فادحة ، تئن لها الجماهير حزنا ولوعة .

وقد شوهدت لآخر مرة ، تراقب عربة الجزار ، ومنذ ذلك الحين لم يظهر لها أثر ، ويتجه الظن الى أن أحدهم رآها ، فأغراه جمالها الفاضح ، بسرقتها في ضعة وخيانة . ورغم الجهود الشاقة التي بذلناها في البحث عنها ، مضت الأسابيع ولم نتمكن من العثور عليها ، ولذلك اعتبرناها مفقودة ، ووضعنا إشارة الحداد على السلة التي كانت تنام فيها ، كما رفعنا صحن طعامها من مكانه .

ونحن نبكى في الفقيدة العزيزة أجمل القلط وأوفى الصديقات » .

\* \* \*

### اعلانات مبوية

\* تلقى الأديبة المهوبة الآنسة بلاجيدج محاضرة هامة عن « المرأة ومركزها في المجتمع » ، وذلك بندوة الأدباء مساء يوم السبت القادم بعد الاحتفالات المعتادة .

\* تعقد اجتماعات أسبوعية في « حلقة المطبخ » لتعليم الطهي ، وترأس هذه الاجتماعات حنا براون ، والدعوة عامة .

\* تجتمع لجنة النظافة في تمام الساعة التاسعة من يوم الأربعاء القادم ، والادارة ترجو أن يرتدى الأعضاء ملابسهم الرسمية ، ويحضروا معهم أدوات النظافة .

\* تفتتح السيدة بث في الأسبوع القادم معرضا لأزياء الدمى ، استحضرت له خصيصا من باريس أحدث الملابس الفرنسية وأجملها ، وتعلن السيدة أنها على أتم الاستعداد لقبول الطلبات .

\* يقدم مسرح « بارنفيل » في الأسابيع القادمة مسرحية جديدة

اسمها « العبد الاغريقي » أو « كونستانتين » ، ويسرنا أن نبشر محبى  
الفنون ، بأن هذه التمثيلية ستكون حدثا فى تاريخ المسرح الأمريكى ،  
ولم يسبق أن شاهدت الجماهير مثلها ، فى روعة التأليف وجمال التمثيل  
ودقة الاخراج .

\* \* \*

### غمزات

\* تستطيع ميج أن تتناول طعام الافطار فى الموعد المناسب ، اذا  
اقتصدت قليلا فى اجراءات غسل يديها .  
\* نرجو من جو أن تقلع عن التصفير بفمها أثناء سيرها فى الطرقات  
العامة .

\* حبذا لو تذكرت بث أن تعيد الى أمى فوطتها .

\* بودنا أن تقتصد أمى فى غرورها وتذمرها ، فهى لا تمتاز  
بشئ عن بقية أفراد الأسرة .

\* \* \*

### تقرير أسبوعى عن حالة الأعضاء

ميج — جيدة

جو — سيئة

بث — سيئة جدا

أمى — متوسطة

\* \* \*

وما ان انتهى الرئيس من قراءة الصحيفة ، حتى دوت القاعة  
بتصفيق حاد ، فقامت جو تقدم اقتراحا ، وقالت في لهجة خطابية  
برلمانية :

— سيدى الرئيس ، حضرات السادة :

أقترح أن نضم الى ندوتنا عضوا جديدا ، يستحق هذا الشرف  
ويقدره ، ولست أشك فى أنه سيكون عوننا لنا على أداء رسالتنا الأدبية  
والاجتماعية ، بفضل ما اتصف به من علم وأدب ومرح •

انى أرشح مستر ثيودور لورنس ، وأزكيه عضو شرف فى الندوة ،  
وأرجو أن تتفضلوا بالموافقة على قبوله •

وبدا على البنات بعض المتردد ، ثم قامت ميج ، واعلت المنصة  
وقالت :

— سنقترح على اقتراح العضو ، فمن يؤيد انضمام مستر لورنس  
يقول : « موافق » •

هتف جو بأعلى صوتها :

— أوافق •

وتبعنها بث تقول بصوت خجل :

— أوافق •

أردفت ميج تقول :

— ومن يعارض الاقتراح يقول : « لا أوافق » •



وكلنت ميچ وآمى من المعارضات ، وقامت آمى تشرح رأيها فى  
تأنيق شديد وتقول :

— هذه ندوة للسيدات ، وأحب أن تظلّ دائما هكذا ، فالفتيان  
بطبعهم كثيرو الهزر والمشاغبة ، وأخشى أن ينضم مستر لورنس  
فيفسدها •

وقالت ميچ وهى تعبت بشعرها ، شأنها إذا ترددت فى أمر من  
الأمرور :

— أخشى أن يسخر من صحيفتنا ، ويهزأ بجهودنا الأدبية •

فوقفت جو مرة ثانية وقالت بحزم :

— سيدى الرئيس :

أعدك وعد رجل شريف أن لا يفعل لورى أمرا من هذا ، انه  
شغوف بالكتابة ، وانضمامه الينا يضيف الى جهودنا الأدبية لونا جديدا ،  
ويمنعنا من الانسياق مع عواطفنا ، ولقد قدم لنا خدمات كثيرة ، فأقل  
ما يجب علينا أن نرد له الجميل ، فنقبله بالترحيب عضوا فى ندوتنا •

وتأثرت بث بهذه الخطبة ، فقلمت تؤيد رأى جو وتقول بلهجة  
حاسمة :

— وأنا أضم صوتى الى صوت للعضو المحترم ، وأرى أن نقبل  
لورى دون تردد ، لا هو وحده ، بل نقبلّ جده أيضا اذا شاء أن  
يشارك معنا •

وتكهرب الجو لحديث بث ، وقامت جو من مكانها تصافح أختها  
مهنتة شاكرة ، وقالت :

— مادام لورى صديقنا ، فواجبنا جميعا أن نوافق على انضمامه •

قال أخواتها في نفس واحد :

— نوافق ، نوافق ، نوافق •

وبين دهشة الجميع وعجبهن ، قامت جو الى خزانة الملابس القائمة بجانب الحجرة ، وفتحت بابها ، فوقمت أنظار المجتمعات على لورى يجلس فوق زكية ممثلة بالمهمات ، وقد احتقن وجهه لفرط رغبته المكبوتة في الضحك •

صاح الفتيات يستنكرون وجوده :

— أيتها الخائنة الشريرة ، كيف تجرئين على خيانتنا بهذه

الصورة •

وقامت جو الى صديقها ، فأخرجته من الخزانة ، وقادته الى منضدة الاجتماع في سرور وانتصار ، ثم قدمت له شارة ، فأصبح بذلك عضوا في الندوة •

وحاولت ميج أن تتظاهر بالغضب ، ولكن ابتسامتها خذلتها ، فاعتلت المنصة ، وقالت بلهجة خطابية :

— ان ثبات أعصابكما أيها الوغدان يدهشني •

فنهض لورى بأدب بالغ ، وانحنى تحية للرئيس ، وقال برشاقة ولباقة :

— سيدى الرئيس ، سيداتى ، آسف جدا ، أقصد سادتى ،

يسرنى أن أكون دائما في خدمتكم ، وأن أساهم بجهودي في نجاح ندوتكم •

وصاحت جو تشجعه وتؤيده :

— مرحي ٠٠ مرحي ٠٠٠

وأردف لوري يقول للجالسات :

— رئيسي النبيل ، وأصدقائي المخلصين ، شرفتموني بالصقح عن خدعتي الدنيئة ، وأحب بهذه المناسبة أن أضح الأمور في نصابها ، فأعترف بأنني وحدى المسئول عن هذه الخدعة ، وليس لجؤ ذنب فيما حدث ، فأنا صاحب الفكرة ، وأنا الذي ألحمت عليها حتى اقتنعت بها •

فصاحت جو في غبطة بما فعلت :

— بل الذنب مشترك بيننا ، وأنا التي اقترحت اخفائك في الخزانة •

وانحنى العضو الجديد للرئيس وقال :

— لا تصدق ، فأنا الوغد الذي رتب الخديعة كلها ، ولكني أعاهدكم بشرفي أن لا أعود الى مثل ذلك ، وأعدكم أن أكرس حياتي وجهودي في خدمة ندوتكم العتيدة •

صاحت جو مغتبطة :

— هكذا يكون الكلام !

وانحنى ميج احتراماً للمتكم ، وقالت آمي تستريده :

— أكمل حديثك ، أكمل حديثك •

قال:

— أحب أن تعلموا جميعا أنني شاكر لفضلكم ، معترف بجميلكم ،  
وقد أردت أن أعبّر لكم عن بعض ما يجيش في نفسي ، فأعددت في ركن  
السياج الفاصل بين حديقتنا ، صندوقا للبريد ، كان في يوم من الأيام  
برجا للطيور ، ولكني أصلحته ونظمته ، وصنعت له فتحة في أعلاه ،  
تغلق بقفل محكم ، يحتفظ كل طرف منا بمفتاح له • وسيكون لهذا  
الصندوق فوائد عميمة ، فيه نتبادل الرسائل والمخطوطات والكتب  
واللغات ، توفيراً للجهد واختصاراً للوقت ، واني أقدم لحضرة  
الرئيس أحد مفاتيحه ، وأملى عظيم في أن يتفضل بقبوله •

ووضع لورى على المائدة مفتاحا صغيرا ، هلك له الحاضرون وصفقوا  
طويلا ، فعانى الرئيس مشقة حتى في إعادة النظام الى الجلسة •

وعاد الرئيس الى جدول الأعمال ، فدارت المناقشات على أحسن  
وجه ، وبذل الأعضاء جهودا مشكورة في أداء واجباتهم كاملة ، وسارت  
الأعمال في سهولة وانسياق الى ساعة متأخرة ، ثم رفعت الجلسة بتحية  
للعضو الجديد •

ولم يأسف أحد على انضمام لورى الى الندوة ، فقد أثبت بلباقته  
وذكائه ومرحه ، أنه عضو منتج لا مثيل له في أى ندوة أخرى ، وأكسب  
وجوده الاجتماعات روحا جديدة ، وأضافت جهوده الأدبية الى الصحيفة  
مادة غزيرة ، وكانت خطاباته في الندوة مثار إعجاب الأعضاء لطرافتها  
وحسن أسلوبها وخلوها من السخافات العاطفية •

أما صندوق البريد فقد نجح في أداء رسالته أعظم نجاح ، وتبدلت  
عن طريقه أغرب الأسماء وأكثرها تناقضا : فمن قصص جديدة الى أربطة

عنق ملونة ، ومن شعر الى مخلات ، ومن بذور الى خطابات ، ومن كتب موسيقية الى قطائر شهية ، ومن أحذية الى دعوات وتمنيات ، ومن عتاب رقيق الى كلاب صغيرة .

وأعجب مستر لورنس العجوز بالفكرة ، فساهم بدوره فيها ، واختار أن يرسل هداياه الى البنات عن طريق صندوق البريد ، واتسع استعمال الصندوق حتى شمل الخدم في البيتين ، فكان بستاني القصر يودعه رسائل غرامه بالطاهية حنا ، وقد ضحك أعضاء الندوة كثيرا عندما اكتشفوا سر الخادمين ، ولكن أحدا منهم لم يدر بخلده ، كم سيحمل الصندوق من رسائل الغرام ، في الأعوام القادمة .

## الفصل الحادى عشر

### تجارب

فى لاء يوم صحو ، عادت ميح من عملها الى البيت ، فوجدت أختها جو ترقد على الأريكة يادية التعب مرهقة ، وكانت ميح بدورها متعبة مجهدة ، فخلعت حذاءها ، واستلقت على مقعدها ، حتى تأتئهما  
• أمى بكوب من عصير الليمون

قالت ميح :

— اليوم أول شهر يونيه ، وعن قريب يسافر آل كنج الى المصيف ، فأستريح من العمل ثلاثة أشهر ! كم سأتمتع بها !

قالت جو :

— لقد سافرت اليوم عمى مارش الى مصيفها ، وكنت أخشى أن تصحبنى معها ، ولو أنها طلبت الى أن أرافقها ، ما جرؤت على الرفض ، ولكنها تركتنى والحمد لله ، فرحمتنى من قضاء الصيف معها فى تلك المقبرة التى يسمونها مدينة بلمفيد ، وكانت مهمة شاقة أن أعينها على اعداد حقائبها للسفر ، ولكن فكرة البعد عنها كانت مبهجة مفرحة ، فبذلت جهودى مضاعفة فى خدمتها ، ولم أتردد فى تلبية أوامرها ، وقمت بكل ما تحتاج اليه فى نشاط وسرعة ، حتى خفت فى آخر الأمر أن تشعر بأهمية وجودى معها ، فتعود وتستصحبنى الى مصيفها • وعندما رأيتها تجلس فى العربة اطمانت نفسى وهدأت مخاوفى ، ولكن أمرا أزعجنى فى اللحظة الأخيرة ، اذ رأيتها فجأة تطل برأسها من نافذة العربة وتقول :

— جوزيفين ، هلا ...

وخفت أن تقع الكارثة ، فلم أدعها تكمل حديثها ، واخترت أن أستدير بسرعة ، وأعدو مبتعدة عنها ، ولم أكف عن العدو حتى بلغت منعطف الطريق وتأكدت من زوال الخطر .

قالت بث وهي تدلك قدمي جو بحب وحنان :

— مسكينة أنت يا جو ، لقد رأيتك تعودين إلى البيت ، وكان شبحا يطاردك .

وجاءت أمي تحمل عصير الليمون ، وأخذت نصيتها معه فارتشفت منه رشفة وقالت :

— العممة مارش « أبليز » بشرى .

نالت جو بتسامح :

— ان الفتاة تقصد « ابليس » ، ولكني أفضل أن أتساهل معها ، فحرارة الجو تغريني بالاعضاء عن فلتات اللسان .

قالت أمي تغير الموضوع بلباقة :

— ماذا تفعلان في العطلة ؟

أجابت ميح من أعماق مقعدها الهزاز :

— سوف أسهر كثيرا ، ولا أنام الا متأخرا ، وكفاني أن كنت أوي إلى فراشي مبكرة طول الشتاء ، وأبذل جهودى فى خدمة غيرى . أريد أن تكون عطلة كاملة ينعم بها قلبى .

— قالت جو :

— أنا لا أحب المكسل ، ولذلك أعددت مجموعة كبيرة من الكتب ،  
أقرأها على مقعد صنعته بين غضون شجرة التفاح •

فنظرت أمي الى بث وقالت ، وقد طرأت لها فكرة جديدة :

— ونحن أيضا في حاجة الى عطلة ، فما رأيك أن نترك الدراسة  
بعض الوقت ، ونلعب كما يحلو لنا طول النهار •

قالت بث :

— رأي جميل ، بشرط أن نقبل والدتي ، فأنا في شديد الحاجة  
الى التمرن على عزف القطع الموسيقية الجديدة ، ثم إن ملابس  
الدمى تمزقت ، وأريد أن أصنع لها ثيابا صيفية جديدة •

وكانت مسر مارش تجلس في ركن من الغرفة ، فالتفتت اليها

ميج تقول :

— أتسمح لنا بعطلة يا أماء ؟

قالت :

— أسمح بأسبوع على سبيل التجربة ، ولنر في ختلمه كيف يكون  
الحال ، فكل ما أخشاه أن تضغن ذرعا بالبطالة ، وتقتنعن قبل مضي  
سبعة أيام بأن البطالة المطلقة لا تنقل ثقلا على النفس من العمل المستمر •

قالت ميج في حماسة :

— لا أوافئك على رأيك يا أماء ، فالبطالة متعة لا تموض •

ورفت جو كوب الليمون عاليا ، وقالت :

— أقترح أن نشرب نخب اللهو والراحة •



وشرب جميعهم في حبور ، وبدأن لفورهن تجربة الراحة الدائمة ،  
فقضين بقية اليوم بلا عمل • وفي الصباح التالي ، لم تغادر ميج غرفتها  
قبل العاشرة ، وعندما هبطت الى قاعة الطعام ، تتناول افطارها ، لم تجد  
فيها أحدا من أفراد الأسرة ، فانقبضت شهيتها ولم تصب من الأكل  
إلا قليلا • وساءها بعد ذلك أن أوانى الزهور خالية من الورد التي درجت  
جو على الاهتمام بها فيما مضى ، وكانت الغرف في فوضى واضطراب ،  
فالمقاعد غير منتظمة في أماكنها ، والكتب مبعثرة على الأرض ، والأتربة  
عالقة بالأرئف والمناضد • ولم يكن بالببيت كله مكان نظيف يستطيع  
الانسان أن يأوى اليه مرتاحا ، سوى الركن الذى اعتادت مسز مارش  
أن تعنى به وتجلس فيه ، ولكن ميج لم تقل شيئا ، واختارت أن تستلقى  
على الأريكة في كسل ، وقد انشغل ذهنها بثياب الصيف الجديدة ،  
التي تريد أن تبتاعها براتبها •

وقضت جو ساعات النهار مع لورى عند النهر ، وفي المساء جلست  
تقرأ بين أغصان شجرة التفاح • وأقبلت بث على خزانتها ، فأخرجت  
منها دماها المشوهة ، ولكنها لم تلبث أن سئمت اللعب بعد قليل ، فتركزت  
الدمى على الأرض مبعثرة ، وذهبت الى المعزف تتسلى بموسيقاها ،  
وقد اطمأنت نفسها الى أنها غير ملزمة بغسل صحون الطعام كما  
اعتادت أن تفعل كل يوم •

أما أمى فقد ارتدت ثوبا أبيض اللون جميلا ، ونسقت شعرها  
تنسيقا أنيقا ، ثم جلست في جانب من الحديقة ترسم بعض الزهور ،  
وأملها كله ينحصر في أن يراها العابرون في الطريق ، فيأخذهم الاعجاب  
بالفنانة الصغيرة ، ولكن أحدا لم يراها مع الأسف ، فتركزت الرسم

وخرجت من البيت الى نزهة قصيرة ، وما لبث المطر أن فاجأها غزيرا ،  
فأسرعت بالعودة وملابسها الأنيقة تقطر ماء .

وبعد تناول الشاي ، اجتمع البنات في غرفة الجلوس يتحدثن في  
حياتهن الجديدة ، فأجمع الرأي بينهن على أنها حياة ممتعة بمعنى الكلمة ،  
وان كانت ساعات النهار طالت أكثر مما يجب . وأرادت ميج أن ترفه  
عن نفسها ، فخرجت الى السوق ، وعادت بقطعة من المسلمين ابتاعتها  
لتصنع منها ثوبا ، فلم تكذ تقصها ، إلا واكتشفت أنها غير قابلة للغسل ،  
فأغضبها ذلك وتركها جانبا . ولم تجد جو تسلية أخرى تشغل بها  
وقتها ، بعد أن سلخت الشمس أنفها لطول ما جذفت في النهر ، وأصاب  
القراءة رأسها بصداع حاد ، فقنعت بالجلوس ساكنة لا تجد ما يشغلها  
أو يسليها . ولاقت بث عناء في تمرنها على عزف القطع الموسيقية  
الجديدة ، وضايقتها الفوضى المنتشرة في خزانتها ، فجلست هي  
الأخرى صامتة ، لا تعرف ماذا تفعل بنفسها . أما أمي فقد أحزنها  
ما أصاب ثوبها الأبيض الجميل ، وتحيرت فيما ستلبسه في حفلة كيتي  
براون ، بعد أن أفسدت الأمطار الرداء الجيد الوحيد الذي تملكه ،  
وانتهى بها الأمر الى الحزن والكمد . ورغم كل هذه المضايقات الصغيرة ،  
أكد البنات لأمهن أن التجربة تبشر بخير عيم ، فابتسمت لهن ولم تقل  
شيئا ، وتعاونت هي وحناء على أداء الأعمال المنزلية التي تركها بناتها ،  
حتى يحتفظ البيت برونقه ونظامه .

ولم يكن أحد يتوقع أن تتطور الأمور بهذه السرعة بعد ذلك ،  
ولكن هذا ما حدث بالفعل ، فقد زادت الأيام طولا ، وانقلب الجو على  
غير العادة ، فتغيرت أمزجة البنات بالمثل ، واستبدت بهن حيرة  
لا يعرفن لها سببا ، وتسلل الشيطان الى جماعتهن ، ووجد مرتعا خصيبا

في آذانهن الفارغة وأيديهن التافهة • وبدأت المحن يوم أخرجت ميح بعض أثوابها القديمة تجربها ، ولما وجدت فيها بعض العيوب ، فكرت في أن تصلحها ، فمتغير شكل الأثواب حتى تصبح شبيهة بثياب آل موفات ، ولكنها لم تفلح في تحقيق هذه الرغبة . وخرجت من التجربة وقد أفسدت ثيابها • وأنهكت القراءة جسو فتركتها ، ولم تجد ما تشغل به وقتها ، فثارت فيها روح المشاجرة ، وتشاجرت مع لورى الطيب القلب وخاصمته • وكانت بث تنسى أحيانا أنها في عطلة ، ف تعود الى عملها المنزلى ، ثم لا تلبث أن تتذكر ، فتتهجر العمل الى دماها ، ولكن التجربة أضرت بهدوئها ، فتشاجرت مع دماها ، وأذبتها لأول مرة تأنيبا شديدا • أما أمى ، فكانت أشقاهن حالا ، فقد كان معين تسليتها محدودا بحكم سنها ، فاحتارت فيم تفعله بنفسها ، وأثقلت عليها مواهبها التي تعتر بها ، فزادتها ضيقا على ضيق ، ولم تكن تحب الدمى ، وتعتبر القصص الخرافية تسلية الأطفال ، ولم يكن في استطاعتها أن تقضى اليوم كله في الرسم ، وفقدت حفلات الشاي والنزهات بهجتها ، قالت تحدث نفسها :

— لست أرى سعادة في مثل هذه الحياة ، فياليتنى كنت أملك بيتا كبيرا كله بنات ظريفات ، أو كان باستطاعتي أن أسافر الى مصيف أفضى فيه عطلة مبهجة •

وسكت البنات على ما أصابهن من هذه التجربة ، ولكن ما إن أقبل مساء الجمعة ، حتى كن جميعا مبتهجات بانتهاء الأسبوع المل • وأرادت مسز مارش أن تزيد الأثر عمقا في نفوسهن ، وكانت محبة للنكتة ، فاستقر رأيها على أن تختم التجربة ختاماً حاسماً ، ولذلك أذنت للطاهية حنا بيوم عطلة ، وتركت بناتها يفعلن ما يشأن •

وفي صباح السبت ، لم يجد البنات نارا موقدة في المطبخ ،  
ولا إبطارا على المائدة ، وكذلك لم يجدن أمهن في مكانها المعهود من  
البيت •

وتلقت جو حولها في اشمئزاز وقالت :

— اللهم رحمتك ، ماذا حدث لهذا البيت ؟ !

وأسرت ميج الى الدور العلوى ثم نزلت وقد ارتسمت عليها  
أمارات الراحة المقرونة ببعض الخجل ، قالت :

— وجدت والدتي في فراشها ، وقد رأت أن تلازم غرفتها طول  
اليوم ، فعلينا أن نعى بأنفسنا • انه أمر عجيب حقا ، فعهدى بها  
نشيطه متوثبة ، ولكنها تقول إن الأسبوع الماضى كان مرهقا لها ، ومن  
حقها أن تنال بعض الراحة •

فقالت جو في لهفة :

— إنى أرحب بذلك ، فقد ضاقت نفسى بالراحة ، وأريد أن  
أفعل شيئا •

وعدن الى العمل فوجدن فيه تسلية وترفيها ، وما إن اندمجن فيه  
حتى تبين لهن صدق حنا ، التى كانت تقول لهن دائما : إن العمل  
المنزلى ليس مجرد مزحة أو لعبة • وكان الطعام موفورا في خزانة  
المطبخ ، فقامت ميج وجو بأعداد وجبة الافطار ، وتعهدت بث وآمى  
بأعداد المائدة ، وهما تعجبان لماذا يشكو الخدم من صعوبة  
عملهم •

قالت ميج وهي تقف أمام إبريق الشاي :

— سأحمل الى والدتي قسطا من الشاي ، بالرغم من أنها أبدت رغبتها في خدمة نفسها بنفسها .

وأحضرت الصينية ، وأعدتها لوالدتها خير اعداد ، وحملتها اليها في الطابق الأعلى ، وبالرغم من أن الشاي كان مر الطعم لكثرة ما غلى على النار ، والبيض يفوح برائحة الحرق ، والكحك يلمع لازدياد الكربونات فيه ، رغم ذلك كله ، تقبّلت مسر مارش افطارها راضية شاكرة ، ثم ضحكت كثيرا عند ما انصرفت ابنتها من الغرفة ، وقالت تحدث نفسها :

— يا للنفوس الطيبة ! سيلاطين اليوم صعبا كثيرة ، وسيتجشمن مشقات لا عداد لها ، ولكنه درس يفيدهم .

وأزاحت افطارها جانبا ، واستعاضت عنه بقطعة من اللحم كانت قد أعدتها من قبل لمثل هذا الوقت ، فكانت لمحة طيبة تدك على فرط رغبتها في المحافظة على شعور بناتها .

وكثر الشكاوى في الدور الأرضي ، وتعددت الغلطات والأخطاء ، مما أثار أحزان ميج ، التي كانت تلعب دور كبير الطهارة ، قالت جو تخفف عنها :

— لا بأس عليك يا ميج ، فسوف أقوم بالأعباء كلها في وجبة الغداء ، وما عليك إلا أن تكوني السيدة الآمرة الناهية ، فليست أرى داعيا لأن تلوثي يديك مرة أخرى .

وقبلت مارجريرت هذا العرض السخى مسرورة ، ثم انسحبت الى

حجرة الجلوس التي تسودها الفوضى ، فرتبتها بأن أخفت الأثسياء المتناثرة على الأرض تحت الأريكة ، وأغلقت المصاريع الخشبية ، حتى لا ترى العيون الغبار العالق بالموائد والرفوف • وندمت جو على ما فعلته بصديقتها لورى ، وأرادت أن تمحو أثر الإساءة من نفسه ، فأرسلت اليه تدعوه الى الغداء ، الذى سوف تطهيه بيديها •

وقالت ميج عندما بلغها الخبر باندفاع أختها فى الكرم :

— كان الأفضل ، قبل أن تدعى ضيوفا للغداء ، أن تنتظرى حتى تنتهى من الطهى وتطمئنى •

قالت :

— لا عليك ، فقد أعددت للأمر عدته ، وقصرت الغداء على اللحم المفروم والبطاطس ، بالاضافة الى بعض الحمار والهلين والسلطة ، ولست أعرف كيف تصنع السلطة ، ولكنى سأجدها فى كتاب الطهى ، ثم نحلى بالفراولة ، ولا بأس من القهوة ، ليكون الغداء من أول طراز •

قالت ميج :

— بالله لا توقعى نفسك فى ورطات كثيرة ، ونصيحتى أن تكفى بصنع بعض الفطائر ، وإلا أخرجتنا أمام لورى • إنى أنفض يدي من هذه الدعوة ، وما دمت قد دعوته ، فتولى الأمر بنفسك •

قالت جو ، وقد آلمها حديث أختها :

— نست أطلب منك سوى أن تساعدينى فى عمل حلوى الفراولة ، وتمدينى بالنصح اذا تعقدت الأمور •

قالت ميج ، في تواضع ربة البيت الماهرة :

— إن أتأخر عن معونتك . ولكنى لا أعرف كثيرا ، ولا أتقن سوى الخبز وبعض المأكولات البسيطة . ويحسن أن تستأذنى والدتى قبل أن تشتري شيئا .

قالت جو ، وقد ضاقت ذرعا بنصائح أختها :

— لست بلهاء الى هذا الحد ، فاطمئنى .

ثم صعدت تستأذن والدتها التى قالت :

— اشترى ما تريدين ، ولا تعكرى هدوئى ، فأنا اليوم فى عطلة ، وسأتناول غذائى فى الخارج ، ثم أتسلى بالقراءة وزيارة بعض الصديقات .

ودهشت جو لهذا الكلام كل الدهشة ، فقد كان عهدا بأمرها نشيطة مجدة ، لا تنى عن العمل والجهاد ، فلما رأتها متكاسلة بهذه الصورة أصابتها دهشة ، واعتبرت الأمر ظاهرة لا تقبل عجا عن كسوف الشمس أو الزلازل .

وقالت تحدث نفسها وهى تهبط السلم :

— الأحوال كلها مختلفة ، وها هى ذى بث تبكى ، فلا بد أن حادثا أصاب الأسرة . والله لأؤدبن آمى اذا كانت السبب فى بكاء أختها .

ونزلت جو ثائرة غاضبة ، فوجدت بث تبكى عصفورها الذى رقد ميتا فى قفصه ، وقد تقلصت أصابعه الصغيرة وارتفعت الى أعلى كأنه يتوسل فى طلب الطعام .

وجعلت بث تبكى طيرها ، وهى تهزه بيدها كأنها تريد أن ترد اليه  
الحياة • قالت :

— إنها غلظتى ، فقد نسيت أن أضع له طعامه وشرابه • آه  
يا عصفورى الجميل ، لن أغفر لنفسى قسوتها عليك •

وفحصت جو عيني الحصفور ، واستمعت الى ضربات قلبه ، فلما  
تأكدت من موته ، أعدت له نعشا من صندوق صغير •

وقالت أمى تبعث الأمل فى صدر أختها :

— ضعيه فى الفرن ، فربما عادت اليه الحياة اذا أصابه الدفاء •

قالت بث ، وهى ما تزال تبكى وتنوح :

— لقد مات جوعا ، ولن يعيده الى الحياة شواؤه فى الفرن •  
سأحفر له قبرا أدفنه فيه ، ولن آتى بعصفور غيره ، فكفانى ما فعلت  
بهذا المسكين •

فقالت جو فى وجد واهتمام :

— لا تنوحى يا بث ، إنه أمر محزن • كان هذا الأسبوع عامرا  
بالشئون والشجون ، ولعل عصفورك نال أسوأ قسط من تجاربنا • لفيه  
بالأكفان ، وضعيه فى الصندوق ، وبمجرد أن ننتهى من وليمة الغداء ،  
ندفنه فى احتفال مهيب ، ونسير جميعا الى القبر وراءه •

وتركت بث فى رعاية أخواتها الأخريات ، وذهبت الى المطبخ  
فوجدته فى فوضى واضطراب ، ولكن ذلك لم يثن من عزم جو ، فوضعت  
المرولة على ثوبها ، وبدأت تغسل الأواني والصحون ، ولم تنته منها حتى



كشفت أن نيران الموقد قد خمدت ، فقالت بضيق شديد ، وهى تفتح باب الموقد وتدخل رأسها فيه تفحص الأخشاب به :

— أمر جميل !

وأشعلت الموقد من جديد ، ووضعت عليه آنية مليئة بالماء ، وتركتها لتغلي ، حتى تذهب الى السوق وتعود • وسارت في الطريق ، فرد لبيها السير بعض هدوئها المفقود ، وطافت بالحيوانات تشتري منها أرخص البضائع ، ثم رجعت الى البيت تحمل محاراً صغير الحجم جداً ، وهليوناً شائخاً ، وعلبتين من الفراولة الحامضة • وعكفت جو على تنظيف الأواني ، ثم أخذت أهبتها لطفى وجبة الغذاء ، وكانت ميج قد أعدت عجينة الخبز في الصباح ، وتركتها تخمر بجوار المدفأة ، ثم نسيت أمرها في غمرة انشغالها بمسامرة صديقتها سالى ، التى جاءت لزيارتها • وفجأة انفتح الباب بشدة ، ودخلت جو محمرة للوجه مغيرة الشعر بالدقيق ، وقالت بلهجة لاذعة :

— ارتفع العجين وسال من أنيته على الأرض ، أفلا يكفيك كل هذا اختماراً ؟

وضحكت سالى ، ولكن ميج رفعت حاجبيها تتعجب من أمر أختها ، التى سبق أن تعهدت بأعداد وجبة الغداء دون معونتها ، فارتدت جو على أعقابها أمام هذه النظرة ، وعادت الى المطبخ تعالج وحدها شئون الأكل • وخرجت مسر مارش لقضاء حاجة لها ، بعد أن استرقت نظرة الى ما يدور في البيت ، وهمست ببعض عبارات العزاء لبت التى كانت مشغولة بقص أكفان عصفورها •

وكان وجود الأم في البيت رغم اعتكافها بغرفتها ، يطمئن البنات

ويقوى عزائمهم ، فلما رأينها تخرج ، تملكهن شعور بالعجز والقلق ، واشتدت بهن المحنة ، عندما جاءت مس كروكر ، جارتهم العجوز ، وطلبت أن يأذن لها بتناول الغذاء معهن . وكانت مس كروكر هذه عانسا نحيفة القد ، لها أنف معقوف ، ونظرات متطفلة ترى بها ما يخصها وما لا يخصها ، ثم تطوف بأهل الحي تتحدث بما رآته . وكان البنات يكرهنها ، ولا ييرتحن الى صحبتها ، ولكنهن تعلمن عن أمهن أن يحترمنها ويرحبن بها اكراما لفقرها وحاجتها . ولم تجد ميج مناصا من تحيتها ، فقامت تصافحها ، وقدمت لها مقعدا مريحا ، ثم جلست بجوارها تصفى صامتا لثرثرة العجوز ، وأحاديث تطفلها .

ومضى الصباح في جهاد بالغ لم يأت بثمرته المرجوة ، فقد جاء طعام الغداء أضحوكة خالدة : فان جو أرادت أن تعتمد على نفسها بقدر الإمكان ، ولا تطلب العون أكثر مما يجب ، فكانت النتيجة أن سلقت الهليون ساعة كاملة ، لتجد بعدها أن رعوسه قد تفتتت ، وما زالت سيقانه صلبة مليفة . وشغلها أمره عن العناية بأمر البطاطس ، فقررت الاستغناء عنه في وجبة الغذاء ، واحترق الخبز في الفرن حتى اسود لونه ، واستعصى عليها تنظيم السلطة ، واختلطت موادها اختلاطا قبيحا أقنعها بوجود الاستغناء عن هذا الصحن أيضا . واستغلق عليها أمر الحار ، ولكنها لم تشأ أن تستسلم للعجز ، فعككت عليه تعالج فتح أصدافه ، الى أن أمكنها أن تستخلص منه لحما قليلا ، بدا في وسط أوراق الخس ، التي تزين الصحن ، تافها هزيلا . أما الفراولة فقد تعجنت ، وفاحت رائحتها الحامضة ، فثار غضب جو على البائع الذي

خدعها ، فوضع لها الفاكهة الفاسدة في قاع اللعبة ، وغطاها ببعض الحبات الطازجة •

ومضى على موعد الغداء ساعة ونصف ساعة والطعام لم يعد بعد ، ثم دق الجرس أخيرا ، ووقفت جو ترقب الوليمة تعبة منهكة ، وقد استبد بها الخجل أن يكون الطعام بهذه الصورة المحزنة في حضرة لورى الذى اعتاد أن يتناول أطيب المأكولات ، وفى وجود مس كروكر ذات اللسان اللاذع والعين المتطفلة ، قالت تحدثت نفسها :

— ليكن ما يكون ، وإذا لم يعجبهم طهبي فليدهم اللحم المفروم والخبز المقدد والزبد الطازج يشبعون به بطونهم ، ولكن الذى يغيظنى حقا أن تذهب جهودى فى هذا الصباح هباءً •

واشتد الخجل بجو ، وتمنت لو انشقت الأرض فابتلعتها ، وهى ترى الصحن تتوالى على المائدة ، فما إن يتذوق الجالسون ما فيها ، حتى يتركوه جانبا ، فتضحك أمى ، ويتورد وجه ميج ، وترم مس كروكر شفتيها اشمئزا ! أما لورى ، فكان يتحدث بنشاط ، ويروى القصص والفاكاهات ، وغرضه بذلك أن يزيل التوتر السائد ، ويكسب الوليمة لونا من المرح والبهجة •

وكان فخر جو الوحيد فى تلك الوليمة الخائبة ، صحن الفراولة الذى رشته بالسكر الناعم وغطته بالقشدة المخفوقة ، فأشرق وجهها قليلا عندما وضع الصحن على المائدة ، وأقبل عليه الحاضرون كل يأخذ نصيبه منه ، وكانت مسز كروكر أول من تذوق الطوى ، فما إن وضعت فى فمها جزءا منها ، حتى انقلبت سحنتها ، وأسرعت تشرب جرعة من الماء • والتفتت جو الى لورى ، فرأته يتناول نصيبه فى شجاعة ورجولة ،

وإن كان التواء شفتيه قد دلها على مبلغ ما يعانیه من ألم يحاول أن يخفيه • وأرادت أن تقرأ في عينيه سر ما أصابه ، ولكنه اختار أن يتهرب من مواجهتها ، فأطرق برأسه الى صحنه ، وثبت أنظاره في الحلوى • وكانت آمل شغوفة بهذا اللون من الطعام ، فاعترفت منه نصيبا كبيرا ، لم تكذ تتذوقه ، حتى بان الإنزعاج الشديد على وجهها ، فأخفت فمها بالفوطة ، وخرجت من المعرفة جريا •

صاحت جو في حيرة وعجب :

— ماذا دهاكم جميعا ؟ !

أجابت ميج بحزن :

— لقد وضعت ملحا بدل السكر ، والقشدة مع الأسف حامضة •

... وتأوهت جو في أسى بالغ ، وقد تذكرت أنها ، في لهفتها على اعداد الفراولة ، نسيت أن تضع القشدة على اللبغ ولم تتنبه الى وجود صندوق الملح بجوار صندوق السكر ، فأخذت حاجتها من الأول دون الأخير • واحمر وجهها خجلا ، واستبدت بها رغبة في البكاء ، ولكن نظراتها تلاقت مع نظرات لورى ، وطلعتها عيناه العامرتان بالمرح ، فانكشف لها من المأساة جانبها المضحك ، فانفجرت في عاصفة من الضحك ، حتى سالت الدموع على خديها ، وسرت العدوى الى الحاضرين ، فضحكوا جميعهم ، حتى مس كروكر الناقدة المترمته ، وهكذا انتهت الوليمة في سرور ، وقنع أهل البيت وضيوفهم بالخبز والزيتون والزبد •

ونهضت مس كروكر تستأذن في الانصراف استعدادا لنشر الخبر  
بين أهل الحى ، فودعتها جو الى الباب ، ثم عادت تقول :

— لا قبل لى على تنظيف المائدة الآن ، فهيا بنا نحتفل بدفن

العصفور •

وتمت مراسم الدفن كاملة اكراما لبث ، فحضر لورى للعصفور  
قبرا بين ورود الحديقة وأشجارها ، وثوى جثمان الطير فيه ، وبين بكاء  
صاحبه ونحيبها ، ثم نثر عليه المشيعون زهور البنفسج ، ووضعوا على  
القبر قائما كتب فيه :

« هنا يرقد عصفور آل مارش

مات فى اليوم السابع من شهر يونيه-

أحبه أصحابه وحزنوا عليه-

وسوف تبقى ذكراه فى قلوبهم خلادة »

ولما انتهى حفل الجنازة ، أوت بث الى حجرتها تغلب أحزانها  
على عصفورها ، ولكن الوقت لم يتسع لمزيد من الحزن ، فقد حل المساء ،  
وآن الأوان لاعداد الفراش ، فنهضت الى عملها تفرغ همومها فى  
ضرب الوسائد وشد الأغطية واعادة الأثيياء الى مواضعها • وتعاونت  
ميج مع جو على تنظيف المائدة ، وغسل الصحون ، فاستغرق العمل  
منهما ساعات المساء كلها ، وخلفهما تعبتيْن مجهدتين ، لا قبل لها على  
طهى طعام للعشاء ، فقنعتا بتناول الخبز والشاى • وكانت آمى فى حالة  
سيئة ، إثر ما تناولته من قشدة حامضة ، فدعاها لورى الى نزهة خلوية

تخفف عنها آلام بطنها ومتاعب يومها • وعادت مسر مارش فوجدت بناتها الثلاث الكبيرات يعملن في البيت باجتهاد ، وأقنعتها نظرة واحدة الى الخزانة المنظمة ، بأن تجربتها قد نجحت كل النجاح ، وأتت بأطيب ثمراتها •

ولم ينعم الفتيات بفرصة للراحة ، إذ أقبل على البيت بعض الزائرين ، فاستدعى الأمر مزيدا من العمل والاستعداد ، فخرجن الى السوق ، وأعددن الشاي ، وعكفن بعد ذلك على حياكة قطعة مستعجلة كانت العطلة قد شغلتهن عن اتمامها • وعندها حل الغسق ، كان البنات يتوافدن على الشرفة ، حيث ترهبو براعم الصيف بجمالها ، فيرتمين على مقاعدهن تحت وطأة التعب والعناء •

قالت جو تبدأ الحديث :

— ياله من يوم عصيب !

قالت ميج :

— كان في الحقيقة يوما عصيبا ، ولكنه انقضى سريعا •

وأضافت بث :

— وخرج البيت على ما اعتدنا عليه •

ونظرت آمي الى قفص عصفورها الخالي ، وقالت بحزن :

— وهل يكون البيت على ما تعودنا ، وليس به والدتي وعصفوري ؟

وأقبلت مسز مارش ، واتخذت مقعدها المعتاد ، وقد بدت كأنها لم تستمتع بعطلتها • قالت لبث :

— ها أنا ذا أعود اليك يا عزيزتي ، وان شئت اشتريت لك غدا عصفورا آخر •

وارتمت بث في أحضان أمها ، وأشرقت وجوه الفتيات فرحا وسعادة ، قالت مسز مارش تسألن :

— أترين أن نمد العطلة أسبوعا آخر ؟

فصاحت جو في حزم :

— لا أريد مزيدا من العطلة يا أماه •

وقال أخواتها في نفس واحد :

— ولا نحن أيضا •

قالت الأم :

— هل أقنعتكن التجربة بوجوب العمل قليلا ، ولذة التضحية في سبيل الخير المشترك ؟

فهزت جو رأسها وقالت :

— لقد سئمت الرقاد والكلل ، وأريد أن أقوم ببعض العمل •

وكانت مس كروكر قد بادرت فأخبرت مسز مارش بأمر الوليمة ومآساتها ، فقالت الأم لجو وهي تضحك عاليا :

— ما رأيك في أن تتعلمي شيئا من أصول الطهي ؟ إنها تسلية مفيدة ، لا غنى لامرأة عنها •

وصاحت ميج ، وقد ساورتها الشكوك فيما استهدفتها أمها بتصرفاتها طوال اليوم :

— هل خرجت اليوم ، وتركتنا وحدنا ، لتختبرى قدرتنا على تصريف الأمور ؟

قالت :

— نعم يا بنيتي ، فقد أردت أن تدركن أن لا راحة لانسان ما لم يؤد واجبه ، ويقم بنصيبه من العمل مخلصا • كان تعاوني مع حنا على تصريف شئون البيت ، يسهل لكن الحياة ، ولا يسعدكن ولا يرضيكن ، فأردت أن تتعلمن بالتجربة كيف تتقلب الأمور ، اذا سلكت كل واحدة منكن سبيلها ، ونم تفكر إلا في نفسها • إن الحياة أخذ وعطاء ، وبغير العمل تفقد الراحة جمالها •

صاح الفتيات معا :

— صدقت يا أماه ، صدقت !

قالت :

— إن العمل وجه للحياة مفيد ، ومن الخير أن نقوم بنصيبنا منه • ومهما بدا متعبا ثقيلًا ، فهو مقتلة للملل ، وفيه انعاش للروح ، وفيه أيضا قوة معنوية لا تغلب •



قالت جو :

— سترين من اليوم كيف نعمل باجتهاد ، وكيف نؤدي واجباتنا  
مخلصات ، وسأعمل بنصحك يا أماء ، فأتعلم الطهي خلال عطلتى ،  
لأنجح كل النجاح فى وليمتى القادمة •

قالت ميج :

— ويسعدنى أن أحيك قمصان والذى بدلا منك ، يا أماء ، وأشغل  
نفسى عن التذمر والشكوى بمثل هذا العمل المفيد •

وقالت بث فى عزيمة :

— لا أرى داعيا لاضاعة الوقت فى الموسيقى واللعب ، ومن الخير  
أن أدرس وأجتهد •

قالت أمى ، وقد راققتها بطولة أختها بث :

— أما أنا فأتعلم عمل العراوى ، وأعد بأن أحترس فى اختيار  
الألفاظ النحوية الصحيحة •

قالت مسز مارش :

— عظيم •• يسرنى أن نجحت التجربة ، ولم نعد فى حاجة الى  
تكرارها ، ولكنى لا أرى أن تتدفعن فى العمل ، فترهقن كالإماء  
أجسادكن • ونصيحتى أن تنظمن أوقاتكن ، وتوزعنها بين العمل واللهو ،  
حتى يضى بكن اليوم مفيدا ممتعا • أحسن استغلال الوقت تستمتعن

( م ١٥ — نساء صغيرات )

بشبابكن ، ولا تحزنن في مشيكن . فتصبح الحياة ناجحة رغم الفقر  
والحاجة .

قال المفتيات في حماسة :

- - سنذكر نصيحتك الى الأبد ، يا أماء .
- وبالفعل تذكرن ، وعملن دائما بنصيحة أمهن .

# الجزء الثاني

## الفصل الثاني عشر

### معسكر لورنس

كانت بث ، بحكم وجودها في البيت معظم الوقت ، قد اعتادت أن تقوم بتوزيع البريد على أفراد الأسرة ، وكانت أحب مهمة اليها أن تتوجه الى صندوق البريد كل يوم ، فتفتح بابه الخشبي الصغير ، ثم تحمل محتوياته الى صاحباتها •

وفي يوم من شهر يولية دخلت البيت ، وقد امتلأت يداها بما وجدته في الصندوق من رسائل ولفافات ، وطافت بأهلها تعطي كلا نصيبه منها ، وكان بين ما تحمله باقة أزهار بعث بها لورى الى مسز مارش ، على ما اعتاد أن يفعل دائما ، فوضعتها في إناء زجاجى حملته إلى حيث تجلس أمها وقالت :

— هاك بريدك يا أماه • ان لورى لا ينساه أبدا •

والفتفت الى ميج ، وكانت تطرز بجوار أمها ، وقالت لها :

— جاءك خطاب وفرد قفاز كتب عليه « الى الآنسة ميج مارش » •

فنظرت ميج الى القفاز الرمادى ثم قالت :

— عجبا ! لقد تركت في صندوق البريد زوج قفاز . فلماذا جئتني

بفرد واحد ؟ ألا يحتمل أن تكونى قد أسقطت الثانى في الحديقة ؟

فقالته بث :

— لم يكن في الصندوق سوى فرد فقط ، وأنا واثقة من ذلك كل

الثقة •

— لا بأس عليك ، وربما وجدنا الآخر في مكان ما •

وفتحت الخطاب الذي أتناها به بث ، وقرأت محتوياته ثم قالت :

— هذه ترجمة الأغنية الألمانية التي كنت قد طلبتها من لورى ،

وأغلب الظن أن مستر بروك هو الذي كتبها ، فليس هذا خط لورى •

وتطلعت مسر مارش الى ابنتها بإعجاب وحنان ، وكانت ميج تطرز

أمام منضدة ازدحمت فوقها كرات الخيط وأدوات التطريز ، وقد

تهدلت خصلات شعرها على جبينها المشرق ، فبدت في ثوب الصباح

الأبيض صورة حية للأنوثة والجمال • ولم تشعر الفتاة بما يجسول

بخاطر أمها ، إذ كانت في شغل شاغل بتطريزها ، تؤديه في حماسة

واهتمام ، وهي تترنم بأغنية عذبة ، وقد سرح بها خيالها الى أحلام

تحاكي في براءتها وطهرها ، تلك الأزهار النضيرة التي تزين بها ثوبها •

وامتلأت نفس مسز ملرش غبطة وسرورا بحسن ابنتها وبراعتها ،

فانفجرت شفتها عن بسملة ملؤها الرضا والاطمئنان •

وبينما كانت مسز مارش غارقة في تأملاتها ، هرعت بث الى غرفة

المكتبة تبحث عن أختها جو ، فلما وجدتها تجلس في ركنها المعتاد ،

قالت لها ضاحكة :

— جاءك كتاب وخطابان ، ثم قبعة عتيقة مضحكة الشكل ، كانت

تملأ صندوق البريد وتبرز من جوانبه •

قالت جو :

— يا للفتى الماكر ! قلت له انى أتمنى لو تعود « مودة » القبعات

الواسعة ، حتى يمكنى أن أحمى بشرتى من فعل أشعة الشمس التي

تحرقتنى فى الأيام الصحوة ، فسألنى لماذا أهتم بما يلبسه غيرى ؟ ولم لا أعطى رأسى بقبعة واسعة مادمت أشعر بالحاجة اليها ؟ فأكدت له أنى لا أهتم مطلقا بمثل هذه الاعتبارات النسائية التافهة ، ولو كنت أمك قبعة واسعة ما ترددت فى الخروج بها على سبيل التفككة . وها هو ذا يتحدانى فيرسل الى بواحدة .

ووضعت القبعة على رأس تمثال نصفى فى غرفة المكتبة ، ثم شرعت تقرأ الخطابين ، وكان أحدهما من أمها ، فما ان تلت سطوره المعدودة حتى أحمر وجهها تأثرا واغرورقت عيناها بالدموع ، فقد كتبت أمها تقول :

عزيزتى :

يسرنى أن أكتب اليك كلمة صغيرة ، أعبر لك فيها عن مزيد غبطتى وسرورى بما تبذلينه من جهود مشكورة فى تزويج مزاجك الحاد . ورغم أنك لا تتحدثين عن كفاحك فى بلوغ غايتك ، ولا تذكرين شيئا مما تلاقين من توفيق أو اخفاق ، راضية باخفاء شجونك وشئونك ، إلا عن صديقك الأوحد ، كتاب النصائح ، الذى تسألينه الهداية فى إخلاص وإيمان ، فقد أمكنى بغير جهد أن أشاهد كفاحك النفسى فى تلك الصفحات التى بليت لكثرة ما قرأتها ، وألمس النتائج الطيبة التى وصلت اليها فى سعيك الى الارتفاع بنفسك فوق سقطات الغضب والاندفاع ، فسيرى يا بنيتى فى جهادك موفقة باذن الله ، وتسلحى دواما بالصبر والشجاعة ، وثقى أن أكثر من يشاركك فى وجدانك هى أمك التى يمتلىء قلبها بحبك .

« أمك »

وأسندت جو رأسها الى ذراعيها ، وانهمرت دموع الفرح من مقلتيها على صفحات الكتاب الذي كانت تقرأه . قالت تحدث نفسها :

— كلماتك يا أمى أئمن عندي من ملايين الجنيهات ، وأغلى من أكوام المديح والثناء ، ومادمت الى جانبي ، فلن أكف عن الجهاد ، ولن ينالني اليأس بحال من الأحوال .

وكانت تظن أنها تجاهد وحدها ، ولا من يعلم بجهادها أو يقدره ، فلما جاءت رسالة أمها ، اطمأنت الى أنها ليست في هذه الحياة وحدها ، مادامت تلك العين الرحيمة ترعاها . وقد ضاعف من تأثيرها بهذه الرسالة أنها لم تكن تنتظرها أو تتوقعها ، وان كانت تكن لأمها أخلص الحب والتقدير . ومنحها الخطاب عزيمة جديدة تعينها على قهر شيطان الشر ، فطوته وشبكته بدبوس في ثوبها ، كتمويذة تقيها من الزل . وأقبلت على الرسالة الثانية تقضها وهي على تمام الاستعداد لما قد تحويه من خير أو من شر ، ولكن خط لورى الكبير طالعها يقول :

« عزيزتى جو :

دعوت بعض أصدقائى وصديقاتى الانجليز لزيارتى غدا ، وأحب أن نقضى معا وقتا ممتعا ، وأملى أن يكون الجو صحوا فنقيم مخيما في « لونج ميدو » . وسوف نعبر النهر الى المخيم في قوارب ، وهناك نلعب الكريكت ثم نشعل النيران لنطهى طعامنا بأنفسنا على الطريقة البوهيمية .

انى أرحب بحضوركن جميعا ، ولن أقبل اعتذارا من بث ، فطمئنيها الى أن أحدا لن يضايقها ، وسيتولى بروك الاشراف على النظام ، وتعنى

كأت فون براحة الفتيات ، وستجدن أن أصدقائى جماعة مرحة طيبة •  
وأرجو أن لا تحضرن معكن شيئاً ، فقد أعددت كل صغيرة وكبيرة. مما  
نحتاج إليه ، ولست أنشد غير صحبتكن الممتعة ، فلا تخيين ظنى ، وكن  
كعهدى بكن زميلات طبيبات •

أودعك على كره ، الى الموعد المضروب  
من لورى صديقك المخلص الودود «

وهرعت جو تحمل الخبر المثير الى ميج ، وصاحت بها تقول :

— هكذا تكون الدعوات وإلا فلا ! ولن تمنعينا من الذهاب طبعاً  
يا أماه ، فسيكون وجودنا عوناً للورى ، فأنا أساعده فى التجديف ،  
وميج تتولى اعداد الطعام ، وتقوم الصغيرتان بالأعمال الأخرى  
البسيطة •

سألته ميج :

— أتعرفين شيئاً عن آل، فون ؟ أرجو أن لا يكونوا من المتعطرسين •

أجابت جو :

— كل ما أعرفه عنهم أنهم أربعة من الانجليز : كات وهى أكبر  
منك سناً ، ثم التوأمان فريد وفرانك وهما فى مثل عمري ، أما جريس  
ففى التاسعة أو العاشرة • لقد قابلهم لورى فى الخارج ، وأعجب بخلق  
الصبيين . ولكنى فهمت من التواء شفثيه أثناء حديثه عن كات ، أنه  
لا يميل اليهما •



فقالت ميج في اغتباط ظاهر :

— يسرنى أن ثوبى الفرنسى المنقوش مازال فى حالة جيدة ، فضلا عن أنه يلائمنى تماما ، فهل لديك ما ترتدينه يا جو ؟

قالت :

— عندى ثوب التجديف الرمادى ، وفيه الكفاية ، فلست أحتاج الى ثوب منشى مادمت أنوى أن أستمتع بيوم رياضى •

والتفتت الى بث تسألها :

— أتأتين معنا يا بث ؟

أجابت :

— نعم ، ولكن بشرط أن لا يبادلنى الحديث أحد من الفتیان •

قالت :

— لن أسمح لهم بذلك •

فقالت بث :

— أحب أن أفعل كل ما يسر لورى ، ولست أخشى مستر بروك فهو رجل طيب ، ولكنى أكره أن ألعب أو أغنى أو أتكلم فى حضرة الغرباء • سأقوم بنصيبي من العمل كاملا ، ولن أضايق أحدا • وما دمت تعنين بى يا جو. فلا أرى مانعا من الذهاب •

قالت جو :

— هذا كلام جميل ، وهكذا تحاربين خجلك ، وتعجبين فيك تلك الرغبة الشديدة فى التغلب على ضعفك ، فليست المعركة بين المرء وأخطائه بالأمر الهين ، والتشجيع يمنحنا قوة على الكفاح •

وسارت جو الى أمها ، فطبعت على خدها الضامر ، قبلة عامرة  
بالشكر ، وقالت :

— شكرا لك يا أماه •

ولو عاد الشباب لمسز مارش ما اغتبطت به مثلما اغتبطت بقبلة  
ابنتها المحبة •

قالت أمى وهى تبرز ما جاء به البريد اليها :

— أما أنا فقد وصل إلى صندوق من الشيكولاته ، وصورة أود أن  
أنسخها •

قالت بث ، وكانت صداقتها مع مستر لورنس العجوز قد  
توطدت :

— وأنا تلقيت بطاقة يدعونى فيها مستر لورنس أن أعزف له  
الليلة ، ويسرنى أن ألبى دعوته •

نهضت جو تستبدل القلم بالمكنسة وتقول :

— هيا بنا نؤد عمل اليوم وغد ، حتى نذهب الى الرحلة وليس  
بنا ما يشغلنا أو يقلق بالنا •

وفى صبيحة اليوم التالى أرسلت الشمس أشعة صافية تنبىء بيوم  
صحو جميل ، وتسلك الأئمة الى غرفة الفتيات ، فكشفت عن منظر  
طريف : فقد كانت كل واحدة منهن قد استعدت للرحلة المرتقبة بطريقتها  
المميزة ، فزحمت ميج رأسها بخصلات ملفوفة ، ودبابيس مجمدة للشعر ،  
وظلت جو وجهها بطبقة كثيفة من دهان مرطب للجلد ، واحتضنت بث

دميتها جوانا طول الليل لتعوضها عن فراق اليوم الطويل ، أما أمى فقد ضغطت أنفها بمشبك من مشابك الرسم ، حتى تلتئم فرطحته ويبدو صغيرا جميلا أمام ضيوف لورى . وكأن منظر الفتيات قد سر الشمس وأضحكها ، فأضاعت أشعتها الحجرة ، وعندئذ استيقظت جو من نومها العميق ، وقامت الى أخواتها تستحثهن على النشاط ، فلما رأت ما فعلته أمى بأنفها انطلقت تضحك عاليا .

وكانت الشمس المشرقة والضحكات السعيدة فألا حسنا يبشر بيوم سعيد ، فسرعان ما دبت الحركة ونشطت في المنزلين . وكانت بث أول من ارتدت ملابسها ، فوقف خلف النافذة ترقب ما يحدث في البيت الآخر ، وتنقل الأخبار الى أخواتها في عبارات مرحة مقتضبة وجعلت تقول :

— هذا رجل يحمل خيمة . . . أرى مسز باركر ترتب الطعام في سلة كبيرة . . . ها هو ذا مستر لورنس يتأمل السماء ويدرس اتجاه الرياح . . . فليته يأتي معنا . . . كم يبدو لورى أنيقا في ملابس البحارة ! . . . أقبلت عربة ملأى بالأشخاص : سيدة طويلة ، وفتاة صغيرة ، وصبيان فظيعان . . . يا للمسكين ! ان أحدهما أعرج ، وفي يده عصا يتوكأ عليها . . . انى أرى ند موفات أيضا . . . انظرى يا ميج ، أليس هذا هو الرجل الذى حياك يوما عندما كنا في السوق ؟

وأسرعت ميج الى النافذة تظل منها وتقول في اغتباط :

— انه هو ، ويدهشنى أن حضر ، فقد سمعت أنه مسافر الى الجبال . . . وهذه سالى أيضا ، يسرنى أن عادت في الوقت المناسب .

والتفتت الى أختها تقول :

— اصدقيني القول يا جو ، هل أبدو على ما يرام ؟

قالت جو :

— كأنك زهرة يانعة ، ولكن ارفعى ثوبك قليلا ، وأصلحى وضع  
قبعتك ، فلست أراها مستقرة على رأسك ، وأخشى أن يطير بها الهواء .  
والآن هيا بنا ...

وتناولت جو القبعة العتيقة الواسعة ، التي كان لورى قد بعث بها  
اليها على سبيل المزاح ، فوضعتها على رأسها ، وثنت طرفها بشريط  
أحمر ، فصاحت بها ميج تقول فى احتجاج شديد :

— لا .. لا .. يا جو ، لا يصح أن تلبسى هذه القبعة ، انها  
قبيحة المنظر مضحكة ، وشكلك فيها كالفتى !

قالت جو ، وهى تتصرف عن الغرفة مطمئنة :

— وهل يضيرنى أن أبدو كالفتى ؟ لا يهمنى أن تكون القبعة جميلة  
الشكل أو قبيحته ، ويكفينى منها أنها تحمىنى من الشمس ولا تثقل  
رأسى .

وخرج الأخوات الأربع جنبا الى جنب ، وكأنهن باقية من الورود  
البشرية الياينة ، وكن يرتدين ثيابا صيفية أنيقة ، وقد فاضت وجوههن  
التي تظللها القبعات بأبلغ أمارات السعادة والاعتباط .

واستقبلهن لورى مرحبا ، وقدمهن الى أصدقائه فى أدب  
واحترام ، فلما انتهت مهمة التعارف ، جلسن مع الضيوف الآخرين على  
المرج الأخضر ، الذى استعاض به صاحب الدار عن غرفة الاستقبال .

وشعرت ميج بمزيد من الراحة والاطمئنان عندما شاهدت مس كات ، وكانت في العشرين من عمرها ، ترقدى ثيابا أمريكية بسيطة ، ولكنها أدركت نفورها لماذا التوت شفقا لورى عندما كان يتحدث عنها الى جو ، فقد كانت الفتاة متكبرة متعترسة ، فيها غرور لا يتفق مع ما عرف عن بنات لورنس من تواضع مستحب . واكتملت سعادة ميج بوجود ند موغات ، وأثلج صدرها قوله لها بأنه لم يحضر إلا من أجل رؤيتها .

ووجدت بث بعد أن راقبت الفتیان بعض الوقت أن الصبى الأعرج لطيف المعشر ، وليس قظيغا كما تراءى لها وهى تطل من نافذتها . وكان ضعيفا بعاهته فاستقر رأيا أن تكون صديقة له ، وأن ترعاه طوال الرحلة برفق وحنان . أما أمى فقد رأت فى جرييس فتاة مهذبة مرحة ، فتبادلت واياها النظرات ، وسرعان ما تألف قلباهما وأصبحتا صديقتين .

وكانت الخيام وسلال الطعام وأدوات لعبة الكريكيت قد سبقت المدعوين الى المعسكر ، فلما اكتملت الجماعة ، استقل الفتیان والفتيات قاربين ، ودفنوا بهما الى النهر معا ، تاركين مستر لورنس العجوز على الشاطئ يودعهم ملوحا بقبعته . وتولى لورى وجو التجديف فى أحد القاربين وتولى مستر بروك وند القارب الثانى ، أما فريد التوأم الثائر فقد جعل يضرب الماء بيديه على غير هدى حتى كاد يقلب القارب بمن فيه . وحازت قبعة جو اعجاب أصدقائها وصديقاتها ، وأدت خدمات جليلة كان لها أثرها فى نجاح الرحلة . وكان من أفضال هذه القبعة ، أنه عندما دخلت بها جو الى الضيوف لأول مرة انفجروا فى عاصفة شديدة من الضحك ، كانت بداية طيبة لازالة التوتر ورفع

الكلفة وكذلك كانت حركاتها وانثناءاتها مع الهواء كلما جدفت جو ماثرا للمزاح والتسلية .

ودهشت كات لأسلوب جو في الحديث ، وعجبت عندما رأت لورى يظاً قدمها خطأً فيعتذر اليها قائلاً : « فتأى العزيز . . هل آذيت قدمك ؟ » ، ولكن قلبها مال اليها لغرابة أطوارها ومهارتها ، فاستقر رأيها أن تكون صديقة لها ، ومن ثم جعلت تبتسم لها في كل فرصة ممكنة .

وكانت ميچ تجلس في نهاية القارب الآخر ، وفي مواجهتها يجلس المعجبان بها ، يتأملان جمالها ويجدفان في حماسة ومقدرة . وكان مستر بروك شابا هادىء الطبع مترنا ، له عيفان عسليتان وصوت متند رخيرم ، وكانت ميچ تجب بخلقه الكريم ، وتعتبره موسوعة علمية ثمينة . وبالرغم من أنه جلس أمامها صامتا ، لا يبادلها الحديث إلا قليلا ، فقد ظلت نظراته عالقة بوجهها ، لا تتحرك عنه كأنه لا يرى في القارب غيرها . وكان ند موفات قد التحق بالجامعة أخيرا . فاختر أن يتشبه بالفرنسيين في أخلاقهم وأحوالهم ، ولأمه هذا التشبه ، فكان رفيقا مؤنسا ، رغم تفاهة عقله . أما سالى جاردنر فلم يك يعنيتها سوى المحافظة على ثوبها الأبيض الأنيق ، وظلت تثرثر مع فريد الذى أرسل الرعب في قلب بث ، من جراء حركاته العنيفة وقفزاته الخسنة .

ولم تكن المسافة الى لونج ميدو طويلة ، فسرعان ما وصل المركب الى الوجهة المنشودة ، فوجدوا أن الخيمة قد نصبت ، وأطواق الكريكيث غرست في الأرض استعدادا للعب ، وكان المعسكر جميلا فسيحا ، اكتست أرضه ببساط سندسى تظله ثلاث أشجار بلوط كبيرة

في الوسط ، ويمتد فيه شريط ناعم من العشب للكريكيت • وقفز الضيوف من القاربين الى الشاطئ ، وهم يهللون في سرور ، فقال لهم لورى :

— مرحبا بكم في معسكر لورنس • ان بروك قائد هذا المعسكر ، وأنا أركان حربه ، وبقية الفتيان ضباطه ، أما السيدات فضيوفنا • وقد نصبنا الخيمة خصيصا لراحتكم • ستكون قاعة الاستقبال في ظل الشجرة ، وتحت الشجرة الأخرى مخزن المؤون والحاجات ، والمطبخ في ظل الشجرة الثالثة • وأقترح أن نلعب مباراة في الكريكيت قبل أن تشتد حرارة الشمس ، وعندما ينتهي منها ننظر في أمر الطعام •

وجلس فرانك وبث وামী وجريس على الحشائش لمشاهدة اللاعبين ، واختار مستر بروك ميچ وكات وفريد زملاء له ، كما اختار لورى سالى وجو وند ، وبدأ الانجليز اللعب بداية حسنة ، ولكن الأمريكين لم يلبثوا أن تفوقوا عليهم خطوة خطوة ، كأنما قد عادت اليهم روح الكفاح التى نصرت شعبيهم على الانجليز عام ١٧٧٦ • وتعكر الجو بيز جو وفريد ، فقد ضربت الفتاة آخر كرة لها فغاضها أن أخطأت الهدف • وضرب الفتى كرتة فحادت عن الخط الصحيح مسافة صغيرة ، ولكن الفتى أسرع وراءها ليتتبع سيرها عن قرب ، وكان الهدف بعيدا عن اللاعبين ، فانتهز هذه الفرصة ودفع الكرة بقدمه دفعة خفيفة وجهتها للتوجيه الصحيح • وهنا صاح قائلا وهو يلوح بصولجان اللعب :

— لقد أصبت الهدف يا مس جو ، وبهذا أبدأ الدور قبلك •

قالت الفتاة فى حدة :

— بل أنا التى أبدأ قبلك ، فقد رأيتك تدفع الكرة بقدمك •

قال :

— أؤكد لك أنى لم أحركها ، ولعلها تدرجت قليلا من تلقاء ذاتها ، فابتعدى من فضلك ، ودعيني أكمل دورى •

فقالت غاضبة :

— امض فى اللعب إن شئت ، ولكننا لا نعرف الغش فى أمريكا •

فقال وهو يزيح كرتها بعيدا :

— بل الأمريكيون أكثر الناس خديعة وغشا !

وفتحت جو فمها ، وازدحمت الشتائم المقذعة على لسانها ، ولكنها أمسكت عن الكلام فى الوقت المناسب ، وقد احتقن وجهها غضبا وثورة •

وبينما مضى فريد فى اللعب حتى انتهى من الشوط ، ظلت جو فى مكانها تضرب الأرض بصولجانها ، وفى يدها رجة تدل على بالغ حنقها • وأعلن فريد انتصاره فى زهو وفخار ، فابتعدت جو متظاهرة بالبحث عن كرتها ، وغابت لحظات تضرب فى المرح على غير هدى ، حتى اذا سكن جأشها ، عادت الى إخوانها هادئة • وبدأ شوط جديد ، فضاغت جو جهودها لتسترد مكانتها ، فلما حالفها الحظ ، وأوشكت أن تنتهى منتصرة ، صاح فريد يقول لأخته منفعلا :

— لم يبق لها إلا كرة واحدة ثم تنتصر ، لقد خسرنا الدور يا كات وانتهى أمرنا •

وألفت جو على الفتى نظرة جعلت دماء الخجل تتصاعد الى وجهه وقالت :



وقالت :

— ان للأمريكيين أساليب في التسامح مع خصومهم ، خصوصا  
إذا كانت الهزيمة نصيب هؤلاء الخصوم ! •

وقذف لورى قبعته في الهواء احتفالا بالنصر ، ثم عاد فتذكر أنه  
ليس من حسن الأدب أن يحتفل بهزيمة ضيوفه ، فحبس صيحات الفرح  
في فمه ، وهمس في أذن صديقه يقول :

— أحسنت في تأديبه يا جو ، فقد رأيتك يغش ، بيد أنى لم أتكلم  
تأديبا ولكنك لقتنه درسا لن ينساه ، وأعتقد أنه لن يعود الى الخديعة  
مرة أخرى •

واقتربت ميج من أختها جو وتظاهرت بأنها تعينها على اصلاح  
هندامها ، همست في أذنها قائلة :

— لقد كان سلوكه مشينا ، ولكنك احتفظت بسلوكك ، ولم تطلقى  
العنان لغضبك ، وأنا فخورة بك يا جو :

فقالت جو وهى تعض على شففتها فى غيظ وتسترق النظر الى  
غريمها فريد :

— لا تمدحينى ، فما زالت مراحل الغضب تغلى فى صدرى ، وبودى  
لو استطعت أن أعرك أذنه مؤدبة ، لست أدرى كيف كان ينتهى الموقف  
لو لم أبتعد عنه متظاهرة بالبحث عن كرتى •

قال مستر بروك وهو يتطلع الى ساعته :

— حان وقت الغداء ، فهيا يا أركان الحرب الى النار توقدها ،

( م ١٦ — نساء صغيرات )

ولا تنس أن تحضر لنا مساء • أما أنا فسأعد مائدة الطعام ، وسأطلب الى مس مارش ومس سالى أن تساعدانى فى هذا العمل ، من منكم يتقن عمل القهوة ؟

قالت ميج فخورة بأن تتركى احدى أخواتها :

— ليس من يصنع القهوة مثل جو •

وهكذا أتيح لجو أن تستفيد بدرس الطهى التى تلقتها فى المدة الأخيرة ، فقامت الى القهوة تعدها ، وتطوع معظم أفراد المعسكر لمعاونتها ، فأتاها الصغار بحطب للوقود ، وحمل لها الكبار ماء من الينبوع ، وعكفت مس كات على لوحاتها ترسم المناظر الخلابة التى تراها حولها ، وانشغل فرانك بالحديث مع بث التى جعلت تجدل من فروع الأشجار وأوراقها صحونا للطعام • وسرعان ما هيا القائد بمعونة مساعديه مائدة للطعام بديعة الترتيب ، رصت فوقها المأكولات والمشروبات وقد زينت بأوراق الأشجار الخضرة • وعندما انتهت جو من اعداد القهوة ، جلس الضيوف الى المائدة يأكلون فى حماسة وهمة ، لأن الشباب لا يعرف سوء الهضم إلا نادرا •

وكانت الوليمة مرحة عامرة بأسباب البشر والسرور ، وقد تخللتها عواصف الضحك مرات كثيرة ، حتى انزعج الحصان الذى كان يرعى الحشائش على مقربة من الجماعة • وتتوالى الأحداث الصغيرة المضحكة ، لتضاعف مرح الفتيان والفنيتان . فتسقط الحشرات فى أكواب اللبن ، ويأكل النمل الأسود الحلوى دون أن يدعى الى الوليمة ، وتنحدر بعض الديدان من أفرع الشجرة لتستطلع ما يجرى تحتها • ومن وراء السياج القريب ، وقف ثلاثة أطفال يسترقون النظر الى الآكلين فى ظل الدوحة

الباسقة ، ومن الضفة الأخرى لنهر ظل كلب عنيد يحتج في نباح ملح  
مستمر •

قال لورى مازحا ، وهو يعطى جو صحننا من الفراولة ، ويذكرها  
بما فعلته يوم وليمتها المشهورة •

— اذا كنت تفضلين الفراولة بالملح فلدينا ملء علبة منه •

قالت وهي تلتقط عنكين غرقا في القشدة المخفوقة :

— شكرا لك ! إني أفضل الفراولة بالعناكب ، ولست أرى من

اللياقة أن تذكرني بأكلتي البشعة ونحن أمام هذه الوليمة الفاخرة •

وكانت الصحن النظيفة قد نفذت ، فجعل الاثنان يأكلان الفراولة

من صحن واحد •

وبعد أن انتهى الأصحاب من تناول الطعام ، شعر لورى أن أبهج

ما في اليوم قد مضى ، فقال لجو :

— كان يوما فريدا في متعته ، والفضل لك وليج وبروك ، فلولاكم

ما نجحت النزهة كل هذا النجاح ، ولكنى أخشى ، وقد انتهينا من تناول

الطعام ، أن لا نجد ما نفعله خلال الساعات الباقية •

قالت :

— أقترح أن قوم ببعض الألعاب المسلية ، وقد أحضرت معي

لعبة المؤلفين ، ولكنى أفضل أن تستطلع رأى مس كات ، فلعلها ترشدنا

الى لعبة جديدة • اذهب اليها واسألها ، ورأى أن تبقى بجانبها بعض

الوقت ، فهي فتاة لبقة بارعة ، ومن واجبك كمضيف أن تعنى بها

وتجاملها •

قال :

— أو لست بدورك لبقة بارعة ؟ لقد تركتها لبروك ، ولكنه انصرف عنها الى ميج ، فقنعت بأن تنتظر اليهما من خلال نظاراتها المضحكة ، ولكنى سأذهب اليها على كل حال لأننى أعرف واجبى ، ولست فى حاجة الى نصائحك •

وقد أصابت جو فى حدسها ، إذ كانت مس كات تعرف ألعابا جديدة طريفة ، فلما أبى الفتيات مزيدا من الطعام ، ولم تتسع بطون الفتیان لمزيد منه ، وانتقلوا الى مكان الجلوس تحت شجرة البلوط ، ليستمعوا الى مس كات ، وهى تشرح لهم لعبة « القصة » ، قالت :

— إنها لعبة لطيفة ، واذا أحسنا القيام بها اجتمعت لنا قصة كبيرة مملوءة بالحوادث المحزنة والمواقف المضحكة • والطريقة أن يبدأ أحدنا بقصة ما ، فيروى لنا ما يعن له من حوادثها ، فاذا وصل الى موقف مثير ، سكت فجأة ، وترك لمن يجلس بجانبه أن يمضى بها من حيث انتهى ، وهكذا تستمر القصة ، كل يروى جزءا منها بطريقته الخاصة ، حتى تنتهى بانتهاء اللاعبين •

ثم التفتت الى بروك وقالت له فى لهجة أمرية ، أدهشت ميج التى كانت تكن له كل تجلة واحترام :

— هيا ابدأ يا مستر بروك •

وكان مستر بروك يرقد على الحشائش عند أقدام الفتاتين ، فلم يتحرك من مكانه ، وبدأ يروى القصة ، وقد اتجهت عيناه العسليتان أنجميلتان نحو صفحة النهر التى تلمع تحت أشعة الشمس المشرقة •

قال :

— يحكى أن فارسا فى قديم الزمان ، خرج يبحث عن الحظ والمال ، وليس معه سوى سيفه ودرعه • وتلقفته الصعاب ثمانية وعشرين عاما ، قضاها فى السفر والترحال ، ثم قادته قدماء ذات يوم الى قصر ملك طيب القلب ، يقتنى جيادا كثيرة من بينها مهر جميل عنيد استعصى عليه قياده ، فرصد مكافأة لمن ينجح فى ترويضه • وقبل الفارس أن يجرب حظه مع المهر العنيد طمعا فى المكافأة • وكان من حسن حظه أن استأنس اليه الجواد وأسلس له قياده ، فكان يمتطيه كل يوم ليدربه ، ويسير به فى طرق المدينة ، وهو يقاب النظر حوله باحثا عن وجه جميل ، طالما داعب أحلامه • وبينما كان يتروض بالمهر ذات يوم ، فى درب هادىء بعيد ، رأى الوجه الذى ينشده يطل عليه من نافذة قلعة خربة ، فاستخفه الفرح ، وراح يسأل الناس عن سكان هذه القلعة • فقالوا له : إنهن أميرات سجينات ، ضرب حولهن نطاق من السحر لا خلاص منه إلا بـفدية كبيرة ، ولذلك يقضين الأيام فى الغزل والنسج ، حتى يجتمع لهن مال الفدية المطلوبة • وكان بود الفارس أن يحرر السجينات ، ولكنه كان فقيرا ، لا يملك مالا كثيرا أو قليلا ، ففنع بمتعة النظر ، وظل يمر بالقلعة كل يوم ليمتع عينيه بمراى الوجه الجميل • وأخيرا اعتزم أن يدخل القلعة ، ليعرض خدماته على سجيناتها ، فطرق الباب الذى ما لبث أن انفتح عن •••

وسكت بروك فجأة ، فمضت كات بالقصة دون تردد ، قالت :

وما لبث الباب أن انفتح عن سيدة رائعة الجمال • عندما رآته يقف أمامها صاحت به قائلة : « ها أنت ذا جئت أخيرا ! » • قال الكونت جوستاف وهو يركع أمامها : « إنها حبيبتي » ، فمدت اليه يدا مرمرية تعينه على النهوض وقالت : « قم أيها الفارس ! » فقال : « لن أقوم

حتى ترشديني كيف أنقذكن » • قالت : « لن تستطيع إنقاذي وأسفاه !  
فقد كتب علىّ حظى العاثر أن أبقى هنا حتى يهلك الطاغية الذي  
سحرنى » قال : « وأين هذا الوغد ؟ » قالت : « فى البهو الأرجوانى ،  
فاذهب اليه يا ذا القلب الشجاع ، وأنقذنى من شروره وآثامه » • قال :  
« سألبى رغبتك يا أميرتى وأذهب اليه لأنتصر عليه أو أموت بيده » •  
واندفع الفارس متحمسا نحو البهو الأرجوانى ، فلما وصل الى بابه  
فتحه على مصراعيه ، وما كاد يخطو خطوة الى الأمام ، حتى تلقى •••  
وسكنت مس كات عن الرواية فجأة ، فقال ند :

— ضربة قاصمة من هراوة ضخمة ، قذفه بها عجوز يرتدى جلبابا  
أسود ، ولكن سرعان ما استرد صديقنا صوابه ، فهجم على الطاغية ،  
وحمله بين يديه ، وقذف به من النافذة ، ثم ارتد عائدا الى أميرته ، وقد  
تورم جبينه من أثر الضربة ، فاذا به يجد أن باب البهو الأرجوانى قد  
أقفل عليه ، وانسدت أمامه مسالك العودة ، فجدل من المستأثر سلما  
يعينه على النزول من النافذة الى الطريق • وما إن توسط المسافة نحو  
الأرض حتى انقطع السلم ، فهوى الفارس فى خندق يبلغ عمقه عشرين  
مترا ، وغاص رأسه فى مياهه الآسنة ، ولكن سرعان ما تغلب على محنته ،  
فطفا فوق سطح الماء ، وظل يسبح حول القلعة ، حتى وجد بابا صغيرا  
يحرسه جنديان سميان ، فانقض على رأسيهما وضرب الواحد منهما  
بالآخر فكسرهما الى قطع صغيرة • وضرب الباب بكفه الهرقلية ، فتحطم  
لأول ضربة ، وتناثرت شظاياها • ثم دخل الفارس الى دهليز مظلم تسعى  
على أرضه المتربة هوام طول الواحد منها مثل قبضة اليد ، وغناكب  
يرتجف لضخامتها قلب مس مارش ، وقادته قدماه الى سلم عتيق ، ولما  
صعد الى آخر درجاته طالعه منظر يجمد له الدم فى العروق : فقد  
رأى ••••

وسكت ند فجأة • فقالت ميج :

— شبحا طويلا ، تغطيه ثياب بيضاء فضفاضة ، وقد أسدل على وجهه نقابا ، وأمسك بيده مصباحا • وأشار الشبح الى الفارس ليلتبعه ، وتقدم الى الأمام كأنه يسبح في الهواء ، ومن خلفه سار الفارس في درب مظلم بارد ، تقوم على جانبيه تماثيل تلبس دروعا حديدية ، وكان السكون شاملا ، والبرد قاسيا والمصباح يبعث في الدرب نورا خافتا ، وبين حين وحين كان الشبح يلتفت الى الفارس ، فتلمع عيناه المخيفتان من وراء قناعه الأبيض • وأخيرا وصل الاثنان الى باب أسدلت فوقه الستائر ، وانبعث من ورائه أنغام موسيقية عذبة ، فتقدم الفارس نحو الباب مندفعًا ، ولكن الشبح رده الى الوراء مهددا ، ثم قدم له •••

وسكتت ميج ، فاستطردت جو تقول في لهجة حزينة :

— ثم قدم له علبة سعوط ، فشكر الفارس الشبح ، وأخذ قليلا من السعوط بين أصبعيه واستنشقه ، فعطس سبع عطسات ، انفصل لشدتها رأسه عن جسده ، واسترق الشبح النظر من ثقب الباب الى السيدة التي كانت تغزل وتتسج لتدفع فديتها ، ثم هقهه عاليا ، وأخذ جثة الفارس ، ووضعها في صندوق كبير ، مع إحدى عشرة جثة أخرى لفرسان بلا رعوس • وفجأة شرع الفرسان جميعا في ••••

وتوقفت لتلتقط أنفاسها ، ولكن فريد ظن أنها انتهت من روايتها ،

فقال متحمسا :

— شرع الفرسان جميعا في رقصة بديعة ، فاذا بالقلعة تتقلب الى سفينة حربية ، ملاء الهواء شرعها . فسارت تشق عباب البحر مسرعة • ورأى ربانها سفينة القرصان تقترب يرهرف عليها علم أسود ، فصاح

في رجاله يقول : « انشروا الشراع الأكبر ، وحولوا الدفة ، واحشوا المدافع والزموا أماكنكم ، وقاتلوا لتنتصروا أيها الأبطال » • وبدأت معركة هائلة انتشرت فيها السفينة الحربية ، وأسرت القرصان بعد أن قتلت رجاله ، وصاح القبطان يقول لمساعده : « دع هذا الوغد يكتب اعترافا بما اقترفت يدها ، وعليك بتعذيبه إن توانى عن كتابته » • ولكن القرصان أبى أن يعترف بجريسته ، ثم غافل مساعد القبطان ، وقفز الى البحر ، وغطس تحت السفينة ، وفتح في قاعها ثقباً كبيراً ، فغرقت لتوها •••••

وسكت فريد فجأة ، فصاحت سالى وقد حل دورها وهى على غير

استعداد :

— يا إلهى ، ماذا أقول ؟ ••• ماذا أقول ؟

ولكنها لم تلبث أن تغلبت على حيرتها وقالت :

— وغاصت السفينة الى قاع البحر ، فاستقبلتها حورية بحرية بكل ترحاب ، وما ان رأت الحورية الصندوق الكبير ، وما حوى من فرسان بلا رءوس ، حتى استبد بها الحزن عليهم ، وأخذتها الشفقة بهم ، ورأت أن تحتفظ بهم حتى تحين لها الفرصة فتعرف قصتهم ، فعمرت الجثث بمزيج من الماء والملح والخل • وكانت تعتزم أن تنقل الصندوق الى سطح الماء ، لتعيد الحياة الى الفرسان المساكين ، ولكنها عجزت عن حمله وحدها . فتركته في قاع البحر حتى تجد من يعينها على نقله • وحدث ذات يوم أن غاص أحد الصيادين الى القاع يبحث عن اللؤلؤ ، فقالت له الحورية : « هذا الصندوق مملوء باللؤلؤ ، فهو لك إن استطعت أن تحمله الى الشاطئ » • وفرح الصياد بالصندوق فرحاً شديداً ، وحمله الى الشاطئ بعد عناء شديد ، ولكن صدمته كانت بالغة عندما وجد فيه



جثنا بدل اللآلىء ، وترك الصياد الصندوق في حقل فسيح ، حيث  
عثرت عليه .....

وسكتت سالى ، فقالت آمى :

— حيث عثرت عليه فتاة ترعى مائة إوزة ، فلما رأت الفتاة  
الفرسان ، حزنت عليهم كل الحزن ، وسألت عجوزا حكيمة كيف تتقدم  
مما أصابهم ، فأجابت العجوز : « سالى الأوز يخبرك بما تريدان » .  
وسألت الفتاة الأوز عما يصلح رعوسا للفرسان بدل رعوسهم الطائحة ،  
ففتحت الأوزات مناقيرها وصاحت .....  
.....

وسكتت آمى ، فقال لورى .....  
.....

— عليك بالكرب ! فقالت الفتاة : « صدقت يا أوزاتى » ، ثم  
هرعت الى حديقتها تجمع خير كرنباتها ، ووضعت واحدة منها مكان كل  
رأس من رعوس الفرسان . فاذا بهم يبعثون الى الحياة مرة أخرى ،  
وبعد أن شكروا الفتاة على حسن صنيعها ، مضوا الى حال سييلهم ،  
وهم لا يدركون الفارق بين رعوسهم الأولى ورعوس الكرب ، شأنهم في  
ذلك شأن كثيرين من ذوى العقول الفارغة . أما فارسنا فقد عاد يبحث  
عن حبيبته ، فعلم أن الأميرات الأسيرات اشترين حريتهن وتزوجن  
جميعا إلا واحدة منهن . وقلق الفارس لما سمع ، وأراد أن يعرف  
حقيقة ما حدث ، فامتنطى سهوة جواده الذى لازمه في سرائه وضرائه ،  
واندفع يجرى به نحو القلعة ، حتى وصل الى أسوارها العالية .  
وأطل من فوق الأسوار ، فرأى حبيبته تقطف الأزهار في حديقتها ، فقال  
لها : « أعطينى وردة ! » قالت له بصوت حنون : « تعال وخذها ،  
فليس من اللائق أن أذهب اليك » . وقام الى السور يتسلقه ، ولكن

السور بدأ يزيد ارتفاعا ، فحاول أن يدفعه ، فازداد ضخامة وسمكا ، وأخيرا استطاع صاحبنا أن يخفر فجوة صغيرة فيه ، أطل منها برأسه ، وقال يتضرع لحبييته : « دعيني أدخل ... دعيني أدخل » • ويبدو أن الأميرة لم تسمع رجاءه ، فقد جمعت أزهارها ، وانصرفت عنه بهدوء الى قلعتها ...

وأشار لورى الى فرانك وقال :

— أما ما حدث بعد ذلك ، فهذا ما سيقصه علينا صديقنا فرانك •

قال فرانك وقد شعر بعظم مسؤوليته في إنقاذ بطلى القصة من مأزقهما العاطفى :

— لا ... لا يمكنى ... لست مشتركا معكم في هذه اللعبة •

وكانت جريس قد استغرقت في النوم ، وتوارت بث خلف جو ، فلم يبق من يسير بالقصة الى نهايتها •

قال بروك ، وما زال يتأمل صفحة النهر القريب ، ويداعب بأصابعه زهرة برية مثبتة في عروة سترته :

— وهل يصح أن نترك الفارس المسكين محشورا في السياج ؟

فابتسم لورى ، وقذف رائده ببعض الحشائش مداعبا ، ثم قال :

— أغلب الظن أن الأميرة أعطته باقة من أزهار حديقتها ، وفتحت له باب القلعة على مصراعيه •

وضحك الأصدقاء لسخافة القصة التى ألقوها من وحى ساعتهم ،

وقالت سالى :

— إننا في حاجة الى بعض المراتة ، واذا مارسنا هذه اللعبة مرات ،  
فلن يصعب علينا أن نؤلف قصصا بارعة •

والتفت الى ميج تسألها :

أتعرفين « الصدق » ؟

أجابت ميج وقد أخذت الكلمة بمعناها الحرفى :

— أرجو ذلك •

قالت سالى مستدركة :

— إنى أقصد لعبة « الصدق » •

قال فرانك :

— وكيف نلعبها ؟

قالت :

— نكتب أرقاما على قصاصات صغيرة ، ونخلطها فى إناء أو قبة ،  
ثم نختار رقما معيناً من الأرقام المكتوبة على القصاصات ، وبعد ذلك  
يسحب كل منا قصاصة ، فمن يكون نصيبه الرقم المحدد ، وجب عليه  
أن يجيب صادقا عن أسئلتنا مهما كانت •

قالت جو وكانت مغرمة بكل جديد :

— فلنجرّب هذه اللعبة !

ولكن لعبة « الصدق » لم تلق هوى فى قلوب أفراد الجماعة كلهم ،  
فقد اعتذر عن عدم الاشتراك فيها كيت وبروك وميج وند ، وبذلك

اقتصرت اللعبة على فريد وسالى وجو ولورى ، فكتبوا القصصات ،  
واقترعوا عليها ، وكان الرقم المختار من نصيب لورى •

وبدأت جو تسأله فقالت :

— من أعظم الناس فى رأيك ؟

أجاب لورى :

— جدى ونابليون •

وسألته سالى :

— من تراها أجمل آنسات اليوم ؟

قال :

— مارجرىت •

سأله فريد :

— وأيهن أحب اليك ؟

قال :

— جو بالطبع •

وقد أجاب عن السؤال الأخير فى جد وصراحة ، فضحك الجالسون  
ملى أشداقهم ، وقالت جو وهى تهز كتفيها بغير اكتراث :

— يا للأستلة السخيفة !!

قال فريد متحمسا :

— إنها لعبة مسلية ، فدعونا نجربها مرة أخرى •

قالت جو بصوت خفيض ، وقد تذكرت غشه في لعبة الكريكت :  
— والله إنها لعبة تفيدك ، فقد تتعلم منها الصدق •

وحل دورها في الاجابة عن الأسئلة ، فقال لها فريد ، وغرضه أن  
يمتحن فيها فضيلة الصدق التي تنقصه :

— ما أعظم « أخطائك » •

قالت :

— حدة الطبع •

سألها لورى :

— ما الذى تتمنين الحصول عليه ؟

قالت ، وقد أدركت رغبته فى استدراجها :

— رباط للحمراء !

قال :

— ليس هذا جوابا صادقا ، فصارحيننا بأكثر ما تودين أن  
تحصلى عليه •

وتبدى الضيق فى وجهه ، فابتسمت له بمكر وقالت :

— أليست هذه وسيلة ماهرة تعزف بها ما أريد فتهديه الىّ ؟

سألتها سالى :

— ما أحب فضائل الرجال اليك ؟

قالت :

— الشجاعة والأمانة •

واقترحوا مرة ثالثة ، فرفع فريد قصاصة في يده وقال :

— جاء دورى •

همس لورى في أذن جو يقول :

— غلنؤدبه على ما فعل •

فأومأت برأسها موافقة ، وسألت فريد :

— هل عمدت الى العثس في لعبة الكريكيت ؟

أجاب :

— قليلا ! •

سأله لورى :

— ألم تقتبس الجزء الذى رويته في لعبة القصة من كتاب « أسد

البحر ار » ؟

قال :

— بلى !

سألته سالى :

— ألا تعتقد أن الانجليز المثل الأعلى في الكمال ؟

أجاب :

— عار علىّ اذا لم أكن أعتقد ذلك •

وأومات جو برأسها لفريد في رضا عن صراحتة وصدقه ، وقال له  
لسورى :

— أنت انجليزى قح •

ثم التفت الى سالى وقال :

— لم يبق إلاك ، فلنسألك ، ولا داعى للاقتراع • سأبدأ بهذا  
السؤال المحرج : ألا توافقيننى على أنك تميلين الى المغازلة ؟

قالت :

— طبعا لا ••••• أيها الفتى الوقح •

وسألها فريد :

— ما أبغض الأثيياء اليك ؟

قالت :

— العناكب وعصييدة الأرز •

سألها جو :

— وما أحب الأثيياء اليك ؟

قالت :

— الرقص والقفزات الفرنسية •

تت جو الى الجالسين وقالت :

— هذه لعبة مملة ، فلنجدد نشاطنا بلعبة « المؤلفين » •

وأيدها في ذلك ند وفرانك والفتيات الصغيرات ، أما مس كات

فقد عادت الى لوحتها ترسم فيها ، وجلست مارجریت بجوارها ترقب عملها ، في حين استلقى مستر بروك على الحشائش ، وأمامه كتاب مفتوح لا يقرأ فيه . وانشغل الثلاثة في حديث طويل .

قالت ميچ في خليط من الإعجاب والأسف :

- هذا رسم جميل ، فليقتى أستطيع أن أرسم مثله .

قالت مسكات في عظمة :

- ولم لا تتعلمين الرسم ؟ إن لديك الذوق والموهبة .

قالت ميچ :

- ولكن ليس لدى الوقت .

قالت :

- لا بد أن والدتك ، كوالدتي ، تفضل ألوانا أخرى من الثقافة ، ولكني تلقيت بضعة دروس خاصة ، فلما رأيت نتيجتها ، آمنت بموهبتي ، وتركتني أنتعلم الرسم . أليس في مقدورك أن تفعل ما فعلت فتمرني يدك على الرسم مع مربيتك ؟

قالت ميچ :

- ليس لي مربية .

قالت مسكات :

- نسيت أن الفتيات في أمريكا يتعلمن في المدارس ، لا في البيت كما هو شأننا في إنجلترا ، وقد أكد لي والدي أن مدارسكم راقية جدا . فالى أية مدرسة خاصة تذهبين ؟



قالت ميج :

— إنى لا أذهب الى مدارس ، لأنى أعمل مربية •

قالت مس كات :

— كذا؟! !

وكان فى صوتها رنة اشمنزاز ، فاستبد الخجل بميج ، وندمت على

• صراحتها •

— ورفع مستر بروك رأسه بسرعة وقال :

— إن الفتيات فى أمريكا يؤمن بالحرية والاستقلال ، ومن دواعى

فخرنا أنهن يعملن ليعلمن أنفسهن •

قالت مس كات فى إشفاق ألم ميج ، وزادها احتقارا لمهنتها :

— طبعا ، وليس فى ذلك حرج ، فلدينا أيضا فى انجلترا ، فتيات

من أسر كريمة يشتغلن فى بيوت النبلاء مربيات ، ويؤدين عملهن فى براعة

• وإنتان ، بحكم نشأتهم الطيبة مهذبات مثقفات •

قال مستر بروك يغير الموضوع :

— هل أعجبتك الأغنية الألمانية يا آنسة مارش ؟

أجابت ميج وقد أشرق وجهها مرة ثانية :

— أعجبتنى جدا ، وأنا شاكرة لمن قام بترجمتها •

سألتها مس كات فى دهشة :

— ألا تعرفين اللغة الألمانية ؟

أجابت ميچ :

— أعرفها قليلا ، وكان أبى يدرسها لى ، ولكن منذ أن سافر إلى  
ميدان القتال وأنا لا أجد من يصحح أخطائى ، ولذلك أتقدم فيها  
ببطء شديد •

وحمل مستر بروك كتابه ، ووضعـه فى حجرها ، ثم قال بابتسامة  
مشجعة :

— هاك كتابا ألمانيا ، فجربى أن تقرئى فيه ، وستجدين فى  
مدرسا ومرشدا •

وخجلت ميچ أن تقرأ فى الكتاب على مسمع من الانجليزية المثقفة ،  
فقالت :

— إنها مهمة شاقة ، وأخاف أن أجرب •

قالت مس كات :

— سأقرأ مقطوعة لأشجعك •

وأخذت الكتاب ، وجعلت تقرأ صفحة فيه ، وكانت قراءتها صحيحة  
ونطقها سليما ، ولكن صوتها كان رتيبا مملا لا روح فيه ولا حياة ،  
فانتوت الصفحة ، وكان لا معنى لها •

وأعادت الكتاب الى مستر بروك ، فأخذه صامتا ، ولم يشأ أن  
يعلق على قراءتها بكلمة • قالت ميچ :

— ظننته شعرا !

قال بروك في ابتسامه غامضة .

— إن بعضه شعر ، فحاولنى أن تقرئى هذه المقطوعة .

وكانت مقطوعة حزينة ، تصف آلام امرأة ، غبدأت ميج تقرؤها  
في صوت موسيقى ، أكسب الكلمات الكبيرة الصعبة رنينا حلوا شجيا .  
ونم تلبث الفتاة أن اندمجت في قراءتها . فنسيت الجالسين معها ، وجعلت  
تقرأ لنفسها في رنة حزينة أضفت على المقطوعة ظلا واقعيا مؤثرا .

وظلت تقرأ ، ومستر بروك يرنو اليها ، وفي عينيه العسلتين إعجاب  
بالغ ، لم تره لحسن الحظ ، وإلا كانت توقفت عن القراءة لفورها .

وتوقفت عند آخر المقطوعة ، فقال مستر بروك متجاهلا أخطاءها  
الكثيرة :

— عظيم جدا .

قالت مس كات في تواضع ، وهي تلقي نظرة أخيرة على رسمها :  
— إن لك لهجة حلوة ، وستكونين قارئة ممتازة في يوم من الأيام ،  
ونصيحتى أن تمضى في دراسة الألمانية ، فانها ثقافة لازمة للمربيات .  
والآن سأذهب للبحث عن جريس .

وابتعدت عنهما ، وهي تقول في نفسها :

— هل أنيت اليوم لأجالس مربية ، وأحميها من صحبة الرجال ؟  
إن الأمريكيين غريبو الأطوار ، وأخشى أن تفسد أساليبهم أخلاق لورى  
وشخصيته .

ونظرت ميج خلف الأستقرابية المتعجربة ، وقالت بضيق :

— ليتنى ما أخبرتها بمهنتى ، فالانجليز لا يحترمون المربيات ، مثلما  
نحترمهن في أمريكا .

قال بروك :

— ولا يحترمون المربين أيضا •

وكان في صوته أجلى معانى الرضا بحاله ، حتى خجلت ميغ لثورتها  
على عملها • قالت :

— من حسن الحظ أننا نعيش في أمريكا ، حيث يقدر الناس  
مهنتنا • حقيقة أنني لا أميل الى عملى ، ولكنى أجد فيه ترضية كافية •  
لست أتذمر وإن كنت أتمنى أن أحب التدريس مثلما تحبه •

قال بروك وهو يلهو بحشائش الأرض :

— ما كنت تكرهين التدريس ، لو كان لورى تلميذك ، ويؤسفننى  
أننى سأفقدته فى العام القادم •

قالت ميغ :

— عندما يلتحق بالجامعة ؟

قال :

— نعم ، لقد حان الوقت ، وعن قريب يتم اعداده للجامعة ،  
وسألتحق بالجندية عندما يذهب •

قالت ميغ :

— يسرنى أن أسمع ذلك ، فمن واجب الشباب أن يذهبوا الى  
القتال ، وإن شق فراقهم على الأمهات والأخوات •

وكان مستر بروك قد حفر الأرض حفرة صغيرة ، فأودعها زهرته  
الذابلة ، وغطاها بالتراب ، كما لو كانت قبراً صغيراً ، وقال بمرارة :

- ليس لى أم تبكىنى . ولا أخوات يحزنن لفراقى ، ولن يهتم  
بأمرى غير أصدقاء قليلين .

قالت ميح بحرارة :

- أمرك يهم لورى وجده ، وكلنا نتمنى أن لا يصيبك سوء .

وعاد وجه مستر بروك الى اشراقه ، وقال :

- شكرا على هذه التحية الطيبة .

ولكن قبل أن ينتهى من كلامه أقبل ند يمتطى سهوة جواد عجوز ،  
ليعرض على أنظار الفتيات فروسيته ، فانقضت بقدمه الخلوة الهادئة ،  
وأحاط الضجيج بالجالسين .

سألت جريس أمى ، بعد سباق حول المعسكر :

- أتحبين ركوب الخيل ؟

أجابت أمى ضاحكة :

- بل أعبده ، وكانت أختى ميح تركب الخيل أيام عزنا القديم ،  
ولكننا لا نمك اليوم جيادا سوى « آلان ترى » .

سألته جريس باهتمام :

- وما « آلان ترى » ، أهو حمار ؟

قالت :

- لا ، وكل ما فى الأمر أننى وجو نفرم بركوب الخيل ، ولما  
كنا لا نمك غير سرج قديم ، فقد اعتدنا أن نحملة الى الحديقة . ونض-

على غصن منخفض من شجرة التفاح ، وثبتت عنانه في جذعها ثم  
نمطيه كلما هزنا الشوق الى الركوب •

قالت جريس ضاحكة :

- فكرة مسلية ! أما أنا فعندى مهر في البيت ، وقد اعتدت أن  
أخرج به مع فريد وكأت كل صباح تقريبا ، فنذهب الى البستان حيث  
نتقابل مع أصدقائنا • ان « ميدان الرماحة » لا يخلو أبدا من السيدات  
والسادة •

قالت أمى التى لم تكن تعرف ما هو « ميدان الرماحة » ، ولم يكن  
يرضى لها غرورها أن تسأل عنه :

- مدهش ! • كان بودى أن أسافر الى الخارج يوما من الأيام ،  
وأكنى أفضل أن يكون سفرى الى روما ، لا الى ميدان الرماحة •

وكان فرانك يجلس خلفهم ، فلما ترامى الى سمعه بعض حديث  
البنات ، ورأى الفتیان يلهون ويلعبون ، دفع عنه عكازه في ضيق واضح •  
وكانت بث تجمع القصاصات الصغيرة المتخلفة عن اللعب ، فلما شعرت  
بضيق الفتى رفعت اليه وجهها وقالت بأسلوبها الخجل الحنون :

- انى أراك تعباً ، فهل من خدمة أؤديها لك ؟

أجاب فرانك ، الذى اعتاد دائما أن يكون محور عناية أهله :

- أرجو أن تتحدثى الى تيليا ، فقد كاد السأم يقتلنى •

وكانت ميممة عسيرة جدا على بث ، ولم يكن أمامها مكان تلوذ به  
عربا من الكارم ، ونم نكن جسو بجانبها حتى تختفى وراء ظهرها •

فضلا عن أن الفتى كان ينظر إليها وفي عينيه رجاء واستعطاف : لذلك استجمعت شجاعتها ، وقررت أن تستجيب لرغبتها • قالت وقد غلبها الارتباك ، حتى سقطت معظم القصاصات من بين يديها :

- أى موضوع تفضل أن نتكلم فيه ؟

ولم يكن فرانك قد أفلح في إخضاع مزاجه لظروفه الجثمانية ، فقال :

- حدثيني عن الكريكات والتجديف والصيد •

وجزعت بث ، لأنها كانت تجهل كل ما يتصل بهذه الرياضات ، فقالت وقد تماكها الغيظ حتى أنساها محنة الفتى وآلامه :

- لم أشتريك في صيد قط ، ولم أر أحدا يصيد ، وأغلب ظنى أنك ملئم بشئون هذه الرياضة •

قال فرانك ، وقد ندت عنه تنهدة حزينة ، جعلتها تندم على ملاحظتها البريئة :

- لقد خرجت الى الصيد مرة ، ولكنى لن أستطيع ذلك مرة أخرى ، فقد ألقانى الجواد عن ظهره ، وهو يقفز من فوق حاجز مرتفع ، فسقطت على الأرض ، وأوذيت في ظهري كما ترين • وبذلك انتهى عهدي بالجياد والكلاب •

قالت تدير دفة الحديث الى وصف البرارى التى قرأت عنها في كتاب اقترضته مرة من أختها جو :

- يقال ان غزلانكم أجمل كثيرا من جاموسنا القبيح •

وأتى الحديث عن الجاموس بأثره المطلوب ، فاشترك معها فرانك في محادثة مرحة طويلة شغلتهما عن الالتفات الى أختها ، التي راحت تتطلع اليها ولا تكاد تصدق أن بث تغلبت على حيائها ، ورضيت أن تتبادل الحديث مع واحد من الصبيين الفظيعين على حد تعبيرها .

قالت جو فضورة بأختها :

— يا لقلبها الطيب ! لقد أخذتها الشفقة به ، فجلست اليه تونس وحدته .

أجابت ميج تؤكد قول أختها :

— ألم أقل لك دائما انها قديسة صغيرة ؟

وكانت جريس مشغولة مع أمي في حديثي  
فلما سمعت أخواها الكسيح يقهقه ،  
أقول :

— أم أسمع فرانك بـ

أجابت آه



وجاشت عواطف ند ، فجعل يترنم بأغنية حزينة مطلعها :  
« وحدى • • وحدى • • مع الآلام وحدى »  
واتجهت عيناه الى ميچ ، وعندما وصل الى مقطوعة تقول :  
« كلانا شباب ، ولكلينا قلب خفاق  
فلماذا نقف في جفاء وابتعاد • • • ؟ »

كانت ترتسم في نظرتة معانى الحزن والأسى ، فلم تملك ميچ زمام  
نفسها وانفجرت في وجهه ضاحكة ، وبذلك أفسدت عليه أغنيته الطافحة  
بالعاطفة • قال يهمس في أذنها :

— لماذا تقسين علىّ هكذا ؟ لقد تركتني طول اليوم الى صحبة هذه  
الانجليزية المتعجرفة ، والآن تسخرين منى وتهزئين بى •

وكانت ميچ لا تزال تذكر وليمة آل موفات ، والأحاديث التي  
سمعتها في نهايتها ، ولذلك اختارت أن تبعد عنه طوال اليوم ، وأن  
تتجاهل صحبته على قدر الامكان ، فلما سمعته يهمس في أذنها معاتبا ،  
قالت وهى تتظاهر بأنها لم تفهم قصده :

— يؤسفنى أن أسأت اليك ، ولكن منظرِكَ كان مضحكا للغاية ،  
فلم أتمالك نفسى •

وتألّم ند لقولها كل الألّم ، فالتفت الى سالى يطلب العزاء ، وقال  
لها في غيظ :

— هذه الفتاة غير قابلة للغزل •

أجابت سالى مدافعة عن صديقتها :

— صدقت ، ولكنها فتاة لطيفة للغاية !

قال مستظرفا :

— لا يوجد من هو أظرف منك !

وعادت الجماعة الى حديقة آل لورنس ، وكما تجمعت فيها أول  
اليوم ، كذلك تفرقت منها في آخره ، وسارت الأخوات الأربع ، عائدات  
الى البيت عبر الحديقة • فلما ابتعدن قليلا ، التفتت كات تنظر اليهن ،  
وقالت في عجرفة وقسوة :

— ان الفتيات الأمريكيات لطيفات المعشر رغم أساليهن العجيبة •

أجاب مستر بروك :

— وأنا معك في هذا الرأي •

## الفصل الثالث عشر

### تصوير في الهواء

في مساء يوم من أيام شهر سبتمبر ، جلس لورى في أرجوحته يهزها يمينا وشمالا ، وهو يتساءل عما يشغل جاراته في البيت الآخر . . . . وكان بوده أن يذهب اليهن ليستطع الخبر ، ولكنه كان يشعر بضيق شديد ، بعد أن مضى به اليوم دون فائدة أو لذة ، حتى تمنى لو كان في استطاعته أن يعيشه من جديد ، ليختار له منها أفضل .

وكانت حرارة اليوم قد أورثته كسلا وقلقا ، فتمرد على دروسه ، وعاكس رائده حتى استنفذ صبره ، ضايق جده بعزف الموسيقى طوال المساء ، وأفزع الخدم إذ أوهمهم بأن كلبه مريض ، وحتى خادم الحظيرة المسكين ، لم يسلم من شر لسانه ، فقد اتهمه لورى ظلما بأنه أهمل العناية بأمر جواده .

وعندما نال كفايته من مضايقة الناس وازعاجهم ، خرج الى أرجوحته في الحديقة فاستلقى عليها يفكر في سخافة أحوال العالم أجمع ، ثم لم يلبث جمال الطبيعة أن رد اليه هدوء نفسه المفقود ، فانطلق مع أحلامه الى آفاق بعيدة ، وتخيل أنه يركب البحر في رحلة ممتعة حول العالم ، وندجات انبعثت من الحديقة المجاورة أصوات عالية ، رأى على أثرها بنات مارش يخرجن من البيت في نشاط كأنهن أفراد رحلة كثافية .

ودهش لورى إذ رأى الأخوات الأربع يرتدين قبعات واسعة ،

ويحملن أكياسا بنية اللون ، ويمسكن بعضى غليظة ، وكانت ميج تحمل وسادة ، وجو تيز كتابا في يدها ، وبث.تجر خلفها مجرفة ، أما آمی فكانت تسير بخيلاء وتحت إبطها حافظة أوراق كبيرة •

قال لورى لنفسه مغيظا :

— يا للخيانة ! انها نزهة يخرجن اليها من غيرى ، ولا أستبعد أن يكون القارب مقصدهن ، ولكن مفتاحه معى ، فالأفضل أن أحمله اليهن •

ومع أن لورى كان يملك نصف دسته من القبعات ، إلا أنه تعب فى البحث حتى عثر على واحدة ، ثم جاء دور المفتاح ، فجعل يفتش عنه فى كل مكان من البيت ، ثم وجده أخيرا فى جيبه ، وهكذا ضاع الوقت هباء • فلما خرج يبحث عن صديقاته ، كن قد اختفن عن الأنظار •

ولم يشأ أن يضيع مزيدا من الوقت ، لذلك اتجه الى مرتبط القارب من أقرب طويق يعرفه ، ووقف بجواره ينتظرهن ، ولكن الوقت مضى ولم يظهر للفتيات أثر • وأدرك أنهن قد ذهبن الى مكان آخر ، فأسرع يصعد التل ، عسى أن يهندى الى مكانهن من عل • وتلافت حوله مستكسفا فرأى على مقربة منه ، حرجا من أشجار الصنوبر تناهت اليه منه أصوات خافتة ليست من فعل اهتراز الغصون أو تغريد الطير • قال :

— يا للمنظر الجميل !

وكان المنظر بالفعل جميلا ، فقد كان الأخوات الأربع يجلسن معا

في ركن ظليل بين أحضان الصنوبر ، والشمس تلمع من حولهن ، والنسيم العليل يداعب خصلات شعورهن ، أما الحطابون ، فكانوا في شغل عنهن بعملهم ، وكان لا غريب يجلس بينهم . وكانت ميج تجلس على الوسادة ، وهي تطرز بيديها البيضاوين ، وفي جبينها اشراق ونضرة . وكانت بث تنسق كيزان ثمار الصنوبر التي جمعتها من تحت الأشجار ، وتنظمها في أشكال جميلة . وكانت آمي ترسم مجموعة من نباتات السرخس ، راق لها أن تجعل منها موضوع لوحتها الجديدة . أما جو فكانت تطرز بيديها ، وفي الوقت ذاته تقرأ في كتابها بصوت مرتفع .

وغشت وجه لوري سحابة من الوجوم ، فقد كانت كرامته تهيب به أن ينصرف عن البنات ما دمن قد قصرن في دعوته الى الخروج معهن . ولكنه كان يكره أن يترك صحبتهن المرححة الى وحدة البيت وكأبته . واستبدت به الحيرة ، فوقف في مكانه بلا حراك ، حتى ان سنجابا كان يرعى على مقربة منه فوجيء بمראה ، فصرخ منزعجا ، وأسرع بالهرب من هذا الغريب الذي يأبى أن يعلن عن وجوده بكلمة أو حركة . وحمل الهواء صرخة السنجاب الى الجالسات بدين أشجار الصنوبر ، فرفعت بث رأسها ، وعندئذ رأت لوري ، فأشارت اليه تستقدمه .

قال وهو يقترب منهن مترددا :

— أتسمحن لي بالجلوس معكن ؟ أم ترين أن صحبتي ترعجكن ؟

وهمت ميج بالاعتراض ، ولكن جو سبقتها الى الكلام قائلة :

— تفضل بالجلوس معنا على الرحب والسعة ، لقد كنا نريد أن

تدعوك الى الخروج معنا ، ولكننا خشينا أن تيرم بألعاب الفتيات  
ووسائلهن في التسلية •

قال :

— انى أحب العابكن وتسلياتكن ، ولكن اذا كان ليح اعتراض على  
وجودى ، فلن يسوءنى أن أنصرف •

قالت ميح في وقار وجد :

— لا مانع من بقائك ما دمت تقوم بعمل من الأعمال ، فان  
الكسل مخالف لدستورنا ، وقد اتفقنا أن نخلف الكسل في هذه  
النزهة •

قال لورى وفي وجهه علائم الخضوع والاذعان :

— أشكرك اذ سمحت لى بالانضمام اليكن ، فالبيت ممل كئيب ،  
لا تساية فيه ولا متعة ، أما من حيث العمل ، فأنا على تمام  
الاستعداد ••• ماذا تريدن منى أن أعمل ؟ أأطرز ، أم  
أقرأ ، أم أرسم ، أم أقوم بكل هذا فى وقت واحد ؟ لن  
أتأخر عن شىء ••• فمرى ••• أطلع •••

قالت جو ، وهى تناوله كتابها :

— اقرأ لنا ، ريثما أعيد تنظيم حذائى •

وأراد لورى أن يظهر شكره لسماحين له بالانضمام اليهن فقال فى

أدب :

— سمعا وطاعة ...

ولم تكن القصة التي طلب اليه أن يقرأها طويلة ، فلما انتهى منها ، كان حب الاستطلاع قد استبد به ، وتاق أن يفهم المقصود من هذه النزهة التي قالت ميچ ان الكسل مخالف لقوانينها • قال في لهجة رسمية :

— أرجو أن تبمحن لى يا حضرات الأنسات أن أسألكن اذا كان هذا الاجتماع العامر بالثقافة والفائدة ، فكرة جديدة اهتديتن اليها ؟

ونظرت ميچ لأخواتها مستفسرة ، وقالت :

— أنخبره ؟

قالت آمى محذرة :

— سيضحك منا اذا عرف •

قالت جو :

— وهل يضيرنا أن يضحك ؟

قالت بث :

— أنا واثقة أن الفكرة ستعجبه !

قال لورى :

— ستعجبني حتما . وأعدكن بشرفى أن لا أضحك ، فأخبريني بها

يا جـو ، ولا تخافى •

قالت جو :

— وهل يعتل أن أخاف منك ؟ القصة وما فيها أننا كنا طوال العام نلعب في البيت لعبة الحجاج •

قال لورى :

— أعرف ذلك •

فسألته جو :

— وكيف عرفت ؟

قال :

— همست العصفورة في أذنى •

قالت بث في خجل :

— بل أنا التى أخبرته بلعبة الحجاج وكان ذلك عندما جاء لزيارتنا ذات مساء ، ولم يكن بالبيت غيرى ، فأردت أن أسرى عنه بما نفعل فى أوقات فراغنا ، وقد راقته اللعبة ، فلا تؤنّبيني يا جو •

قالت جو لأختها :

— ألا يمكنك أن تحفظى سرا واحدا ؟ ولكن لا بأس ، فقد جنبتنا مشقة شرح اللعبة له !

وعادت جو الى تطريزها ، وفى وجهها علائم الضيق ، فقال

لورى لها :

— ألا تحدثيننى بما جاء بكن اليوم هنا ؟



قالت :

— كنا قد اتفقنا في بداية العطلة أن نستفيد بأوقاتنا ، وأن لا ندع الأيام تمر بنا هباء . وبالفعل قامت كل منا بعمل مفيد ، وحرصت على أدائه بعزيمة واتقان . وها قد أوشكت العطلة أن تنتهي ، ومعها أوشكت أعمالها أن تنتهي أيضا ، ولم تذهب ضحية للكسل كما كان الحال في الأعوام الماضية .

قال لورى وقد تذكر الأيام المتعاقبة التي يقضيها في كسل متصل :  
— والله انها فكرة طيبة .

قالت جو :

— ان أمى تفضل أن نقضى معظم أوقاتنا في الهواء الطلق ، ولذلك اعتدنا أن نأتى الى هذا المكان كل يوم ، وعلى سبيل التفریح عن أنفسنا ، ترانا نرتدى هذه الثياب العتيقة ، ونحمل أشغالنا في أكياس كبيرة ، أما العصى فتعيننا على صعود التل . لقد حورنا في لعبة الحجاج بعض التحوير ، واستعضنا بالتل عن سلم البيت ، وقد أطلقنا عليه اسم « تل الأثاقة » ، لأننا اذا وقفنا على قمته ، تكشف لنا أطراف الريف الذي نتمنى أن نعيش فيه يوما ما .

وأشارت جو بيدها الى الناحية الأخرى ، فنهض لورى ينظر حيث أشارت ، فرأى من بين سيقان أشجار السنوبر ، مياه النهر الزرقاء ، ومن خلفها حقول واسعة مترامية الاطراف ، تحتضنها جبال شامخة ، تكاد رؤوسها تتأطح السحاب ، وكانت الشمس في غروب ، وأشعتها الحمر تضي على الكائنات جمالا وروعة ، وعند قمم الجبال تتجمع السحب في فيض من الأضواء الذهبية والحمر .

( م ١٨ — نساء صغيرات )

وكان لورى فتى مرهف الحس . يستجيب للجمال بقلبه واحساساته  
فقال برقّة :

— يا للجمال الرائع !

قالت أمى :

— انه دائما هكذا ، ونحن نحب أن نرقب الكون من هذه البقعة  
العالية ، والعجيب فيها أن المنظر يتغير ويتبدل كل يوم ، ولكنه دائما جميل  
أخاذا •

قالت بث بهدوئها المعهود :

— ان جو تتحدث عن الريف ، حيث تتمنى أن تعيش في يوم من  
الأيام • وهى تقصد الريف الحقيقى بخنازيره ودجاجه وكومات تبنيه •  
انها فكرة رائعة ، فيا ليت الريف الذى نحلّم به كان حقيقة واقعة •  
ويا ليتنا نستطيع أن نذهب اليه •

قالت ميج بصوتها الحنون :

— فى هذه السماء العالية مدينة خالدة ، ريفها يفوق جماله كل  
جمال ، وسنذهب اليها فى يوم من الأيام ، اذا أحسنا فى دنيانا وعشنا  
طيبات •

قالت بث :

— ولكن هذا اليوم يبدو بعيدا ، والكفاح من أجله عسير ، وبودى  
أن أطير الى الخلد حالا ، وأدخل من بابهِ الجميل •

قالت جو :

— صبرا يا بث ، فلا شك فى أنك ستذهبن اليه قريبا أو بعيدا ،

أما أنا فعلىّ أن أكافح وأعمل وأجاهد وأجدد ، وربما بعد هذا كله  
لا يكون لى نصيب فيه •

قال لها لورى :

— وسأكون فى رفقتك ، اذا كنت ترين فى رفقتى عزاء ، فان علىّ  
أن أكافح كثيرا قبل أن أصل الى مدينتكن الخالدة •

والتفت الى بث وقال :

— اذا سبقتنى الى المدينة الخالدة ، يا بث ، فلا تنسى أن تذكرينى  
هناك بكلمة طيبة •

وكان فى عينى الفتى تعبير عجيب أقلق بث الصغيرة الوديمة ، ولكنها  
أجابت فى هدوء ، وعيناها عالقتان بالسحب العالية :

— اذا كان الانسان فى شوق الى دخول الجنة ، واذا كان قد  
قضى حياته يجاهد من أجل ذلك ، فلا بد له من أن يدخلها • لست أصدق  
أن للجنة أبوابا وأقفالا وحراسا ، بل انى أتصورها أرضا خضراء فيها  
ملائكة مضيئة تمد أيديها مرحبة بالقادمين •

قالت جو بعد فترة صمت :

— لو تحققت القصور التى نبنيها فى الهواء ، وأمكنا أن نعيش  
فيها !

قال لورى ، وهو يرمى السنباب الذى كُشف عن وجوده بثمرة من  
ثمار الصنوبر :

— لقد بنيت آلاف القصور فى الهواء ، وسيصعب علىّ اذا تحققت  
أن أختار لسكنائى واحدا منها •

قالت ميج :

— اختر أقربها الى قلبك ، فما هي أعظم أمنية لك في الحياة ؟

قال لورى :

— وهل اذا أجبتك صادقا ، تجيبينى بأعظم أمنية لك ؟

قالت :

— نعم ، بشرط أن يعترف البنات بأمنياتهن أيضا !

قالت جو وبث و أمى :

— سنعترف ، ولنبدأ بلورى •

قال لورى :

— لقد طفت ببلاد كثيرة ، ورأيت العالم كما أشتهى ، وقد تركزت

أمالى فى أن أعيش فى ألمانيا ، حيث أستطيع أن أتعلم الموسيقى ،

لأصبح موسيقيا شهيرا ، يفد الناس لسماع عزفه من كل بقاع الدنيا •

لن يهمنى المال أو الأعمال ، فكل ما أريده أن أمتع نفسى بما تشتهي ،

وأن أعيش من أجل الفن الذى أعبده ••• هذه أعظم أمنية لى فى

الحياة فماذا عنك أنت يا ميج ؟

وترددت مارجرىيت قليلا ، كأنها تجد مشقة فى وصف أمانيتها ، ثم

مرت بيدها على وجهها ، وقالت :

— أتمنى أن يكون لى بيت جميل عامر بكل ألوان الترف ، طعام

لذيذ ، وملبس أنيق ، ورياش ثمين ، وأناس ظرفاء ، وأكاداس من المال •

وأحب أن أدير هذا البيت كما أشتهى ، وأن يقصوم على خدمتى فيه

خدم كثيرون ، حتى لا أكون ملزمة بعمل ما ••• ولكنى لن أعمد

للكسل . فسأكون امرأة طيبة . حتى يجمع الناس على محبتى وتقديرى •

سألها لورى بخبث :

— وهل سيكون لهذا البيت سيد يا ميج ؟

قالت بخجل :

— لقد قلت اننى أريد معى أناسا ظرفاء •

وأطرقت برأسها ، وتشاغلته بربط حذاءها ، حتى لا يكشف الجالسون مبلغ خجلها •

وكانت جو ما زالت أصغر سنا من أن تحلم بالزواج بعد ، وكانت بطبعها تحنقر العاطفيات الا فى القصص ، فقالت بصراحتها المعهودة :

— لن يكون قصرك شيئا مذكورا بغير زوج حكيم وسيم ، وأطفال فى براءة الملائكة ، فلماذا لم تكلمى الصورة كما يجب ؟

أجابت ميج محنقة :

— وماذا عن قصرك أنت ؟ لا أظن الا أنك ستملاينه بالخيلول والمحابر والكتب •

قالت جو بحماسة :

— طبعا ! سيكون لى فيه حظيرة بها خيول عربية أصيلة ، وغرف مملوءة بكتب لا عداد لها ، وسأعمس قلمى فى محبرة سحرية ، حتى تكتب لى فى عالم التأليف شهرة كالتى ينشدها لورى فى الموسيقى • أريد أن أكون كاتبة أولف الكتب وأنال الشهرة العريضة • ولكنى أريد قبل ذلك أن أتموم بعمل رائع يخاد اسمى بعد موتى ، ويذكر الناس بى جيلا بعد جيل • لا تسألونى عن هذا العمل ، فان رأى لم يستقر عليه بعد ! ومازالت أترقب الفرص ، وسأدهشكم يوما ما ببطولتى !

وحل دور بث فقالت في رضا وقناعة :

— كل أملى في الحياة أن أعيش مع أبى وأمى و أمن واطمئنان ،  
أساعدهما في ادارة البيت ورعاية شؤون الأسرة •

سألها لورى :

— أليست لك أمنية أخرى ؟

قالت :

— كنت أتمنى فيما مضى أن يكون لى معزف ، أما وقد حصلت  
عليه ، فأنا راضية بحالى ، وأرجو من الله أن يحفظ لنا صداقتنا ،  
ويجمع دائما ثملنا ••• لاشئ أكثر من هذا •

قالت أمى :

— ان لى أمنيات كثيرة ، ولكن أقربها الى نفسى أن أسافر الى  
مدينة روما لأتعلم الرسم ، حتى أصنع لوحات عظيمة ، وأصبح أعظم  
رسامة فى الدنيا •

قال لورى فى تفكير ، وهو يلوك قطعة قش بين أسنانه :

— يا لطموحنا العظيم ! كئذا ما عدا بث نريد أن نكون أغنياء  
عظماء سعداء . انى أشك فى أن أحدنا سيتحقق له أمل واحد من  
هذه الآمال الكبار •••••

قالت جو فى لهجة غامضة :

— ان لادى الوسيلة الى بلوغ أمنى . ولست أدرى بعدد اذا كان  
فى مقدورى أن أستعين بها •

وتتم لورى فى ضيق :

— وأنا أيضا لدى الوسيلة ، ولكنهم يمنعونى من الاستعانة بها ،  
وكل هذا من أجل اتمام دراسة الجامعة ، لعنة الله عليها •

وقالت أمى وهى تلوح بقلمها :

— هذا وسيلتى الى تحقيق أحلامى •

وقالت مارجرىت بوجوم :

— أما أنا فليس لدى ما يعينى على تحقيق آمالى •

وهتف بها لورى :

— بل لديك الوسيلة الفعالة •

قالت :

— أين ؟

قال :

— وجهك الجميل •

قالت :

— كلام فارغ وهراء ، فالجمال لا يفيد •

وكان لورى يعتقد أنه يتم بسر يؤكد كلامه ، فقال ضاحكا :

— انتظرى ، وسوف ترين كيف يأتىك جمالك بما تتمنين •

وتخضب وجه ميج بحمرة الخجل ، ولكنها لم تسأله تفسيراً لكلامه ،  
إنما تطلعت الى الأفق البعيد ساهمة ، مثلما فعل مستر بروك يوم جلس  
فى المخيم يروى للجماعة قصة الفارس المغوار ...•••

وكان لجو قدرة عجيبة على ابتكار أفكار جديدة ، فقالت :

— اقترح أن نتفق من الآن على الاجتماع في مثل هذا اليوم بعد عشر سنوات ، إذا قدر لنا أن نعيش الى هذا الحين ، لنرى إذا كان بعض أحلامنا قد تحقق ، أو إذا كنا قد اقتربنا من تحقيقها أكثر من الآن .

قالت ميج ، وكأن السنين أثقلت كاهلها ، مع أنها ما تزال في السابعة عشرة من عمرها :

— سأكون إذ ذاك عجوزا في السابعة والعشرين . . . . فطبع :

قالت جو :

— وسأكون أنا ولورى في السادسة والعشرين ، وأمى في الثانية والعشرين ، وبث في العشرين فقط ، فيا للجماعة الوقورة !

قال لورى :

— أرجو أن أكون إذ ذاك قد قمت بعمل أفخر به ، وإن كنت أخشى أن أظل كسالن طول حياتى .

قالت جو :

— تعتقد أمى أنك فى حاجة الى حافز يحفزك ، وهى واثقة أنك ستأتى بجلائل الأعمال عندما يتعرف لك هذا الحافز .

وانتصب لورى جالسا من رقدته وقال بحماسة :

— أعتقد ذلك حقيقة ؟ والله إن فى مقدورى أن أفعل كثيرا ، اذا ما أعطيت الفرصة !

ثم سكت قليلا وقال :



— من واجبي أن أكون راضيا بحالى ، لأدخل السرور على قلب جدى ، وأنا أبذل منتهى جهودى لأسعده ، ولكن أعصابى تكاد تتحطم ، فهو يريدنى أن أكون تاجرا فى الهند ، ولكنى أكره الشاى والحريير والتوابل ، ولو ترك لى بواخره العظيمة فلن يسوعنى أن تغرق جميعها فى قاع البحر • سأدخل الجامعة إرضاء له ، ولكنى أعلم أننى سأعيش فيها على غير هواى ، اللهم إلا إذا خرجت على طاعته ، واخترت الحياة التى تروقنى ، كما فعل والدى من قبل • ولو كان للرجل العجوز عزيز غيرى ، ما توانيت عن تغيير حياتى فى أقرب فرصة •

وكان لورى يتكلم فى حماسة شديدة ، حتى ليحس المستمع إليه أنه على أتم الاستعداد لتنفيذ تهديده عند أول إثارة • ولعل السر فى ذلك أنه كان ينمو بسرعة ، وكان له ، على رغم سنه الصغيرة ، أخلاق الرجال بكل ما فيها من كراهية للخضوع ، ورغبة فى الاعتماد على النفس •

وكانت جو تقدر لورى ، وتميل دائما لى اغتفار أخطائه ، هذا لى حبها الغريزى للمخاطرات والمغامرات ، فنقلت :

— أنصحك أن تسافر فى إحدى بواخر جدك ، ولا تعد حتى تجرب حظك فى الحياة •

ولكن ميج لم توافق على نصيحة أختها ، فقالت فى لهجة الأم العاقلة :

— هذا لا يصح يا جو ، ولا ينبغى أن تتكلمى إليه بمثل هذا القول ، وأعتقد أن لورى أعقل من أن يعمل بنصحك السيء •

والتفتت الى لورى تقول :

— ابذل جهدك في الجامعة ، حتى يرى جدك أنك تضحى في سبيل  
إرضائه ، وعندئذ لن يشتد معك ، أو يقاوم رغباتك • وما دمت قريبه  
الوحيد ، فمن واجبك أن تبقى معه وتحبه ، وثق أنك إذا لم تفعل ذلك ،  
فسوف تقضى حياتك معذبا نادما بفلا تحزن ولا تتعذب ، بل امض  
في حياتك راضيا ، وقم بواجباتك كما ينبغي • إن مستر بروك يقول :  
كفى المرء فخرا أن يكون محبوبا مبعلا •

ونزلت كلماتها على قلب لورى بردا وسلاما ، ومع ذلك فقد استاء  
بعض الاستياء لحاضرتها الأخلاقية الطويلة ، فقال لها :  
عـييا!  
ثلاث رغـ والله إنك لا تعرفين شيئا عن جدى •  
بالجبال تملأ  
فألت :

• لست أعرف أكثر مما سمعته والدتى عنه من أبيها ، فطالما تحدث  
لوالدها عن خلقه الكريم ، وروى لها كيف تفانى في خدمة أمه الى آخر  
لحظة في حياتها ، ولم يرض أن يسافر الى الخارج إكراما لها ، وكيف أنه  
يعول امرأة عجوزا كانت خادمة لأمه ، ويبقى إحسانه في الخفاء ، كارها  
أن يعلن عنه ، وأنه فوق كل هذا رجل طيب صبور ، عميم الفضل ، عظيم  
الإحساس على الفقراء •

• أما قبحها رغـ تالفة . لـجتأ تميم  
وسكتت ميج عن الكلام وقد توردت وجنتها حماسا ، فقال لورى  
مصدقا على كلامها :

• أيقظ الله قلب عينا رحمتك من أعين كاذب .  
— والله إنه كذلك ، وأعظم ما فيه أنه لا يعلن عن طبيئته ، إنما  
يعلن عنه غيره ممن عرفوه ولمسوا أفضاله • ولقد تعجب رائدى بروك  
لكرم أمك في معاملة جدى ، ومثابرتها على الاعتناء بمنع بروك الى بيتكم ،

وتفانيها في مجاملته والترحيب به • ولقد كان يظن ذلك مظهرا لأدبها الوفير ، فظل يمتدحها لى طيلة المساء ، ثم انتقل الى الحديث عنك بحرارة منقطعة النظير • والله لو تحققت آمالي ، لفعلت الكثير من أجل بروك •••

قالت ميج في حدة :

— ولم لا تبدأ من الآن ، فتخفف من غلوائك في معاملته ؟ إن أعمالك أحيانا تكاد ترهق أنفاسه •

قال لها :

— ومن أين لك هذا الكلام ؟

قالت :

— إنى أراه بنفسى ، عندما تكون هادئا مطيعا ، ينصرف عنك باسمنا نشيطا ، وعندما تنتابك أزمات العناد والعصيان ، أراه يسير واجما مترددا ، كما لو كان يريد أن يعود إليك ليبدأ الدرس معك من جديد •

قال لورى :

— أمرك عجيب ! لم أكن أعرف أنك تراقبين سلوكى فى تعبيرات وجه مستر بروك ، لقد كنت أرى بدورى كيف يبتسم عندما يمر بنافذتك ، وينحنى لك باحترام بالغ ، ولكنى لم أكن أعلم أنكما تتحدثان عنى •

وانزعجت ميج خوفا مما قد يترتب على كلامها الصريح فقالت :

— لم نتحدث عنك قط ، فلا تغضب ، ورجائى أن لا تخبره بما قلت لك الآن • لقد أردت فقط أن أثبت لك اهتمامى بأمرك ، وقد اعتدنا الصراحة معك دائما •

أجاب لورى مترفعا :

— ليست الوشاية من أخلاقي ، ولم أتعود ترديد الأحاديث التي  
أسمعها ، ولكن إذا كان بروك قد قرر أن يكون ترمومترا لأخلاقي ، فمن  
واجبي أن أحيطه دائما بالجو الملائم ، حتى تطيب معلوماتك عنى .

قالت ميج :

— لا تتألم لما ذكرت ، فما أردت أن أجرح شعورك أو أغضبك ،  
إنما خيل الي أن جو تعرضك على ما قد تندم عليه في يوم من الأيام .  
لقد كنت طيبا معنا ، ونحن نشعر كما لو كنت أخا شقيقا لنا ، ولذلك  
نصارحك بكل ما يجول في خواطرننا ، ولا نخفي عنك رأيا أو فكرة . كنت  
حسنة القصد فيما قلت ، فسامحني .

ومدت له يدها في خجل وإخلاص تريد مصالحته .

وأسف لورى على اندفاعه المفاجيء ، فتناول يدها يصافحها بحرارة ،  
وقال بصراحة :

— بل أنا الذي يجب أن أطلب منك المغفرة ، وأرجوك أن تتجاوزي  
عن خسونتى ، فقد كنت قلقا ضيق الصدر طول اليوم . ويسرنى أن  
تكونى لى أختا ، وتعددى أخطائى . وأرجو أن لا تستائى إذا رأيت منى  
جموحا في بعض الأحيان . وأنا أيضا شاكر لكن صراحتكن وعطفكن .

ولكى يطمئنها الي أنه غير غاضب أو متألم ، بذل جهده ليكون لطيفا  
مع الجميع ، فساعد ميج على لف خيوط التطريز ، وقرأ لجو في كتابها  
كما أرادت ، وعاون بث على تنسيق ثمار الصنوبر ، ورسم في لوحة آمى ،  
وبذلك شعر أنه قد أصبح عضوا نافعا في حلقة آل مارش .

وبينما كانت الجماعة في مناقشة حامية حول طبائع السلاحف ، ومزاياها العديدة ، حمل الهواء آذانهم رنين جرس آتيا من بعيد ، إيذانا لبنات مارش بأن حنا قد أعدت لمن الشاي ، وأصبح لزاما عليهن أن يعدن الى البيت مسرعات •

قال لورى :

— أسمحين لى أن أشارككن فى مثل هذه الجلسة؟

قالت ميچ باسمه :

— نعم • بشرط أن تكون طيبا وتحب دروسك ، كما يقولون للأطفال فى المدارس الابتدائية •

قال :

— سأحاول •

وعندما بلغوا أبواب البيت ، قالت جو للورى وهى تلوح بيدها مودعة :

— إذا يمكنك أن تشترك معنا ، وسأعلمك كيف تشتغل التريكو ، فإن الطلب قد ازداد فى هذه الأيام على الجوارب الصوفية •

وفى هذا المساء عندما جلست بث الى المعزف تسمع مستر لورنس العجوز بعض قطعها الموسيقية ، وقف لورى وراء الستار يرقب جده ، وقد جلس فى مقعده معتمدا رأسه على يده ، وهو يفكر فى حفيدته الصغيرة المحبوبة التى فقدتها منذ سنوات • وتذكر لورى فى هذه اللحظة حديثه مع ميچ ، فشعر برغبة شديدة فى التضحية بأماله من أجل جده العزيز • قال فى نفسه :

— أنا كل من بقى له من الأهل والأحباب ، فلأتنازل عن قصور الأمانى والأحلام ، وأبقى معه مادام فى حاجة الىّ •

## الفصل الرابع عشر

### أسرار

أقبل شهر أكتوبر وسرت البرودة في الجو ، وقصرت ساعات اليوم ، فانشغلت جو بأموورها في غرفة السطح • وكانت الشمس ترسل أشعتها ساعتين أو ثلاثا في اليوم ، فتنفذ خلال النافذة العالية ، لتنعكس على الفتاة وهي قابعة على الأريكة العتيقة ، وقد انهمكت في الكتابة ، وألقت بالمسودات على حقيبة قديمة ، على حين جعل صديقها الفأر « سكرابل » يروح ويجيء آمنا مصطحبا ابنه الأكبر ، وهو فأر فتى يتيه عجبا بشواربه الطويلة • وفي ذات يوم من هذه الأيام ، ظلت جو غارقة في كتابتها حتى إذا ما انتهت من آخر صحيفة بين يديها ، وقعت بأسمها في ذيلها بخط واضح كبير ، ثم ألقت بالقلم وقالت :

— لقد بذلك كل ما في وسعي ، فإذا لم يكن ما كتبت مناسباً ، فلا مناص من الانتظار حتى أتمكن من تأليف قطعة أفضل •

وإسألقت على الأريكة ، وشرعت تقرأ المسودات في عناية ، فتضيف نقطة هنا ، وشرطة هناك ، وهي لا تنسى أن تسرف في وضع علامات التعجب والاستفهام في كل مناسبة في أثناء مراجعتها ، ولما انتهت حزمت الأوراق بشرط أحمر ، وتأمات الحزمة في جد ينم عن مبالغ اهتمامها بما كتبت •

وكانت مكتبة جو في هذه الغرفة لا تتعدى منضدة صغيرة مغطاة بالصفيح ، وكانت تحتفظ في درج محكم منها بمسودات كتاباتها وبعض كتبها ، حتى لا تصل إليها أنياب سكرابل ذي المزاج الثقافى ، الذى يدفعه الى قرض الكتب والأوراق التى تترك أمامه • ومن ذلك الدرج الأمين

أخرجت جو رزمة من المسودات ، ثم وضعت الرزمتين في جيبيها ، ونزلت السلم بهدوء ، تاركة صديقها الفأر يقرض ما يشاء من قلمها ويتذوق ما يحب من محبرتها •

وارتدت مئزرها وقبعتها في هدوء ما أمكن ، ثم استقرت الخطى نحو النافذة الخلفية للطابق الأرضي ، وخرجت منها الى سقف مظلة منخفضة ، قفزت من فوقه الى أرض الحديقة ، ثم دارت في طريق طويل حتى وصلت الى الشارع ، وهناك تمايلت نفسها ، فاستقلت عربة الأتوبيس الى المدينة وفي عينيها الفرح والغموض •

وكان الغموض يكتنف كل حركاتها وتصرفاتها : فما ان نزلت من العربة ، حتى سارت بخطى سريعة نحو بناء معين بأحد الشوارع المزدهمة ، فلما بلغته ، دخلت من بابه ، ونظرت لحظة الى درجات سلمه القذرة ، ثم لم تلبث أن عادت على أعقابها الى الشارع مسرعة • وتكررت هذه العملية مرات ، مما أثار الاهتمام في نفس شباب أسود العينين كان يراقبها من نافذته عبر الشارع • وأخيرا عادت للمرة الثالثة ، وقد جمعت شجاعته وأرخت حافة قبعته فوق عينيها ، ثم صعدت وهي تبدو كأنها ذاهبة لخلع أسنانها جميعا •

وكان يزين مدخل البناء لافتة لطبيب أسنان — بين لافتات آخر — رسم عليها فكان صناعيان يتحركان في بطاء ، ليلفتا الأنظار الى جمال صنعتها ودقتها • فارتدى الفتى معطفة ، وأخذ قبعته ، وهبط من مكانه الى الشارع ينتظرها أمام البواب المقابل للبناء الذي دخلته الفتاة • قال لنفسه وهو يبتسم :

— لا يدهشني أن تأتي الى هذا المكان وحيدة ، ولكنها ستحتاج الى من يصحبها في عودتها اذا انتهت الأمور بما لا تشتهي •

ولم تمض دقائق عشر ، حتى خرجت جو تجرى الى الطريق  
محتقنة الوجه غاضبة ، وعندئذ وقع بصرها على الفتى ، فأومات اليه  
تحية وهى راغبة عن رؤيته ، ولكنه تبعها فى هدوء وقال يواسيها :

— هل مورت بمحنة شديدة ؟

قالت :

— لم تكن شديدة •

قال :

— ولكنك لم تمكثى بالداخل طويلا !

قالت :

— نعم ، لحسن الحظ •

قال :

— ولم ذهبت وحدك ؟

قالت :

— لم أتحأ أن يعلم أحد بمهمتى •

قال :

— لم أُر فى حياتى من هو أعجب منك يا جو !! كم مرة نشر لك ؟؟

وتظرت جو الى صديقها كأنها لا تفهم سؤاله ، ثم جعلت تضحك ،  
كأن فكرة طارئة أشاعت السرور فى نفسها • قالت :

— لم ينشر لى شىء بعد • وكنت أتمنى أن ينشر لى اليوم اثنان ،

ولكننى مضطرة الى الانتظار أسبوعا •

ونظر لورى اليها كمن أغلق عليه فهمها ، وقال :



— ماذا يضحكك ؟ وماذا كنت تفعلن في الخفاء يا جو ؟  
قالت تغيّر دفعة الحديث :

— بل أخبرني أنت يا سيدي ، ماذا كنت تفعل في قاعة البلياردو  
هذه ؟  
قال :

— عفوك يا سيدتي ! لم أكن في قاعة البلياردو ، بل كنت في  
معهد للرياضة البدنية أتدرب على المبارزة بالسيف •  
قالت :

— يسرتي أن أسمع ذلك •  
قال :

— لماذا ؟  
قالت :

— لأنك ستعلمني المبارزة ، حتى نستطيع أن نؤدى منظرا فريدا  
عندما نمثل رواية هاملت عن قريب •  
فانفجرت لورى ضاحكا في صوت عال مرح أثار اهتمام بعض  
المارة ، فابتسموا بدورهم •  
قال :

— سوف أعلمك المبارزة ، سواء مثلنا هاملت أم لم نمثلها ، فهي  
رياضة جميلة تكسب الجسم قوة ورشاقة ، ولكن لماذا أبدت رضاك  
عندما علمت بوجودي في معهد الرياضة البدنية ؟

( م ١٩ — نساء صغيرات )

قالت :

— خشيت أن تكون من المترددين على قاعات البلياردو ، ولسنت أحب لك أن تندمج في مثل هذه الأماكن • أتميل الى الذهاب اليها ؟

قال :

— أحيانا •

قالت :

— وددت لو انقطعت عنها •

قال :

— وهل في التردد عليها ضرر يا جو ؟ ان لدينا بالببيت منضدة للبلياردو ، ولكن اللعب لا يكون ممتعا الا مع لاعبين مهرة • اني أحب هذه ارياضة ، ولذلك أتردد على القاعة لألعب بعض الإسطواط مع ندموفات أو غيره من الفتيان •

قالت جو وهي تهز رأسها :

— يؤسفني أن أسمع ذلك : وأخشى أن يجتذبك المكان ، فنكثر من التردد عليه : لتضيع وقتك ومالك هباء ، مثلما يفعل هؤلاء الفتيان الطائشون ، كان أمانى أن تظل محترما ، وتتصرف بما يرضى أصدقاءك •

قال لورى وقد بدا عليه الارتباك :

— وهل بعض المتعة البريئة يفقد الفتى احترام الناس إياه ؟

قالت :

— هذا يتوقف على نوع المتعة وأين تكون ، اني لا أميل الى ندموصحبه ، وأتمنى أن تباعد عنهم ، فقد أبت أمانى أن ندعوه الى بيتنا رغم

رغبته الشديدة في زيارتنا . وأخشى أن لا ترحب ب صداقتك لنا اذا حذوت  
حذوه •

قال في لهفة :

— أحقا ما تقولين ؟

قالت :

— نعم ، انها لا تحتلم الفتيان المستهترين ، وتفضل أن تعلق علينا  
باب دارنا من أن تدعنا نختلط بهم •

قال :

— لا داعى لكل هذا ، فأنا لست مستهترا ، ولا أحب أن أكون  
كذلك ، ولكنى أميل الى التسلية البريئة أحيانا • أأست مثلى فى ذلك ؟

قالت :

— نعم • ان التسلية لا تضر أحدا ، فتسلى كما شئت ، ولكن  
لا تشتط وإلا انتهت أوقاتنا السعيدة معا •

قال :

— سأكون أكثر من القديسين طهرا ونقاوة •

قالت :

— ولكننا لا نحب القديسين أيضا ، فكن بسيطا ، أمينا ، محترما ،  
وبذلك تبقى صداقتنا الى الأبد • ويغز على أن تصير الى ما صار اليه  
ابن مستر كنج ، الذى أفسده المال والفراغ ، فأنحرف عن الطريق  
السوى ، وبلغ الأمر به أن قامر ، وهرب من البيت ، ثم زور أمضاء  
أبيه ، وبذلك ارتكب وزرا كبيرا •

قال :

— أو تعتقدين أنني أنحدر الى هذا الدرك ؟ أشكرك على حسن ظنك !

قالت :

— لا ، لست أسىء الظن بك ، ولكنى أسمع الناس يتحدثون عن خبث اغراء المال ، فيستبد بي القلق عليك ، وأتمنى لو كنت فقيرا حتى لا تتعرض للمشورر •

قال :

— أيقظك حल्ली يا جو ؟

قالت :

— أحيانا ، عندما أراك واجما أو متذمرا ، ان لك شخصية قوية ، فلذا انحدرت الى طريق الخطأ ، كان من العسير أن تعاد الى صوابك •  
وسار الفتى بضع دقائق دون أن يقول شيئا ، واختلست جو نظرة اليه ، ورأت الغضب يلتمع في عينيه ، رغم الابتسامة التي ظلت حائرة على شفطيه ، عندئذ ندمت على كلامها أشد الندم • وقال لورى أخيرا :

— هل فى نيتك أن تسمعيني نصائحك ومواعظك طوال الطريق ؟

قالت :

— قطعا لا • • ولكن لم تسأل ؟

قال :

— لأنك اذا كنت تتوین ذلك ، فالأفضل أن نركب عربة الأتوبيس

حتى نختصر الوقت ، وإذا سكتَ عدنا الى البيت سيرا على الأقدام ،  
إذ عندي أبناء مسلية أحب أن أرويهما لك •

قالت :

- سأكف عن النصح ، فأسرع بما لديك •

قال :

- ولكن أنبأني أسرار دفينه ، فإذا قصصتها عليك وجب عليك  
أن تحدثيني بأسرارك أيضا •

قالت :

ليس عندي ما أخفيه عنك •

ثم وقفت عن السير فجأة ، وقد تذكرت أنها بالفعل تخفى عنه بعض  
الأبناء •

فصاح لورى:

- أنا واثق أنك تخفين عنى سرا ، فهيا اعترفى بالحق ، حتى أقص  
عليك أخبارى •

قالت :

- أهي أخبار طيبة ؟

قال :

- دون شك ، وأى أخبار ! إنها تخص أناسا تعرفينهم ، ويجب  
أن تعلمي بها ، وقد مضى وقت طويل وأنا أتحرق شوقا لاطلاعك عليها ،  
ولكن ابدئي بما عندك أولا •

قالت :

- وهل تحفظ سرى ، ولا تخبر به أحدا في البيت ؟

قال :

— لن أبوح بكلمة منه •

قالت :

— أتعد بأن لا تغيظني به ؟

قال :

— وهل تعودت أن أغيظك ؟

قالت :

— أحيانا •• وندھشني طريقتك الناجعة في انتزاع أسرار الناس ،

لقد ولدت محبا للاستطلاع على ما أعتقد •

قال :

— شكرا لك ••• هيا أسرعى بالكلام •

فهمست جوفى أذن صديقها قائلة :

— خلفت ورائى قصتين مع صاحب جريدة ، وقد وعد بأن يبلغنى

رأيه فيهما بعد أسبوع •

وقذف لورى بقبعته فى الهواء عاليا ، ثم تلقفها بيده وصاح قائلا :

— مرحى مرحى ••• مس مارش ••• الكاتبة الأمريكية الشهيرة •

قالت :

— صه ! لا تسرع بالتفاؤل فقد يرفضهما صاحب الجريدة • على

كل حال ، ام يكن ليهدأ لى بال ، حتى أجرب حظى فى الكتابة ، وقد

احتطت للأمر فلم أخبر أحدا بنيتى . حتى لا أخيب آمال غيرى فنى

إذا أخفقت •

قال :

— لن تخفى ! فكتاباتك وقصصك تعتبر في مستوى شكبير اذا ما قورنت بالسخافات التي تنشرها الجرائد كل يوم ... ما أجمل أن نرى تصحك مطبوعة في الجرائد ، سيكون من حقنا أن نفخر بمؤلفتنا البارعة !

والتمعت عينا جو سرورا لثقة الناس بها ، فقد كان تقدير أصدقائها أثمن لديها من تقريظ عشرات الجرائد التافهة •

قالت وهي تحاول أن تخفى الآمال التي انتعشت بتقدير صديقها ومديحه :

— والآن علىّ بسرك ، وايباك أن تخفيه ، وإلا فقدت ثقتي بوعدك •

قال :

— لن أرجع في وعد قطعته على نفسي ، وقد يجرجنى أن أفصح السر ، ولكن لا بأس من المخاطرة ، فمن عادتي أن لا أرتاح حتى أتحدث بما لدى من أخبار مثيرة ... انى أعرف أين ذهب قفاز ميج !

وكانت نظرات لسورى عامرة بالغموض ، ولكن جو وجدت الخبر تافها ، فقالت بخيبة أمل ملحوظة :

— أهذا كل شيء ؟

قال :

— ستجدينه خيرا هاما ، عندما أخبرك أين يوجد القفاز !

قالت :

— أخبرنى إذا •

وانحنى لورى على أذن جو ، وهمس بكلمات ثلاث ، أحدثت في وجهها تغيرا شديدا مفاجئا • ووقفت الفتاة في مكانها جامدة ، وهي تتأمله في غضب ودهشة ، ثم استأنفت سيرها ، وهي تقول في حدة :

— كيف عرفت ؟

قالت :

— رأيته •

قالت :

— أين ؟

قال :

— في جيبه •

قالت :

— طول الوقت ؟

قال :

— نعم ••• ألا ترىنه خيرا عاطفيا مثيرا ؟

قال :

— لا ، بل خبر قبيح •

قال :

— ألا يسرك ذلك ؟

قالت :

— لا طبعا ، هذه سخافة ، ولا يجوز أن نسمح بها ••• تقرأ ماذا

تقول ميح اذا عرفت ؟



قال :

— ولكنك لمن تخبريها ، ولياك أن تفعلى ...

قالت :

— لا أذكر أننى وعدتك بالكممان •

قال :

— كان الكتمان أساس حديثنا ، ولقد وثقت بك •

قالت :

— إذا لن أفضح السر فى الوقت الحاضر ، ولكنى مسمّزة جدا ،

وليتك ما أخبرتنى •

قال :

— ظننت أن الخبر يسرك !

قالت :

— أيسرنى أن يأخذ انسان أختى ميج ؟ لا ... لقد أخطأت •

قال :

— قد يسرك أن يأخذك انسان فى الوقت المناسب ؟ !

قالت جو بوحدة :

— أحب أن أرى أحدا يحاول ذلك !

• ال لورى ضاحكا :

— ويسرنى أيضا أن أرى مثل هذه المحلولة !!

قالت جو فى جحود :

— ان الأسرار لا توافق مزاجى ، ولقد أربكنى بما قلت ...

قال لورى :

— سيعود اليك هذوؤك اذا هبطت معى هذا التل جريا •

وكان الطريق خاليا من العابرين ، وسفح التل ينحدر ناعما معبدا ، فراققت الفكرة جو ، ولم تلبث أن اندفعت الى الأمام جريا ، وقد خلفت وراءها قبعتها ومشطها ، ووصل لورى أولا الى نهاية الطريق ، ولحقت به جو بعد قليل ، وقد زالت ثورة نفسها فى غمرة المجهود البدنى العنيف الذى قامت به •

— قالت ، وقد توردت وجنتاها ، والتمعت عيناها سرورا :

— ليتنى كنت حصانا ، حتى أجرى أميالا فى هذا الجو الجميل ••  
كانت متعة رائعة ، ولكن أنظر ما فعل الجرى بى ؟ كن ظريفا واجمع الأشياء التى سقطت منى •

وألقت الفتاة بنفسها تحت شجرة ، فرشت الأرض ببساط من أوراقها القرمزية •

وعاد لورى على عقبه يجمع الأشياء التى سقطت من جو ، وجمعت جو غدائرها ، راجية أن لا يمر بها أحد حتى تكون قد أصلحت هندامها • ولكن رجاءها لم يتحقق ، فقد مر شخص فى اللحظة الحرجة ، ولم يكن هذا الشخص سوى أختها ميج التى كانت تسير فى أناة ملحوظة ، بعد أن أدت بعض الزيارات لصديقاتها •

ووقعت أنظار ميج المهذبة على أختها التى بعثر الهواء شعرها وهندامها ، وقالت فى دهشة واستنكار :

— ماذا تفعلين هنا بالله عليك ؟

أجابت جو ، وقد ملأت يدها ببعض الأوراق المتساقطة من الشجرة :  
— أجمع أوراق الأشجار •

وأقبل لورى يحمل الأشياء التى سقطت من جو ، فالتقى بها فى حجر صاحبته ، وهو يقول لميج مداعبا :

— انها تجمع أيضا دبائيس الشعر ، فهذه دبائيس تنمو على جانبى الطريق ، وكذلك تنمو الأمشاط وقبعات القش البنية اللون •

ورفعت ميج يدها الى رأسها تصلح قبعتها وتنظم شعرها ، بعد أن عبث الهواء بهما بعض العبث ، ثم قالت تؤنب أختها :

— بل كنت تجرين ، وأنى أرى فيك آثار الجرى واضحة ، فكيف جرؤت على ذلك ، ومتى تكفين عن هذه الفوضى ؟

قالت جو :

— لن أكف عنها حتى أصير عج-وزا كسيحة أسير على عكازين دعينى استمتع بفتوتى أطول وقت ممكن ، ولا تدفعينى الى الأخذ بأساليب الكبار قبل الأوان ، وكفانى عذابا أن أراك تتغيرين تغيرا مملحئا هكذا •

وكانت جو تتكلم وهى تحنى رأسها ، لتخفى ارتجاف شفيتها الواضح ، فقد كان يحزنها فى العهد الأخير أن ترى ميج تدخل فى طور الشباب سريعا ، وتتقدم حثيثا نحو النضج النسوى ، ثم جاء سر لورى ، فزادها خوفا من أن تتزوج ميج فى يوم من الأيام فتفارقها • وقد رأى الصبى رجفة جو ، وخشى أن تراها ميج بدورها ، فقال يشغها بالحديث :

— أين كنت بهذه الثياب الأنيقة الجميلة ؟

قالت : كنت في زيارة آل جاردنر ، وقد حدثتني سالي بتفاصيل عرس بيل موفات ٠٠٠ كان عرساً رائعاً ، سافر العروسان بعدهم لقضاء شهر العسل في مدينة باريس ٠٠ فتصور هذه المتعة !!

سألها لورى :

— أتعطينها على حظها يا ميج ؟

قالت :

— أظن ذلك .

قالت جو بلهفة ، وهي تربط شريط قبعتها :

— يسرنى أن أسمع منك هذا الكلام .

ويدت الدهشة على ميج ، فسألت أختها تقول :

— ما الذى يسرك فى كلامى ؟

قالت جو :

— إذا كنت تعطين الفتاة على ثرائها وتقديرين المال هذا التقدير

كله ، فلن تجرى وراء رجل فقير ، وتتروجيه .

قالت ميج بلهجة الوقار :

— لن أجرى وراء أحد للزواج !

وضحك رفيقاها ، وسارا خلفها الى البيت يتقافضان بلحصى وأوراق الأشجار ، كما يفعل الصغار على حد تعبير ميج ، وان كانت الفتاة فى قرارة نفسها تود أن تشاركهما فى مرحهما ، ولا يحول بينها وبين ذلك غير ثوبها الأنيق الذى ترتديه .

ومضى أسبوعان ، وتصرفات جو كلها غريبة ، حتى انزعجت أخواتها لأحوالها العجيبة ، وبتن في قلق لما أصابها ، فقد كنت تجرى الى الباب كلما سمعت جرسه يدق ، وتتوقع على مستر بروك دون مبرر ، واذا رآته يختلس النظر الى وجهه ميج ، نهضت فجأة من مجلسها ، وانحنت على أختها تقبلها بلهفة ، كأنها تخشى أن تفقدها . وكانت تبادل لوري الاتسارات خفية في بعض الأحيان ، حتى أعلنها أخواتها بأنها وصديقتها قد أصابتها لوثة أفسدت عقليهما .

وبعد أسبوعين من اليوم الذي خرجت فيه جو بمخطوطاتها الى الناشر كانت ميج تجلس بجوار نافذة غرفتها تطرز ، فأزعجها أن ترى لوري يجرى في الحديقة وراء جو ، ويلاحقها في كل ركن تلجأ اليه ، ثم يتماسكان وهما يضحكان عاليا .

وبدا الألم على وجه ميج ، وقالت في تنهدة وأسف :

— ماذا نفعل بهذه الفتاة الطائشة ؟ ومتى تأخذ بأساليب السيدة الصغيرة المهذبة ؟ !

وكان يسيء بث أن تخفى جو — أختها المفضلة — أسرارها عنها ، ولكنها أخفت استيائها ، وقالت تدافع عن أختها :

— أرجو أن لا تفعل ذلك ، فهي لطيفة عزيزة كما هي الآن .

وقالت أمي ، وقد عقصت شعرها بشكل جميل ، وانشغلت في اعداد قطعة من الأهداب « الفرنشسا » لثوبها ، مما جعلها تشعر بأنها قد أصبحت سيده صغيرة أنيقة :

— لن نستطيع أن نجعلها مهذبة !

ولم تمض دقائق ، إلا واندفعت جو الى الغرفة ، واستلقت على الأريكة ، وهى تتظاهر بقراءة مجلة فى يدها .

قالت ميح بتواضع :

— أباالمجلة ما يسلينا ؟

أجابت جو ، وهى تخفى اسم الجريدة بيديها :

— ايس بها سوى قصة ، لا تستحق الذكر .

قالت أمى بوقار الكبار :

— الأفضل أن تقرئيهما لنا لتسلينا ، وتشغلى نفسك عن خلق

المتاعب .

قالت بث ، وقد أدھشها أن تخفى جو وجهها وراء المجلة :

— ما عنوان القصة ؟

قالت :

— الرسامان العريمان .

قالت ميح :

— انه اسم جذاب ، فاقترئى لنا القصة .

وتتحنحت جو استعدادا ، ثم بدأت بسرعة ، والفتيات يصغين

لقراءتها باهتمام ، فقد كانت القصة عاطفية محزنة ، تنتهى بموت أبطالها

جميعا .

قالت أمى عندما أنتهت أختها :

— لقد أعجبتنى القطعة الخاصة باللوحة .

وقالت ميح ، وهى تمسح الدموع عن عينيها :

— انى أفضل الموقف الخرامى ، ومن العجيب أن اسـمى فيولا وأنجيليه من الأسماء المألوفة لنا .

قالت بث ، وهى تتأمل وجه أختها :

— من ألف هذه القصة ؟

واعتمدت جو فى مجلسها لهذا السؤال ، وألقت بالمجلة جانبا ، وقالت فى صوت عامر بالحماسة والجد :

— أختكن !

هتفت ميج ، وقد سقطت تطريزها من يدها :

— أنت التى ألقت هذه القصة ؟

قالت أمى فى نعمة الناقد الفنى :

— قصة رائعة بمعنى الكلمة .

أما بث ، فقد غلبتها الحماسة لنجاح أختها المفضلة ، فأسرعت إليها تحتضنها وتقبلها وهى تقول :

— كنت واثقة من ذلك كل الثقة ، وأنا فخورة بك يا جو .

وشاعت الغبطة ، واستبد السرور ، وأبـت ميج أن تصدق الخبر العظيم ، حتى قرأت بعينها اسم أختها مطبوعا فى المجلة . وجعلت أمى تـبـدى انتقاداتها البريئة بروح الفـنـانة ، ثم تقترح زيادات يستحيل تحقيقها بعد أن مات أبطال القصة كلهم . وغلبت الحماسة بث ، فراحـت تدور فى الغرفة ، وهى ترقص طربا وتغنى . وانشر الخبر فى أرجاء البيت ، فأقبلت الطاهية حنا مهنئة ، واغتبطت مسر مارش بما أصاب ابنتها من نجاح يبشر بمسـتقبل عظيم . ودارت مجلة

« النسر الطائر » من يد الى يد ، فتصاحف سرور أهل البيت  
وفخرهن •

والف أفراد الأسرة حول جو يسألونها ضاحكين :

— حديثنا بما جرى • • متى فعلت ذلك ؟ وكم تقاضيت ثنا  
لها ؟ •• ترى ماذا يقول أبونا اذا عرف ؟ وكم سيضحك لورى  
للخبر !!

هتفت بهم جو ، وقد خيل اليها أن أعظم كاتبات أميركا: لا يمكن  
أن تكون قد أصابت مثل هذا النجاح العظيم :

— كفى ثرثرة يا بنات ، وسأحدثكن بكل شيء •

وروت لهن جو كيف كتبت قصتين سراً ، وكيف قدمتهما لصاحب  
المجلة ، فوعدها بابداء رأيه فيهما بعد أسبوع ، ثم قلت :

— وعتنما ذهبت اليه أسأله رأيه ، أبدى إعجابيه بالقصتين ، ولكنه  
اعتذر عن الأجر ، وأفهمنى أن المبتدئين لا يتقاضون أجوراً عن كتاباتهم ،  
مكتفين بالنشر الذى يأتيهم بالشهرة تدريجاً • وأكد لى أن الكتابة  
مجانا ، مرافقة طيبة حتى يموت اسمى بين القراء ، واذا ذلك لن يتردد ناشر  
عن شراء مؤلفاتى • لقد أكد لى رضاه عن القصتين ، ووعده بالدفء  
فى القصص المقبلة ، وأنا سعيدة جداً لما حدث ، وأملنى أن أكسب من  
تلقى ما يقوم بأولى ، ويمينكن على الاستمتاع بحياتنا أفضل •

وتقطعت أنفاس جو لفرط تأثرها ، فأخفت وجهها بين طيات المجلة ،  
وهى تذرف دموع الفرح ، فقد كانت أعظم أمانيتها فى الحياة أن  
تعتمد فى حياتها على جهودها ، وتتألق تقدير أسرته العزيزة الحبيبة •  
وخيل اليها فى هذه اللحظة أنها خطت الخطوة الأولى نحو النهاية  
السعيدة المبتغاة •



## الفصل الخامس عشر

### البرقية

وقفت مارجریت تتطلع من نافذتها الى الحديقة التي أجدبها بـرد الشتاء وصقيعه ، وقالت :

— إن نوفمبر أسوأ شهور السنة كلها •

فقالت جو مفكرة ، وهي لا تحس ببقعة الحبر التي علفت بأنفها :

— لعل السبب أننى ولدت فى هذه الشهر •

وكانت بث متفائلة بطبعها ، تتعلق بالأمل وتستبشر بالحياة ، حتى

فى شهر نوفمبر المقبض ، فقالت :

— لو أن حدثا سارا جاء فى هذا الشهر ، فسوف نعتقد أنه شهر

رائع •

وكانت ميج فى ذلك اليوم ضيقة الصدر متشائمة ، فقالت :

— ربما • ولكنى لا أرى شيئا يفرح أو يسر فى حياة هذه الأسرة ،

فنحن نكد ونكدح يوما بعد يوم ، والسنون تمر بنا • على وتيرة واحدة ،

لا تتغير ولا تتبدل ، ولا ننبال ترفيها ولا تسلية • نحن كمن يعيش فى

طاحونة لا تكف عن الدوران •

فصاحت بها جو تقول :

— صبرا ••• صبرا ! • إننا نشاءم دائما ! لا يدهشنى أن تتبرمى

بحياتك الشاقة وأنت ترين غيرك من الفتيات يتمتعن بكل شىء • كم أتمنى

( م ٢٠ — نساء صغيرات )

أن أقدم لك بعض ما أقدمه لبطلات قصصى من ألوان المتعة والرفاهية •  
إنك جميلة الشكل سوف تنالين كل ما تشتهين ، فستسافرين الى الخارج فى  
رحلات طويلة ، ثم تعودين اليها أرسقراطية عليك هالة من العظمة  
والأناقة •

فقلت ميح فى مرارة •

— إن الثروات المفاجئة لا تهبط على الناس فى أيامنا هذه ، وعلى  
الرجال أن يكدهوا فى سبيل الرزق ، وعلى النساء أن يتزوجن من أجل  
لقمة العيش • إننا نعيش فى دنيا ظالمة •

وكانت آمى تقبع فى جانب من الغرفة ويدها قطعة من الصلصال  
تصنع منها تماثيل صغيرة لبعض الطيور والفاكهة • ولم تكن التماثيل على  
شئ من الجمال ، حتى إن حنا كانت تسميها الفطائر الطينية لشدة بشاعتها •  
وسمعت آمى حديث أختها ، فقلت مطمئنا :

— سأكون لك أنا وجو ثروة طائلة ، فانتظري عشر سنوات ،  
وسترين بعدها العجب !

قلت ميح :

— لا طاقة لى على الانتظار طول هذه المدة ، ويؤسفى أننى قليلة  
الثقة بقلم جو وصلصالك • ولكنى أشكر لك حسن نياتك على كل حال •  
ثم تنهدت وأدارت وجهها الى النافذة التى علق بها الصقيع ، وأسندت  
جو مرفقيها الى المائدة مزمجرة ، وعادت آمى الى صلصالها تعمل أصابعها  
فيه بنشاط • وكانت تجلس عند النافذة الثانية للغرفة ، فقلت وهى  
تبتسم :

— أرى أمى مقبلة عند أول الطريق ، وأرى لورى يسرع السير  
إلينا ، كمن يحمل أخبارا سارة •

ودخل الاثنان ، فبادرت مسز مارش بناتها بسؤالها المعهود :  
— ألم تأت رسالة من والدكن يا بناتى ؟  
وقال لورى بلهجة مستعطفة :

— ألا من تصحبنى الى النزهة ؟ إن الجو لطيف فى الخارج رغم تلبد  
السماء بالغيوم ، فتعالى معى يا جو وأنت يا ميج نوصل مستر بروك الى  
منزلة بالعربة ، ثم نطوف بها فى نزهة قصيرة •

أجابت جو دون تردد :

— سنذهب معك ولا شك •

وقالت ميج وهى تبحث عن شىء داخل سلة التطريز :

— أشكر على دعوتك ، ولكنى مشغولة الآن •

وكان اعتذارها هذا نتيجة لرغبة أمها فى أن تقلل ما أمكن من  
مقابلاتها مع الشاب بروك •

وصاحب أمى وهى تهرع الى غسل يديها تقول :

— سنكون على أتم استعداد فى بحر دقيقة واحدة •

وانحنى لورى نحو مقعد مسز مارش ، وقال وهو ينظر اليها بمنتهى

العطف والجنان :

ألا من خدمة أؤديها لك يا سيدتى الوالدة ؟

قال :

— لا ، شكرا ، ولكنك إذا شئت أن تطوق عنقك بجميلك فامض لكتب

البريد لتفسر عما إذا كانت لى رسالة فيه ، فقد تعودت أن أتلقى من زوجى خطابا فى مثل هذا اليوم كل أسبوع ، ولكنى لم أتلُق شيئا بعد ، وعهدى بزوجى أنه دقيق فى مواعيد خطاباته ، فعمل البريد تأخر لسبب من الأسباب •

وفى تلك اللحظة رن جرس الباب رنينًا حادا ، ثم أقبلت حنا تحمل مظروفا ، وقالت وهى تقدمه مرتجفة كأنما هى تخشى أن يتفجر فى يدها :  
— إنها رسالة من تلك التى يسمونها برقيات •

وما إن سمعت مسز مارش كلمة برقية ، حتى اختطفتها وقرأت المسطور التى احتوتها بمنتهى السرعة ، ثم غاض الدم من وجهها ، وتهالكت على مقعدها كأن رصاصة أصابتها فى قلبها • واندفع لورى الى خارج الغرفة يحضر ماء من أسفل الدار ، وهرعت ميج وحنا الى الأم تسندانها ، وقرأت جو البرقية فى صوت واجف ، وكانت كلماتها القليلة تقول :

« مسز مارش ، زوجك مريض جدا ، احضرى حالا •

من س • شيل

مستشفى بلانك • واشنجتون »

وفعلت البرقية عجبًا فى الغرفة ، فقد خيم على الجالسين صمت مطلق ، وغشى الوجوه عبوس وشجن ، والتفت البنات حول أمهن فى ذعر على أبيهن الحبيب ، مصدر سعادتهن فى الحياة وعائلهن الوحيد • وعندما استردت مسز مارش سيطرتها على نفسها ، عادت الى البرقية تقرأها من جديد . ثم مدت ذراعيها الى بناتها ، وقالت فى صوت عامر بالتأثر :

— سأذهب اليه حالا ، ولعللى أصل قبل قوات الأوان ، آه  
يا أطفالى ! ساعدنى وكن لى عوناً على الاحتمال .

ومضت دقائق لم يكن يسمع خلالها سوى نحيب البنات ، وقد  
اختلفت بعبارات التشجيع والمواساة ، أو همسات الأمل التى تتلاشى بين  
الدموع السخية ، وكانت حنا أول من أفاق من الصدمة ، وضربت للجميع  
مثلاً يحتذى لرجاحة العقل والثبات ، إذ قالت وهى تمسح دموعها  
بطرف مرولتها ، وتشد على يد سيدتها مشجعة :

— ليحفظ الله زوجك ويشفيه يا سيدتى ، فلا تضعى الوقت فى  
النواح ، وأسرعى بأعداد حقيبتك .

وانصرفت فى عزيمة كأنها ثلاث نساء تقمصن جسد امرأة واحدة ،  
فقالت الأم لبناتها :

— ان حنا على صواب ، فليس فى الوقت متسع للدموع ،  
فاهدأن واتركنى أفكر قليلاً .

وبينما حاول البنات المسكينات أن يعملن بنصيحتها ، جلست مسز  
مارش رابطة الجأش رغم شحوب لونها ، تحاول السيطرة على حزنها  
لتفكر فيما يجب أن تفعل .

قالت بعد قليل :

— أين لورى ؟

وكانت أشجان الفتيات أوجعت قلب صديقتهن الجنون ، فاختلف  
الى الغرفة الأخرى وحده ، فلما سمع مسز مارش تسأل عنه ، أقبل  
عليها مسرعاً يقول :

— ها أنا ذا يا سيدتى •

قالت له :

— ان أول قطار يقوم صباح الغد . فأبرق الى المستشفى بموعد

• وصولى

قال ، وقد بدا على استعداد لخدمتها وتلبية رغباتها ، حتى اذا

كانت فى آخر الدنيا :

— وماذا تريدان أيضا ؟ ان العربة تنتظر بالباب ، ويسرنى أن

أذهب الى أى مكان وأعمل ما تريدان •

قالت :

— أرجو أن تحمل رسالة الى العمه مارش ، أعطينى يا جو قلما

• وورقا •

وأحضرت الفتاة ورقة بيضاء من كراس مذكراتها ، وسحبت

منضدة صغيرة وضعتها أمام أمها • وكانت تعلم ألا مفر من اقتراض

بعض المال ، حتى تستطيع أمها أن تقوم بنفقات رحلتها المحزنة ، وتمنت

فى قرارة نفسها أن لو كان فى مقدورها أن تفعل أى شىء لتضيف قليلا

الى المبلغ ، فى سبيل أبيها الحبيب •

ولما انتهت مسز مارش من رسالتها ، قالت للورى :

— خذ هذه الرسالة يا عزيزى ، ولا داعى لأن تستميت فى الاسراع

بها ، فما زال أمامنا بعض الوقت •

ولكن الفتى لم يستمع لرجائها ، فما إن مضت خمس دقائق ، حتى

كان يمتطى حصانه ، ويمر به كالسهم أمام النافذة ، في طريقه الى بيت العمّة مارش •

وقالت الأم :

- اذهبي يا جو الى مسز كنج واعتذري لها من عدم حضوري ، وفي عودتك أحضري الأشياء المكتوبة في هذه الورقة ، فان المستشفيات في هذه الأيام غير كاملة الاستعداد ، وربما احتجت الى بعض العقاقير في تمرير أبيض ، وأنت يا بث اذهبي الى مستر لورنس واطلبي منه زجاجة نبيذ معق ، فاني أحب أن أقدم لأبيك أحسن الأشياء ا ولو اضطرني الأمر الى التسول في الطرقات • وأنت يا أمي قولي لحنا أن تأتيني بحقيقتي السوداء ، أما أنت يا ميج فعليك أن تساعديني في جمع حاجاتي لأنني في أشد الاضطراب •

وكان خليقا بالسيدة أن تضرب ، وعقلها موزع بين الكتابة والتفكير ، واصدار الأوامر ، فرجتها ميج أن تجلس في غرفتها هادئة ، وتترك لهن العمل • وانتشر البنات في أرجاء البيت ، كما تنتشر أوراق الخريف في يوم عاصف ، واختفى السكون والهدوء عن البيت السعيد ، كأنما كانت تلك البرقية نذير شؤم وشر •

وجاء مستر لورنس العجوز مع بث مسرعا ، وكان يحمل معه كل ما يراه مفيدا للمريض ، وطمأن الأم الى أنه سيرعى البنات في غيابها ، وبذلك أدخل على قلبها راحة واطمئنانا • ولم يقف في سخائه عند حد ، فقد أعطاها معطفه ليقبها من البرد ، وأبدى منتهى استعداده لمرافقتها في رحلتها ، ولكنها أبت عليه أن يتحمل هذه المشقة ، وإن كانت تتمنى في قرارة نفسها من يعينها على وعناء السفر ، ويقونها على احتمال

متاعب الرحلة الطويلة • ورأى السيد العجوز ما ارتسم على وجهها ،  
فقطب حاجبيه وفرك كفيه ، ثم انصرف عن الحجرة هادئا • ولم ينتبه  
أحد لخروجه ، ولم يفكر فيه ، الى أن أقبلت ميج تجرى وقد حملت  
في إحدى يديها حذاء أمها المطاط ، وفي الأخرى فنجانا من الشاي •

وما إن ولجت الباب حتى رأت فجأة مستر بروك يقف بمدخل  
الدار • قال لها في صوت هادىء عطوف بعث بعض الطمأنينة الى  
قلبها الحائر :

— تأملت كثيرا لتلك الأخبار السيئة يا آنسة مارش ، وقد جئت  
أقدم نفسى راجيا أن تسمح لى والدتك بمرافقتها في سفرها ، ومن  
دواعى راحتى وسعادتى أن تقبل منى هذا الرجاء •

وسقط الحذاء من يد الفتاة ، وكاد الشاي ينسكب من يدها الأخرى  
وتورد وجهها اعترافا بجميله ، ومدت يدها اليه تصافحه شاكرا • وكان  
مستر بروك يعتبر هذه اليد مكافأة عظيمة تزيد كثيرا على توضيحته  
الصغيرة ببعض مجهوده ووقته •

قالت الفتاة :

— يا للعطف والكرم ! لست أشك في أنه يسر أُمى أن تسافر في  
رفقتك ، ولا أظن إلا أنها ستنال كل الراحة معك ، فشكرا لك ،  
شكرا جزيلا •

وكانت ميج تتحدث باخلاص وحرارة أنستها نفسها ، ولكن شيئا  
في تلك العيون العسلىة التى تنظر إليها ، جعلها تذكر فنجان الشاي الذى  
كاد يبرد في يدها ، فقادت الضيف الى الردهة ، وذهبت تنبئ أمها  
بقدومه •



وعاد لورى من عند العمة مارش ، يحمل المبلغ المنشود ، مع رسالة تعيد فيها ما سبق أن قالته مرارا ، من أنها كانت سخافة من مستر مارش أن يلتحق بالخدمة العسكرية التى لن تعود عليه بالخير ، وأنها تأمل أن يستمع لنصحها فى المرة القادمة • وألقت مسز مارش الرسالة فى الموقد ، وأودعت النقود حقيبتها ، وراحت تكمل استعدادها ، وقد زمت شفتيها ، دليل ثورتها النفسية المكبوتة •

ومضى عصر ذلك اليوم الحزين ، وقد أدى كل عمله على أكمل وجه ، ثم جلست ميج مع أمها تحوك الأشياء الضرورية ، وعكفت أمى وبث على اعداد الشاى ، وانتهت حنا من كي الملابس • وقد حدث ذلك كله ، وجو لم تعد الى البيت بعد ، مما بعث القلق فى نفوس أمها وأخواتها ، لأنها لم تكن قد أخبرت أحدا بوجهتها ، فخرج لورى يبحث عنها وهو يسأل نفسه : أية فكرة عجيبة تملك رأس الفتاة ؟ ولكن بحثه ذهب عبثا ، فما إن انصرف عن البيت يبحث عنها ، حتى أقبلت من طريق آخر تسير بسرعة ، وفى عينيها نظرة عجيبة يمتزج فيها الخوف بالسرور ، ويختلط الرضا بالندم • وتوجهت الى أمها مباشرة ، وقدمت لها رزمة من الأوراق المالية ، وقالت بصوت مختنق بالتأثر :

— هذا نصيبى من وإجبنا نحو أبى ، فأرجو أن تستعيني به على توفير بعض الراحة له حتى يعود •

قالت الأم فى دهشة بالغة :

— خمسة وعشرون ريالاً ! كيف أتيت بها ومن أين ؟ أرجو أن لا تكونى قد أتيت عملا طائشا لتحصلى عليها يا جو ؟

قالت الفتاة :

— لا . إنه مال حلال ، لم أتسوله ولم أقترضه ولم أسرقه ؛  
إنما جئت به عن أشرف الطرق وأنظفها ، ولن يلومنى أحد اذا كنت قد  
بعث شيئا أملكه .

ورفعت قبعتها عن رأسها ، فبان شعرها وقد قصته قصيرا جدا ،  
فتصايح أخواتها ، وقالت أمها فى انزعاج شديد :

— شعرك ! شعرك الجميل ! كيف جرؤت على قصه يا جو ؟ إنه  
الشيء الجميل الوحيد فيك ! لم تكن فى حاجة الى هذه التضحية يا بنيتى  
العزيزة ، ولكنى ازددت لك حبا بما فعلت .

وبينما الأسرة فى هرج ومرج لما فعلته جو بشعرها ، قامت بث  
الى أختها الحبيبة تحتضنها فى إغزاز وحنان ، وتمر بيدها الرقيقة على  
رأسها ، كأنها تريد بذلك أن تعبر لها عن تقديرها العظيم لتضحياتها  
الغالية . فقالت جو وهى تثير بيدها شعرها القصير وتنتظر بعدم  
الاكتراث :

— كفى نواحا يا بث ، فلن يصيب الوطن ضرر مما جرى . كان  
غرورى بشعري قد بدأ يقهرنى ، فرأيت من صالحى أن أقصه . لقد  
خففت الحمل عن رأسى ، وسوف ينشط عقلى بزوال هذه المعرفة ، كما  
أنى أحس بطراوة الجو وجماله . لقد أكد لى الحلاق أن شعري لن يلبث  
أن ينمو سريعا ، فتظهر به تجاعيد جديدة ، تجعله صبيانيا أنيقا ،  
سهل الترتيب والتنظيف . إنى راضية بما حدث فأرجو أن تتقبلى النقود  
يا أماء ، وهيا بنا الى العشاء .

قالت مسز مارش :

— أما أنا فغير راضية عما فعلت يا جو ، ولا ألوئك ، لأنى أعرف مدى استعدادك للتضحية بكبريائك فى سبيل من تحبين • لم يكن من الضرورى أبدا أن تقصى شعرك ، وأخشى أن يلحقك الندم فى يوم من الأيام ، فأخبرينى بكل ما جرى •

قالت جو فى كبرياء ، وقد اطأنت الى أن فعلتها لم تلق رفضا على طول الخط :

— لا ، لن أخبرك يا أماء •

وقالت أمى ، وكان أهون عليها أن تقطع رقبتها من أن يقص شعرها الجميل :

— ما الذى دفعك الى فعل ذلك ؟

قالت جو ، وقد التأم شمل الأسرة حول مائدة الطعام ، وجلس البنات — كسأن الشباب — يأكلن بشهوة رغم أحزانهن :

— انتابتنى رغبة صارخة فى أن أساهم بشىء فى معونة أبى على الشفاء ، ولما كنت كأمى أمقت القروض ، وأعلم أن العمة مارش سترفض معونتنا لشحها ، وكانت مبيح قد ساهمت بمرتبها فى دفع أجرة البيت ، لذلك بحثت عن شىء أبيعته ، فلم أجد سوى ملابس قليلة ، فأشقتانى شعورنى بالعجز ، ولم أجد أمامى سبيلا الى الحصول على المال سوى أن أجدع أنفى وأبيعته •

فقالت مسز مارش وهى تلقى عليها نظرة حنان أفعمت قلب الفتاة

بالسعادة :

— ما كان يجدر بك أن تشقى يا بنيتى ، فان راتبك الضئيل لم يسمح لك بشراء ملابس هذا الشتاء رغم احتياجك الشديد اليها .

قالت :

— لم يجلب بخاطري أول الأمر أن أبيع شعري ، ولكن بينما كنت أسير في الطريق ، وأنا أفكر فيما يمكنني عمله ، وأتمنى لو كان في مقدوري أن أدخل حانوتا من تلك الحوانيت الأنيقة ، أغترف منه ما أريد ، مررت بمحل حلاق ، ورأيت في واجهته جدائل سوداء مستعارة ، ليس فيها ما يضارع جدائلي جمالا وطولا ، ومع ذلك كان ثمن الواحدة منها أربعين ريالاً ، وعندئذ وانتنتى الفكرة ، واستقر رأيي على أن أبيع شعري من أجل أبى . ولم أقف لأفكر في الأمر ، بل اندفعت الى داخل المحل مسرعة ، وسألت الحلاق إن كان يشتري شعري وكم يدفع ثمنا له .

فقالت بث في صوت ملء بالهلع :

— لا أدري كيف جرؤت على ذلك ؟

قالت :

— كان الحلاق رجلاً صغير الحجم ، بالغ الأناقة ، يصف شعره ويلمعه بالدهون ، فوقف يحملق في أول الأمر ، كما لو كنت أول فتاة اقتحمت عليه محله لتبيعه شعرها ، ثم قال إن لون شعري كثير في السوق ، واعداده للبيع يتكلف غالياً ، الى غير ذلك من العبارات المقبضة . وكان الوقت قد تأخر بى ، فخشيت إن طال الجدل بيننا أن أعدل عن بيع شعري ، وهو مالا أريده أمام رغبتى الجارفة في تحقيق غرضي بأى شكل كان ، ولذلك شرعت أرجوه وأستعطفه أن يشتريه ، وفي غمرة انفعالي سردت عليه لماذا أريد النقود . كانت سخافة منى ولا ريب ،

ولكن الانفعال الذى تملكنى وأنا أحدثه عن والدى أثر فيه ، فعدل عن رأيه ، كما أن زوجته سمعت حديثى ، فقالت فى رقة : « خذه يا توماس إرضاء للسيدة الصغيرة ، لو كنت مكانها ما ترددت فى التضحية بشعرى من أجل جيمى ، وما توانيت عن بيعه اذا كان يساوى شيئاً » ♦

وكانت آمى بطبعها تهتم بالتفاصيل ، فقالت :

— ومن يكون جيمى هذا ؟

قالت جو :

— إنه ابنها الذى تطوع فى الجيش ، وقد قربنى الى قلبها تشابه ظروفنا ، وأزال الكلفة بينى وبينها ، فجعلت المرأة تحدثنى وتلهينى عن التفكير فى أثناء قيام زوجها بقص شعرى ♦

فسألتها ميج وبدنها يقشعر لهول الوصف :

— ألم تشعري بفضاعة الأمر عندما قص أول خصلات شعرك ؟

قالت :

— ليس من عادتى أن أنوح على صفائر الأمور ، ولذلك اكتفيت بأن ألقيت على شعرى نظرة وداع قبل أن يعمل الحلاق فيه بمقصه ، ولكنى شعرت بغصة فى جلقى عندما رأيت جدائلى على المائدة ، وخيل الىّ أننى بترت ذراعى أو ساقى ، ورأيتى زوجته أتطلع الى شعرى فى أسف وحسرة ، فتناولت منه خصلة وقدمتها لى تذكارا ♦ وسوف أعطيك إياها يا أماه كى تذكرك بمجد شعرى الزائل ، فلا أعتقد أننى سأرسله على ظهري مرة أخرى ، كما كنت أفعل فيما مضى ♦ إن الشعر القصير مريح للغاية على كل حال ♦

وطوت مسز مارش الخصلة الكستنائية المتموجة ، ووضعتها في درجها الى جانب خصلة أخرى من الشعر الأسيب القصير ، ثم قالت :

— شكرا لك يا عزيزتى •

وكان في صوتها رنة حزن دفين ، جعلت الفتيات يغيرن موضوع الحديث ، ويتكلمن في مرح مصطنع عن لطف مستر بروك ، وأملهن أن يكون الجو صحوا في اليوم التالي ، ثم الأوقات السعيدة التي تنتظرهن عندما يعود أبوهن الى البيت في دور نقاهته •

ولم تبد واحدة رغبتها في النوم ، حتى وافت الساعة العاشرة ، فوضعت مسز مارش أدوات التطريز في سلتها ، ثم دعت البنات الى الغناء ، وجلست بث الى المعزف توقع عليه أحب أنشودة الى أبيها • ووقف أخواتها حولها يغنين بشجاعة ، ولكنهن سكتن الواحدة بعد الأخرى حتى لم يعد يسمع سوى صوت المعزف ومعه بث تغنى بكل قلبها ، فقد كانت الموسيقى دائما وسيلتها الى السلوان والعزاء •

ولما انتهى النشيد ، قالت مسز مارش ، وقد لاحظت عزوف بناتها عن الغناء :

— هيا الى أسرتهن ، فعلينا أن نستيقظ مبكرات ، وأخشى أن يأخذنا النوم اذا أطلنا السهر • سعدتن مساء أيتها العزيزات •

وفي هدوء وسكون قبل الفتيات أمهن ، ثم انصرفن الى أسرتهن في صمت ، كأن أباهن المريض يرقد في الحجرة المجاورة • وسرعان ما غرقت أمى وبث في نومهما ، رغم هموم اليوم وأحزانه ، ولكن ميج ظلت ساهرة تفكر في أمور جدية ، لم يسبق أن خطرت لها على بال من قبل • ورقدت

جو ساكنة بلا حراك ، فظننتها أختها نائمة ، حتى أفلتت منها نوحه مكبوتة ، جعلت ميح تنهض اليها وتمد يدها الى خدها لتجده مبللا بالدموع . قالت :

— ماذا بك يا عزيزتي جو ؟ أتبكين من أجل أبي ؟

قالت :

— لا . لست أبكي الآن من أجله .

قالت :

— لماذا تبكين اذا ؟

قالت جو :

— شعري .

وانفجرت المسكينه تبكي في حرقة وهي تحاول أن تخفى عبراتها في وسادتها . ولم يكن في ذلك ما يسر ميح ، فانحنت على أختها تضمها بين ذراعيها مشجعة مواسية .

قالت جو ، والعبرات تخنقها :

— لست نادمة على ما فعلت ، ولن أتردد في فعله مرة أخرى ، إنما

هي كبريائي الفارغة تستدرج هذه العبرات السخيفة . لن أبكي بعد الآن ، فلا تخبري أحدا ، ولكن ، ما الذي أبقاك ساهرة الى الآن ؟ لقد ظننتك نائمة ، فأطلقت أنة صغيرة من أجل جمالي الضائع .

قالت ميح :

— إن القلق يسهدني .

قالت جو :

— اسرحي بخيالك فيما يسر يعاودك النوم حالا .

قالت :

— لقد حاولت ذلك فزاد بي الأرق •

قالت :

— وفيم كنت تفكرين ؟

قالت ميج وهى تبتسم لنفسها فى الظلام :

— فى وجوه وسيمة ، ذات عيون جميلة •

قالت جو :

— وما لون العيون الذى تفضليه ؟

قالت :

— العسلية • • أقصد الزرقاء فى بعض الأحيان تعجبينى •

وضحكت جو ، فتهرتها ميج وأمرتها أن تكف عن الكلام ، ثم عادت فوعدها بأن تجعد لها شعرها القصير • وما لبثت ميج أن غلبها النعاس ، لتعلم بالحياة فى قصرها الذى بنته فى الهواء •

وبينما كانت الساعة تدق معلنة منتصف الليل ، انسل شبخ فى هدوء وسكون ، وجعل يطوف من فراش الى فراش ، يسوى الغطاء على هذا ، ويعدل وسادة فى ذلك ، ويقف ممعنا بعض الوقت فى الوجه النائم ، ثم يطبع عليه قبلة خفيفة من شفاه ساكنة ، ويدعو الله فى صلاة حارة ، لا تنطلق الا من صدر أم حنون • ورفعت مسز مارش جانبا من الستائر ، وسرحت ببصرها فى الليل الساكن ، وفجأة برز القمر من وراء السحب المعتمة ، وألقى ضوءه الفضى من قرصه اللامع البراق الذى بدا كأنه يهمس قائلا :

— ليطمئن قلبك العزيز ، إن الغيوم لن تلبث أن تنقشع ، فينبج

النور بعد الظلام •



## الفصل السادس عشر

### رسائل

استيقظ الفتيات مع عتمة الفجر البارد . فأضأن المصباح ورحن يصلين في إيمن خاشع ، لم يسبق لهن أن شعرن بمثل شدته . إذ كانت هذه أول مرة يتهدهن فيها خطر حقيقي ، وأدركن معه عظم النعمة التي كانت تملأ حياتهن من قبل . وبعثت الصلاة راحة في قلوبهن ، فلرثنين ثيلهن وقد استقر رأيهن على أن يودعن أمهن في بشر ونفاؤل ، حتى لا يزدن همومها بالبقاء ، فتبدأ رحلتها مطمئنة النفس واضية .

وكان السكون يسود المدينة خارج البيت ، على عكس الحركة التي تدب في داخله ، فما إن هبطن انسلم الى الردهة حتى رأين الافطار معدا في تلك الساعة المبكرة ، وقد بدا لهن تناول الطعام أمرا عجيبا في مثل هذا الوقت ، ولكن شكل حنا كان أعجب وأغرب ، وهي تسرع جيئة وذهابا بين المطبخ والردهة في ثوب نومها وقلنسوة رأسها . ورأين الحقيقية الكبيرة معدة بجوار الباب ، وعباءة الأم وقبعاتها موضوعتين على الأريكة . وأمهن نفسها تجلس أمام مائدة الافطار ، وهي تحاول أن تغري نفسها بالأكل ، ولكنها كانت ممتعة الزون لطول الأرق والقلق ، فكان عسيرا على البنات أن يتظاهرن بالهدوء والمرح ، بعدما رأين في سيما الأم من صور الألم والشجن . واغرورت مقلتا ميج بالرغم منها ، واضطرت جو أكثر من مرة أن تخفى وجهها وراء أدوات الطعام التي تحملها ، أما الصغيرتان فقد اكتسى وجهاهما بغشاوة من الوجوم وكأنهما تجريلن شعور الحزن لأول مرة .

( م ٢١ - نساء صفيرات )

وجلسن في انتظار العربة هادئات ، ولم يتبادلن سوى كلمات قليلة ، فلما اقترب موعد الرحيل ، قالت مسز مارش لبناتها اللواتي شغلن بأمرها : هذه تصلح ثيابها ، وتلك تسوى ثرائط قبعتها ، وثالثة تلبسها حذاءها ، ورابعة تقفل حقيبة يدها :

— إنى أترككن يا أطفالى فى رعاية حنا وحماية مستر لورنس ، فطاهيتنا أصدق مثل للاخلاص ، وجارنا خليك بأن يمنحكن رعاية الأب الحنون وحمايته . ولكننى رغم شديد اطمئنانى عليكن ، أحب أن تحسن التصرف فى هذا الطرف السيء ، فلا تستسلمن للحزن والقلق عند ذهابى ، أو تهربن من الأحزان بالوحدة والانزواء . إن فى العمل عزاء كريما ، فاعمن بجد واجتهاد ، واملن فراغن بكل طيب مفيد ، واذكرن دائما أن شقاوة لن تصيكن مهما كانت الظروف .

قالت الفتيات :

— سنطيعك فى كل ما تريدين يا أماه .

قالت الأم :

— أنت يا عزيزتى ميج ، كونى حريصة وراقبى أخواتك ، واستشيرى حنا فى كل ما يشكل عليك . واذا استعصت عليك المشورة فاذهبى الى مستر لورنس . وأنت يا جو ، لا تكونى ضيقة الصدر ، ولا تنسى ضبط النفس . وعليك أن تكتبى الى بالأخبار دائما ، وكونى شجاعة مرحة لتعاونى أخواتك على الاحتمال . وأنت يا بث ، اطلبى العزاء فى معزفك . فالموسيقى أطيب غذاء لنفسك ، وكونى أمينة فى أداء واجباتك المنزلية الصغيرة . أما أنت يا أمى ، فابذلى المساعدة ما أمكنك وكونى مطيعة ، وابقى فى البيت سعيدة آمنة .

## أجاب الفتيات :

— سنفعل ما تأمرين به يا أماء •

وتعالى في الطريق ضجيج عربة قادمة ، فأجفل البنات وآرفهن  
السمع ، لاقترب اللحظة العصيبة • ولكنهن ثبتن أمام لوعة الوداع  
فلم تبك واحدة منهن ، أو تنطق بكلمة محزنة ، رغم ما أثقل قلوبهن  
من هم • وأوصين أمهن بأن تحملن لأبيهن عبارات الشوق والحب . على  
الرغم مما جال بخواطرهن ، من أن تلك العبارات قد لا تصل إليه  
أبدا •

وكان مستر لورنس وحفيده قد حضرا لتوديعها أيضا ، وكان مستر  
بروك يبدو قويا رزيناً عطوفاً ، حتى قال الفتيات إنه صورة للمسيد  
المهذب الطيب •

ولاذ الفتيات بصدر أمهن مودعات في هدوء ، فهمست مسز مارش  
وهي تقبل الوجوه العزيزة واحدا بعد الآخر ، قبل أن تصعد إلى العربة :

— إلى اللقاء يا عزيزاتي ! وليباركنا الله ويحفظنا جميعا •

وتظاهر الفتيات بالبشر ، ورفعن أيديهن مودعات ، وكانت مسز  
مارش تطل عليهن من نافذة العربة ، فظل وجهها مائلا حتى طواها  
الطريق ، وعندئذ برزت الشمس فوق الأفق ، كأنها تبشرهن بالخير ،  
وألقت نورها على الجماعة التي تقف أمام باب الدار ، ورأتها الجماعة  
غابتسموا وهتفوا متفائلين • وكان آخر ما رآته الأم أربعة وجوه صبيحة ،  
من خلفها يقف مستر لورنس العجوز ، وحنا المخلصة ، ولورى الصديق  
العزیز ، كأنهم حرس يقوم على حماية بناتها العزيزات :

والتفتت مسر مارش الى رفيقها في العربة ، فرأت في وجهه الفتى  
معانى جديدة ، كلها عطف واحترام ، قالت :

— لقد غمرتمونا بعطف شديد •

فضحك مستر بروك ضحكة لطيفة ، ثم تتمالك السيدة معها إلا أن  
تبتسم • قال :

— هذا أقل ما يجب •

وهكذا بدأت الرحلة الطويلة بشمس مشرقة ، وبسمات طيبة ،  
وكلمات رقيقة مشجعة •

وعندما ذهب مستر لورنس وحفيده الى بيتهما تناول الافطار ،  
قالت جو :

— إنى أشعر كأنما قد زلزلت الأرض زلزالها •

وقالت ميج فى وجوم :

— وأنا أحس بأن نصف ما فى البيت قد ذهب •

وغتحت بث فمها لتقول شيئاً ، ولكنها توتفت وأشارت بيدها الى  
مجموعة من الأحذية اصطفت فوق منضدة أمها فى عناية ونظام ، كأنها  
تريد بهذه الاشارة أن تؤكد لأخواتها أنها قامت بواجبها ، رغم همومها  
وأحزانها • وكان جهداً تافها فى حد ذاته ، ولكن معناه الجميل لمس  
قلوب أخواتها ، فانهارت مقاومتهن دفعة واحدة ، وانفجرن فى عاصفة  
من البكاء المرير •

ورأت حذوا أن تتركهن يفرغن بالبكاء أحزانهن ، فسكب الدمع

مدلرا ، حتى هدأت العواصف في قلوبين ، وعندئذ فقط أقبلت الطاهية  
الظبية تحمل إبريقا عامرا بالقهوة الساخنة . ثم قالت :

— والآن يا سيداتي العزيزات ، تذكرن نصيحة أمكن ، واتركن  
الحزن والبكاء ، وهيا الى القهوة ، ولنغرق بعدها أنفسنا في العمل ، لنكون  
جديرات باسم هذه الأسرة •

وكانت حنا قد بذلت في صنع القهوة مجهودا عظيما ، فجاءت  
لذيذة الطعم جميلة النكهة ، وكانت أبخرتها المشهية أعظم محرض  
للفتيات على شربها ، فجلسن الى المائدة يملأن فناجينهن من الأبريق ،  
ويكفكن الدمع بالمناديل والقوط • ولم تمض عشر دقائق حتى عادت الأمور  
الى مجاريها •

قالت جو ، وهي تسترد سيطرتها على مشاعرها :

— علينا بالأمل والعمل ، فبهذا نصحتنا أمي ، ولذلك سوف أذهب  
كعادتي الى العمه مارش ، رغم ما ينتظرني من نصحتها ونقدها •  
وقالت ميج ، وقد ساءها احمرار عينيها :

— وسأذهب لعملي عند آل كنج ، وإن كان بودي أن أبقى اليوم  
في البيت أدبر شئونه •

— فقالت أمي في اعتداد :

— لا داعي لذلك ، ففي وسعي أنا وبث أن نؤدي أعمال البيت على  
ما يرام •

وكانت بث تعد الحوض للغسل ، فقالت تتم حديث أختها :

— سوف ترشدنا حنا الى ما يجب أن نعمله ، وسيكون البيت منظماً عند عودتكما •

وقائت آمى وهى تلتهم قطعة من السكر :

— إن القلق شعور مثير •

وضحك البنات عاليا لقولها ، فارتاحت صدورهن بالضحك ، وهزت ميج رأسها عجبا من تلك الفتاة التى تتاوم الحزن بالتهام قطع السكر !

وسرعان ما استعدت جو وميج لعملهما ، وخرجتا من البيت ، وعند منعطف الطريق التفتتا خلفهما كعادتهما ، تنظران الى النافذة التى اعتادت الأم أن تودعهما منها كل صباح ، فطالعهما وجه بث المتورد ، يومئذ انيهما فى ابتسامة مشرقة ، فقد عز على الصغيرة الطيبة أن تنصرف اختاها حزينتين ، ولذلك اختارت أن تقوم بدور الأم الغائبة • ولوحت جو بقبعتها تشكر لأختها لفتتها الحنون ، وقالت لميج قبل أن تفترق عنها عند المنعطف :

— هذا ما كنت أتوقعه من العزيزة بث ، الى اللقاء يا ميجى •  
وأتمنى أن لا يرهقك آل كنج ، ولا تقلقى من أجل أبى •

فردت ميج وهى تكبت بسمة بعثها منظر شعر جو القصير :

— وآمل أنا أيضا أن لا تثيرك العممة مارش بنقدها المر ، ولا تستائى إن نعلت ، فان شعرك جميل وشكله صيبانى لطيف •

فربتت جو على قبعتها وقالت :

— هذه عزائى الوحيد .

وسارت فى طريقها ، كما يسير حمل مجزوز الصوف فى يوم عبوس  
تمطير .

وجاءت الأخبار عن أبيهن تبعث الراحة والأمل ، فرغم خطورة  
مرضه ، تحسنت حاله على أثر حضور زوجته الطيبة ، التى كانت له  
أحسن ممرضة وأرق مواسية .

وقام مستر بروك بارسال نشرة يومية لابنات يطلعهن فيها على صحة  
أبيهن . وأصرت ميح — بحكم أنها أكبر الأسرة سنا — أن تقرأ عليهن  
هذه النشرات بصوت مرتفع . وجعلت أخبار النشرات تتحسن يوماً  
بعد يوم ، فيزداد بها سرور البنات واطمئنانهن ، وتتضاعف قابليتهن  
لكتابه الخطابات لأمن . فكانت المظاريف المفعمة بالصفحات الطويلة  
المليئة بالأخبار ، ترسل كل صباح الى مقر الأم فى واشنطن ، أحسن  
البلاد وعاصمتها . ولما كانت تلك الرسائل تحوى أخبارا ترسم صورة  
نموذجية ، لذلك نسترق بعضاً منها ، نقدمه فيما يأتى :

« يا أعز الأمهات

لا يمكنك أن تتصورى مبلغ السعادة التى بعثها فينا خطابك الأخير ،  
فلم نتمالك أنفسنا من أن نضحك ونبكي فى وقت واحد . إنه لحظ جميل  
أن تستدعى أعمال مستر لورنس بقاء مستر بروك فى واشنطن طوال  
هذه المدة ، ففى وجوده قريباً منك ، عون كبير لك ولأبى . إن الفتيات  
على أحسن حال ، نجو تساعدنى فى التطريز ، وتصر على أداء الأعمال  
الشاقة . وهى تعمل فوق طاقتها ، ولكنى غير قلقة عليها ، لمرفتى بأن  
« نوبة التضحية » التى تتملكها الآن ، لن تدوم طويلاً . كذلك بث تقوم

بعملها كالساعة الدقيقة ، لا تنسى شيئاً مما أوصيتها به ، ولكن مرض  
أبى يحزنوا دائماً ، ولا تكف عن حزنها إلا عندما تجلس الى معزفها ••  
أما أمى فهادئة مطيعة . وأنا أرهاها بكل عناية ، وقد تعلمت الآن أن  
تمشط شعرها بنفسها ، كما أنها بدأت تتعلم عمل عروات الأزرار ، وتبذل  
جهداً كبيراً في ذلك ، وسوف يسرك مدى التقدم الذى بلغته عندما  
تعودين •

« مستر لورنس يحدب علينا ويرعانا كالدجاجة العجوز ، على حد  
تعبيره ، ولورى الطيب يرعى حقوق الحيرة ، وعندما يخيم علينا الحزن ،  
ونشعر كأننا أيتام لبعدكم عنا ، يقوم هو وجو بتوفير أسباب السرور  
والمرح لنا • أما حنا فهي الطيبة بعينها ، لا تؤنبنا مطلقاً ، وتصر على أن  
تنادينى « بالآنسة مارجريت » وتعاملنى بكل احترام •

« إننا جميعاً بخير لا نكل عن العمل ، ولكننا نتوق لعودتكم ،  
ونفكر فيكم بالليل والنهار • بلغى أبى خالص محبتى ، ودمت لابنتك  
ميج •»

وكانت هذه الرسالة المكتوبة على ورق معطر ، تختلف كل الاختلاف  
عن رسالة أخرى ، كتبت على ورقة كبيرة ، من النوع الرخيص ، فى خط  
كبير الحروف ، تتخلاه بقع الحبر ، وقد جساء فيها :

« أمى الغالية :

« تحيات ثلاث لأبى العزيز ! كان تصرفا هائلاً من بروك أن يرسل  
برقية حال وصولكم ليظمئنا على صحة أبى • لقد قفزت من حجرتى  
سروراً عند وصول البرقية ، وحاوت أن أشكر الله لرأفته بنا . ولكن  
اندموع غلبت حسراتى فوجدتنى أبكى وأقول :



إبنى غرحة ! إبنى غرحة ! أفلا تقوم هذه الجملة مقام الصلاة ؟  
إبنى أشعر بأن قلبي مفعم بالشكر لله عز وجل .

« إننا نمضى بعض وقتنا فى الضحك والسرور ، ويمكننى الآن أن  
أتمتع بهذه السويغات المرحية ، فكهم يرعانا ويحدب علينا ، كأننا نعيش  
فى برج سعيد للحمام .

« قد يضحك كثيرا أن ترى ميج الآن ، وهى تتراس مائدة الطعام ،  
وتحاول أن تكسب نفسها مظاهر الأومومة . إنها تزداد حسنا كل يوم ،  
وإبنى أحبها فى بعض الأحيان . أن الصغيرتين فى ظهر الملائكة وطيتها ،  
أما أنا - أنا جو - فسأبقى كما أنا . لقد كادت تنشب بيتى وبين لورى  
معركة حامية ، فقد قلت رأبى بصراحة فى أمر تافه صغير ، وكنت على  
حق ، ولكنى أسأت التعبير ، فغضب منى ووقفل راجعا الى بيته ، وهو  
يهدد بأنه لن يعود الى زيارتنا حتى . أعترز له ، وأطلب الصفح منه .  
فجن جنونى لتحديه ، وأجبت بأننى لن أعترز له أبدا ، ودام الخصام  
طوال اليوم ، وانتابنى حزن شديد . وتمنيت لو كنت معى لتقودينى  
الى الصواب ، لأن شخصية لورى مثل شخصيتى تماما ، فكلانا عنيد  
معتد برأيه . وظننت فى بداية الأمر ، أنه لن يلبث أن يقرضى على ما قلت  
ما دمت على حق ، ولكنه أم يأت ، ولم يرجع عن رأيه . وعندما ولى  
النهار ، وأظلمت الدنيا ، تذكرت يوم سقطت أمى فى النذر ، فنصحتنى  
بأن لا أدع شمس اليوم تنيب وقلبى مفعم بالغضب . وانكبت على  
كتاب العظات أقرأ فيه بشغف ، حتى ارتاح قلبنى قليلا ، وعندئذ  
هبطت السلم جريا ، وكلى رغبة فى أن أعترز لورى . وقابلته عند باب  
الدار قادما ليعترز لى بدوره ، فضحكنا معاء واعتذر كلانا لآخر .  
وبذلك زال التوتر ، وعادت المياه الى مجاريها .

« لقد نظمت أمس قصيدة ، في أثناء مساعدتي لحنا في غسل الملابس ولما كنت أعرف أن أبى يحب سخاغاتي ، فقد كتبتها في هذا الخطاب لتسليته ، وأرجو أن تبلغيه شوقى وحبى ، وقبلى لى نفسك اثنتى عشرة قبلة •

من ابنتك المهووسة

جو

أغنية من وحى طست الغسيل

يا ملكة الطست إنى أغنى فى حبور

ورغوة الصابون تعلو وترتفع

وأنا أئطف وأعصر فى سرور

ثم أشبك الملابس حتى تجف

فوق الحبال ، فى الهواء النقى

تحت السماء الصافية المشمسة

كان بودى أن أغسل القلوب والنفوس

وأزيل منها رواسب الأيام الماضية

وأدعو الهواء والماء بسحرهما

ينقيان النفوس بنقائهما

وعندئذ تصير الدنيا الواسعة

أجمل وأروع أيام الغسل

أيمكن ، ونحن نمضى فى حياة كادحة

أن تزهر الراحة فى بالنا

ولا يلزم العقل أن يفكر  
في الحزن والنصب والمهموم  
ويزيل السعد الأحزان عن قلوبنا  
كما تزيل مكانسنا النشيطة أقذار اليوم؟  
إني سعيدة بما أؤديه  
من عمل ، يوماً بعد يوم  
ففى العمل صحة وقوة وأمل  
تعلمت منها أن أقول فى سرور :  
أيها العقل قد تفكر ، أيها القلب قد تشعر  
أما أنت أيتها اليد فستعملين على الدوام» •

أما بث فكبت تقول :

« أمى العزيزة

« إنى لا أملك سوى أن أرسل لك حبى ، وأن أرسل الى أبى زهرة  
البانسيه المجففة ، التى ربيتها وعنيت بها ايرها • إنى أقرأ دروسى كل  
يوم وأحاول أن أكون بنتا طيبة ، وفى المساء أغنى لنفسى بعض الأناشيد  
التى يحبها أبى . حتى أنام • ولكنى لا أستطيع أن أنشد أغنية أبى  
المفضلة ، لأنها تثير شجونى وتدفعنى الى البكاء • كونى مطمئنة على ،  
فكلهم يرعانى ، وأنا أقوم بواجباتى . أملأ الساعة بانتظام ، وأجدد  
هواء الخرف كل يوم ، ونحن أسعد ما يمكن أن نكون بغيركما • ولذلك  
أختتم خطابى سريعاً •

« قبلاتى لأبى العزيز ، أطبعها على الخد الذى يدعوه خدى ،  
وعودى سريعا الى ابنتك المحبة •

بث الصغيرة»

« أمى الحبيبة

« إننا جميعا بخير ، وأنا أودى دروسى كل يوم ، ولا أزعج  
الأخريات أو أرهقهن ، وميخ تعطف على جدا ، وتعطينى كل يوم غالبا  
من الحلوى مع الشاى ، وجو تقول ان الحلوى تكسبنى حلاوة فى  
الأخلاق • يؤسفنى أن لورى لم يعد يحترمنى كما يجب فى هذه الأيام ،  
رغم أننى قد بلغت الثانية عشرة من عمرى ، وام أعد طفلة صغيرة •  
انه يجرح شعورى كلما حبيته أو شكرته بالفرنسية ، فينطلق يكلمنى  
بهذه اللغة فى سرعة شديدة ، لا أفهم معها ما يقول •

« إن أكمام ثوبى الأزرق قد بليت تماما ، فلما وضعت ميخ أكماما  
أخرى بدلا منها ، أفسدت الثوب كله ، لأن لونها أشد زرقة من بقية  
الثوب • ولقد حزنت لذلك ، ولكنى لم أغضب أو أتذمر • إبنى أتحمل  
متاعبى فى جلد • ولكنى أتمنى لو أن حنا زادت مقدار النشا فى مرولتى ،  
كما أود لو أنها طهت ليلة كل يوم ، أفلا يمكن ذلك ؟ ألم أتقن رسم  
علامة الاستفهام ؟ تقول ميخ ان كتابتى مليئة بالأخطاء الهجائية ، وهو  
أمر فظيخ ، ولكن ما العمل ، وعندى من الواجبات شئ كثير ؟

« وداعا ، وبلغى أبى مزيد حبى وأشواقى •

ابنتك المخلصة

أمى كورتوس مارش»

وكتبت حنا تقول :

« عزيزتى مسز مارش

« أريد فقط أن أقول ان كل شيء على ما يرام ، والفتيات مجدات يعملن سريعا ، ولا يتوانين عن واجب من الواجبات ، ومنس ميج تبشر بأن تكون ربة بيت من الطراز الأول ، فهي تحب عملها ، وتفهم كل شيء بسرعة عجيبة . جو تبذل جهودها ، ولكنها لا تفكر قبل العمل فيما يجب أن تعمله ، ولذلك لا يمكن مطلقا تقدير النتائج . لقد قامت يوم الاثنين الماضى بغسل ملابس الأسرة كلها ، ولكنها وضعت النشا قبل اللوعد المناسب ، ووضعت كفلك ملاءة صفراء في محلول الزهرة للترقاء ، فكانت النتيجة مضحكة للغاية . ان بث أحسن مخلوق في للدنيا ، وهي سند مهم لى بفضل سرعتها واعتمادها على نفسها ، فهي تريد أن تتعلم كل شيء ، وقد أتقنت الشراء من السوق الى حد يفوق سنها ، وهي كذلك تقيد الحسابات بمعونتى ببراعة فائقة . إننا نقتصد فى النفقات اقتصادا كبيرا ، وأنا أعطى الفتيات — حسب تعليماتك — القهوة مرة فى الأسبوع ، والحساء فى بقية الأيام . أمى لا تتذمر كثيرا ، ولكنها تلبس أحسن ثيابها ، وتكثر من أكل الحلوى . مستر لورى ملئ بالنشاط كعادته ، وكثيرا ما يقرب البيت رأسا على عقب ، ولكنه يبعث الشجاعة فى قلوب البنات . ولذلك فانى أتركه يعمل ما يشاء ، أما الرجل العجوز فيغرقنا بالهدايا الى حد مخرج ، ولكنى لا أعترض لمنمى بصدق رغبته فى تدليل البنات ، وسأختم خطابى الآن لأن العجين اختمر ، وأخشى أن يفسد اذا تأخرت عن خبزه . أقدم لمستر مارش عظيم احترامى ، وأدعو الله أن لا يصيبه بالتهاب رئوى بعد الآن .

مع أصدق احتراماتى

حنا موليت

وكتب لورى يقول :

« حضرة رئيسة المرضات بالعنبر الثانى

« كل شىء هادىء فى الميدان ، والفرق جميعها تعمل فى نظام ،  
وقلم المخبرات يقوم بواجبه كاملا ، والحرس الوطنى تحت قيادة  
البكباشى تيدى على استعداد دائم ، والقائد العام اللواء لورنس  
يستعرض الجيش كل يوم ، والشاويش حنا يحفظ النظام فى المعسكر ،  
واليوباشى ليون يقوم بالحراسة ليلا ونهارا .

وانقد أطلقنا أربعة وعشرين مدفعا عندما وصلتنا الأخبار السارة  
من وإشنجتون ، كما قمنا بعمل عرض عسكري بالملابس الرسمية فى دار  
القيادة . القائد العام يبعث اليكم بتمنياته القلبية ، كما يشاركه فى  
تلك التمنيات .

« البكباشى تيدى »

وكتب مستر لورنس يقول :

سيدتى العزيزة

ان الفتيات جميعا فى خير حال ، تقوم بث ووالدى بتلقى الأخبار  
كل يوم ، أما حنا فخدام مثالية ، وهى كالتنين فى رعاية ميج  
الحساء . انى سعيد باستمرار تحسن الجو ، وأرجو أن تستفيدى  
من وجود بروك معك ، كما أرجو أن لا ترددى فى طلب المال اذا  
وجدت أن النفقات تتخطى ميزانيتك المقررة . لا تبخى على زوجك  
بشىء ، وشكرا اله أن تحسنت صحته .

من صديقك المخلص

جيمس لورنس

## الفصل السابع عشر

### المؤمنة الصغيرة

كانت الفضائل التي انبعثت من البيت القديم خلال الأسبوع الأول ، تكفى الحى كله ، فقد سادت فيه ألوان لا حصر لها من إنكار الذات وصدق الرغبة فى التضحية • فلما زال التوتر والقلق ، وهذأت النفوس واطمأنت على صحة الأب ، تراخت جهود البنات فى العمل وانتضحية ، وعدن شيئاً فشيئاً الى طباعهن الأولى • حقيقة إنهن لم يتقاعدن عن العمل ، ولكن حماستهن فترت قليلا ، خصوصا عقب الجهد الجبار الذى بذلنه فى الأيام الأولى ، واستحققتن — فى رأيهن — عطاة قصيرة ، ولكنها كانت عطلات وعطلات متوالية •

وكان أول ما حدث أن أصيبت جو ببرد شديد ، من جراء إهمالها فى تدفئة رأسها ذى الشعر القصير ، فأمرتها عمتها بأن تعتكف فى البيت ، لأنها لا تحب أن يكون صوت من تقرأ لها متحسرا مبجوحا • وفرحت جو بذلك كل الفرحة ، وبقيت فى البيت توزع جهودها بين غرفة السطح والقبو ، حتى نالت كفايتها منهما ، فانزوت على أريكتها تعالج بـردّها بالدواء والقراءة •

واكتشفت أمى أن الواجبات المنزلية تعطل رسالة الفن الرفيع ، فعادت الى صلصالها تعمل منه « فطائر الطين » • وكانت مبيع تذهب الى عملها كل يوم ، وفى المساء تعكف فى البيت على ما تسميه تطريزا ، ولكنها كانت فى الحقيقة تقضى معظم الوقت فى كتابة الرسائل لأمها أو فى تلاوة رسائل أمها مرة بعد مرة • واستمرت بث فى عملها كالمعتاد تقوم

بواجباتها كاملة ، وكذلك تقوم بما يتركه أخواتها من عمل ، فإذا انتظمت  
شئون البيت ، وأن أوان راحتها ، فصلغته شوقها الى أمها ، وازداد  
حزنها لمرض أبيها ، فتنزوى في ركن من البيت ، وتدفن وجهها في ثيابها  
ثوبها ، وتطلق لدموعها العنان ، ثم تصلى من أجل والديها العزيزين في  
حرارة وإيمان • ولم يكن أحد يعرف كيف يخفف عنها أحزانها ، ولكن  
جميعهم كانوا يعرفون أن بث حلوة الطبع لا تبخل بالمعونة ، فيهرعون  
إليها فيما يعين لهم من أمور •

وفي بداية الأمر كان الفتيات يعلمن أن المحنة التي تمر بهن ، امتحان  
ضادق لأخلاقهن ، فلما هدأت أحزانهن ، واطمأنت قلوبهن ، وشعرن  
بأن الأدوار التي لعبتها ، كانت عظيمة رائعة تستحق الثناء ، تراخين  
عن الجهاد ، وتكاسلن في أداء الواجبات ، وبذلك أخطأن خطأ عظيماً ، لم  
يكتشفنه إلا بعد درس قاس ، أورثهن الحزن والندم •

قالت بث لأختها ميج ذات مساء ، بعد أن مضت عشرة أيام على  
سفر مسرمارشي :

— ليتك تذهبين لزيارة آل هامل يا ميج ، فقد أوصتني والدتي بهم  
خيراً كما تعرفين •

فقالت ميج وهي تطرز وتهز مقعدها المريح :

— ولكني جد متعبة هذا المساء •

فقلت بث تسأل جو :

— ألا تذهبين أنت يا جو ؟

فقالت :

— إن الجو عاصف ، وأخشى أن تتضاعف إصابتي بالبرد •



قالت بث :

— كنت أظن الجو صحوا •

قالت جو :

— إن الجو صحو للنزهة ، لا لزيارة آل هامل •

وضحكت خجلة من تضارب أقوالها •

فسألت ميچ :

— ولم لا تذهبين أنت يا بث ؟

قالت :

— إننى أذهب كل يوم • ولكن الطفل الصغير مريض ، ولست

أعرف ماذا أفعل من أجله، فمسز هامل تذهب لعملها وتتركه فى رعاية

ابنها لونتسون • وأعتقد أن ذهابك أو ذهاب حنا ضرورى ، فصال الطفل

يزداد سوءا يوما بعد يوم •

وكانت بث تتكلم فى حرارة وإيمان ، فوعدها ميچ بأن تذهب فى

اليوم التالى •

وقالت جو :

— اطلبى من حنا أن تعطيك بعض الطعام ، وخذيه إليهم يا بث •

ثم أضافت تعتذر قائلة :

كنت أود أن أذهب ، ولكنى أريد أن أنتهى من قصتى أولا •

فقالت بث :

— إني متعبة جدا أحس بصداع شديد في رأسي ، ولولا ذلك ما طلبت الى إحدكن أن تذهب بدلا عني •

فقالته ميخ :

— سوف تحضر آمي حالا ، فمرسلها نيابة عنا •

فقالته بث :

— إذن أستريح قليلا حتى تعود آمي •

وهكذا استقلت بث على الأريكة ، وعادت كل فتاة الى عملها ، وراح آل هامل في عالم النسيان ، ومضت ساعة لم تحضر فيها آمي ، وقامت ميخ تجرب ثوبا جديدا في حجرتها ، وانهمكت جو في قصتها ، واستسلمت حنا للنوم أمام نيران المدفأة • فلم تجد بث بدا من قطع رآحتها ، فقامت عن الأريكة وارتدت قبعتها ومعطفها ، وملاأت سلة بالهدايا للأطفال الفقراء ، ثم انسلت خارجة في الهواء البارد ، وقد ثقل رأسها بالألم ، وارتسم الحزن في عينيها الصبورتين •

وعادت الصغيرة متأخرة من زيارتها فلم ينتبه أحد لعودتها ، ولم يرها أخواتها وهي تتسلل الى حجرة أمها ثم تغلق الباب خلفها • وبعد نصف ساعة قامت جو تحضر شيئا من صوان أمها ، فوجدت بث تجلس الى خزانة الأدوية ، وقد علا وجهها الوجوم ، واحمرت عيناها ، وأمسكت في يدها بقنينة محلول الكافور •

وصاحت بث متعجبة ، وسألته عما بها ، فمدت بث يدها محذرة إياها أن تقترب منها ، ثم سألتها بسرعة :

— هل سبق أن مرضت بالحمى القرمزية ؟

قالت :

— نعم منذ سنوات عندما مرضت بها ميج ، ولكن لماذا تسألين ؟

قالت :

— لأن الطفل قد مات !

— أى طفل ؟

قالت بث وهى تبكى وتنوح :

— طفل مسز هامل ، لقد مات وهو فى حجرى قبل أن تصل أمه

الى البيت •

قالت جو فى صوت حزين :

— مسكينة يا عزيزتى ، لا بد أنه كان أمرا فظيعا ! كان يجب أن

أذهب بدلا عنك •

ثم أخذت أختها وأجلستها على حجرها ، وجلست على مقعد أمها

الكبير توأسيها •

قالت بث :

— لم يكن الأمر فظيعا مثلما كان محزنا ، فقد لاحظت عند ذهابى

أن حالته ساءت فجأة ، وقال لوتشون بأن أمه ذهبت تستدعى الطبيب ،

فأخذت الطفل فى حجرى لأريح لوتشون قليلا • وبدا على الصغير أنه

نائم ، وفجأة صرخ صرخة خافتة وانتفض ثم سكنت حركته بعد ذلك •

وقد حاولت أن أدفئ قدميه ، وحاول لوتى أن يعطيه قليلا من اللبن ،

ولكن الرضيع لم يتحرك ، فأدركت أنه مات •

فقالت جو تهديء أختها :

— لا تبكى يا عزيزتى ! ماذا فعلت بعد ذلك ؟

قالت :

— ظلت ممسكة بالطفل فى رقة حتى عادت مسز حامل بصحة الطبيب • وقال الطبيب بأنه مات ، ثم فحص الأطفال الآخرين ، فوجدهم جميعا مرضى بالحمى القرمزية ، واذلك أنبها لتوانيتها فى استدعائه قبل ذلك • وحدثته مسز حامل عن فقرها ، وكيف حاولت علاج الصغير بنفسها ، ثم طلبت اليه أن يعنى بالأولاد الآخرين ما دام أمر الرضيع قد انتهى ، وليجزه الله خيرا على احسانه • فابتسم الطبيب ورق قلبه ، فكان موقفا محزنا جعلنى أبكى مع الآخرين • وفجأة التفت الطبيب الىّ وأمرنى بأن أعود حالا الى البيت ، وبأن أتناول دواء البلادونا ، وإلا أصابنى المرض •

فارتسم الهلع فى عيني جو ، وضمت الفتاة الى صدرها وهى تقول :

— لا • لن يحدث هذا ، ولن أصفح عن نفسى أبدا اذا مرضت يا بث ! يا إلهى ! ماذا نفعل الآن ؟

قالت بث :

— لا تجزعى ، فلن يكون مرضى شديدا • لقد قرأت فى كتاب لأمى ، وعرفت أن المرض يبدأ بصداغ فى الرأس والتهاب فى الحلق ، وشعور بالضعف ، وهذا ما أعانيه الآن ، ولذلك تناولت قدرا من البلادونا تحسنت بعده قليلا •

ثم وضعت الصغيرة يدها الباردة على جبينها الملتهب ، وهى تحاول أن تندو فى حالة طيبة •

فقال جو ، وهى تشعر بأن بينها وبين واشنجتون بعد السماء عن الأرض .

— ليت أمى كانت هنا الآن !

ثم أمسكت بالكتاب ، وقرأت صفحة منه ، ثم تحسست حرارة جبين أختها ، ونظرت فى حلقها ، وقالت فى وجوم :

— لقد خالطت الطفل المريض أكثر من أسبوع ، كما خالطت إخوته الآخرين ، وقد بدأت العوارض تظهر عليهم ، وأخشى أن العدوى أصابتك بالفعل . إن حنا تعرف كل شىء عن الأمراض ، فدعيني أستشيرها .

فصاحت بث فى لهفة :

— بالله لا تسمى لآمى بالدخول ، فهى لم تمرض بالحمى القرمزية من قبل ، وأكره أن تنتقل العدوى منى لها . ثم ألا يجوز أن تمرضى بها أنت وميج مرة ثانية ؟

فتمتمت جو ، وهى تذهب الى حنا تستشيرها :

— لا أعتقد ذلك ولا يهمنى أن أمرض ثانية ، فأنا حيوان أنانى أستحق كل شىء ، فقد قنعت بكتابة السخافات ، وتركتك تذهبين الى بيت المرضى .

واستيقظت حنا الطيبة بسرعة ، وأمسكت بقياد الموقف ، مؤكدة أن لا داعى للخوف والقلق ، فالقرمزية مرض شائع فى الصغار ، ولا خطر منه مع العلاج الصحيح ، ولا يموت منها أحد . وأحست جو ببعض الراحة ، لثقتها فى كل ما تقوله حنا . ثم ذهبت الاثنتان تستدعيان ميج .

وفحصت حنا بث وسألته بعض أسئلة ثم قالت :

— والآن سأخبركن بما يجب أن نعمل ، فأولا نستدعي الدكتور بانجز ليفحصها ، ويوجهنا في علاجها للتوجيه الصحيح ، وثانيا نبعث أمى عن العدوى بارسالها الى بيت العمه مارش بعيدا عن المريضة ، ولتبقى واجدة منكما مع بث يوما أو يومين •

وشعرت ميج بمسئوليتها فيما حدث ، فقالت في لهفة :

— سأبقى أنا بالطبع ، لأنى أكبرهن سنا •

فقالت جو في تصميم :

— بل أبقى أنا ، فالخطأ خطاى ، وعلى تقع المسئولية فيما حدث •  
لقد وعدت أمى بأن أزور آل هامل ، ولكنى لم أف بوعدى •

فقالت حنا تسأل :

— لا داعى لوجود الاثنتين ، فمن منهما تفضلين يا بث ؟

فأسندت بث رأسها الى كتف جو ، وفي عينيها نظرة الرضا ،  
وقالت :

— لتبقى جو إن سمحت •

وكان فى قولها فصل الخطاب ، فقالت ميج وقد ساءها اختيار  
أختها ، رغم بغضها للتمريض :

— سوف أذهب وأخبر أمى بالأمر •

ورفضت أمى كلية أن تذهب الى العمه مارش ، وقالت إنها تفضل  
أن تمرض بالحمى ألف مرة على أن تذهب إليها • وحاولت ميج أن

تتبعها ثم استمعطفتها ، ثم أمرتها بالذهاب بلا جدوى • وأصرت أمي على البقاء ، ويئست ميح ، وذهبت تسأل حنا كيف تعالج الموقف • وجاء لوري قبل أن تعود ميح ، فوجد أمي تتشج بالبكاء ، وقد دفنت رأسها في حشيات الأريكة • وقصت عليه أمي قصتها ، وقد ظنت أنه سينتصر لها • ولكن الفتى وضع يديه في جيوبه • وجعل يسير جيئة وذهابا ، وهو يصغر في صوت خافت ، وقد عقد حاجبيه في تفكير عميق ، ولم يلبث أن جلس الى جوارها وقال في صوت رقيق النغمات :

— كوني امرأة عاقلة ، وأطيعي أوامره • لا ، لا تبكي واستمعي الى البرنامج اللطيف الذي أقترحه : ستذهبين الى العمّة مارش ، وسوف أتى لأخذك كل يوم للنزهة في العربة ، أو سيرا على الأقدام ، غنستمتع بوقتنا كل الاستمتاع • أفلا ترين أن الذهاب خير من البكاء هنا ؟

فقال أمي في صوت جريح :

— لا أريد أن أبعد عن البيت ، كما أنهن يعاملنني كما لو كنت عقبة أقف في طريقهن •

قال :

— يا لطيفة قلبك يا طفنتي • إن أخواتك يحرمن عن صـالحك ، ويخفن أن تصيبك العدوى ، فهل تريدين أن تمرضى ؟

قالت :

— لا طبعا ، ولكني كنت مع بث طوال هذا الأسبوع ، وأغلب الظن أنني التقطت المرض منها •

قال :

— وهذا أدعى نذهابك ، فتغيير الهواء يساعدك على الشفاء سريعا ،

أو يخفف وطأته على أقل تقدير • نصيحتي لك أن تغادري هذا البيت بأسرع ما يمكن ، فالحمى القرمزية ليست مرضا يستهان به يا آنسة •

فقلت آمي وقد بدا عليها الخوف :

— إن عمتي سليطة اللسان ، وبيتها قابض بغيض •

قال :

— إن يكون البيت قابضا ، اذا حضرت كل يوم لأصحبك الى نزهة طيبة ، وأطمئنك على أحوال بث • زیدی على ذلك أن السيدة العجوز تحبني ، وسوف أبذل منتهى جهودي في استمالتها ، حتى لا تغضب منا أو تنهرنا مهما أتينا من أفعال •

قالت :

— أتأخذني في العربة الصغيرة التي يجرها المهر ؟

قال :

— أعدك بذلك وعد رجل شريف •

قالت :

— وستحضر كل يوم بلا استثناء ؟

قال :

— سوف ترين بنفسك •

قالت :

— وتعيديني الى البيت حالما تشفى بث ؟

قال :

— بعد ثانية واحدة من ثفائها •



قالت :

— وهل تصحبني الى المسرح أحيانا ؟

قال :

— بل أصحبك الى عشرين مسرحا اذا أردت .

قالت متمهلة :

— حسنا .. بهذه الشروط لا أمانع في الذهاب .

قال ، وهو يربت على ظهرها راضيا ، مما أغضبها كثيرا ، وجعلها تشعر كأنها طفلة صغيرة :

— أنت بنت طيبة ، اذهبي الى ميخ وأخبريها بعزمك على الذهاب .

وهبطت ميخ وجو جريا لتريا المعجزة التي تحققت ، فقد وعدت أمي أن تذهب ، اذا ما قرر الطبيب أن بث مريضة بالحمى حقا .

وقال لورى :

— كيف حال الصغيرة العزيزة ؟

وكان لورى يعزّ بث ويدللها ، ولذلك كان يخالج صوته قلق شديد ، أوضح مما كان. يجب أن يكشف عنه .

أجابت ميخ :

— إنها ترقد في سرير والدتي ، وهي تخس ببعض الراحة الآن . لقد أزعجها موت الطفل ، وأعتقد أنها لا تعاني غير آلام البرد ، وهكذا تقول حنا أيضا ، وان كان قلقها الشديد يخيفني .

وقالت جو ، وهي تعبت في شعرها القصير بقلق واضح :  
— ما أقسى هذه الدنيا ، فما ان نخرج من همّ حتى يحل بنا  
همّ آخر • إني حائرة ، ويبدو أن غياب والدتي أثقتنا كل سند نركن  
اليه •

فقال لورى ، الذى لم يتعود بعد منظر صديقه بعد أن جرت  
شعرها :

— لا تثيرى شعرك هكذا كالكنفذ ، سويه وأسديله ، حتى  
لا تقسدى شكك ، ثم أخبرينى هل أرسل برقية الى والدتك ، أم ماذا  
أصنع ؟

فقالت ميج :

— هذا ما يقلقنى ويحيرنى ، وأظن أنه من الصواب أن نخطرنا  
بمرض بث ، ولكن حنا لا توافق ، وتعتقد أن والدى ما زال فى حاجة الى  
أمى معه ، وربما أزعجه الخبر وأقلقه • لن يطول المرض ببث ، وحننا  
تعرف كل ما يجب أن يعمل ، وقد نصحتنا أمى بأن نطيعها ، وعلينا أن  
نعمل بالنصيحة ، وان كنت لا أراها صائبة •

قال لورى :

— حسنا ، ورأى أن ننتظر كلمة الطبيب ، ثم نستشير جدى فى  
الأمر •

فقالت ميج فى لهجة أمرة :

— اذهبى يا جو ، وأحضرى الدكتور بانجز ، فلن يتقرر شىء  
قبل زيارته ، وسنستشير مستر لورنس بعد ذلك •

فقال لورى وهو يهيم بالانصراف :

— ابقى حيث أنت يا جو ، فمهمتى فى هذا المكان أن أغموم بمثل  
هذه المهمات •

قالت ميج :

— أخشى أن تكون مشغولا •

قال :

— لا ، فقد انتهيت من دروس اليوم •

قالت :

— أو تدرس أيضا فى أثناء العطلة ؟

قال وهو يستدير خارجا من الحجرة :

— إنى أتخذ من جيرانى مثلا أحتذيه •

فابتسمت جو وهى تراه يقفز فوق السياج ، فى طريقه الى استدعاء  
الطبيب ، ثم قالت :

— إنى أعقد على هذا الصبى آمالا كبارا •

فقالت ميج فى لهجة خشنة ، كأن الأمر لا يهملها فى كثير أو  
قليل :

— إنه يتقدم فى حدود سنه •

وجاء الدكتور بانجز ، وقرر بأن الأعراض التى تشكو منها بنت  
هى أعراض الحمى القرمزية ، ولكنه يعتقد بأن وطأة المرض لن تكون  
شديدة عليها ، كما أسف على ما أصاب آل هامل • وفى الحال صدرت  
الأوامر لى أمى بمغادرة البيت ، بعد اعطائها بعض الدواء لحمايتها من  
خطر الداء ، فخرجت مع لورى وجو ، وهى فى حالة سيئة •

ولقيتهم العمّة مارش بكرمها المعهود ، ونظرت اليهم من فوق  
نظارتها في حدة ، وصاح الببغاء من وراء مقاعدهم يقول : اخرج من  
هنا ، غير مسموح للصبيان بالدخول •

وسألت العمّة قائلة :

— والآن ماذا تريدون ؟

فجعلت جو تسرد قصتها في حين ابتعد لورى الى جوار النافذة ،  
فقالَت العمّة :

— هذا ما كنت أتوقعه دائما من حشر أنوفكن في الأوساط الفقيرة •  
تستطيع أمى أن تبقى ما دامت صحيحة معافاة ، وان كنت أشك في ذلك ،  
لأنها تبدو بالفعل مريضة عليّة • لا تبكى يا طفلى ، فانى لا أطيق أن  
يتمخّط الناس في حضرتى •

وكانت أمى على وشك البكاء ، ولكن لورى أنقذها في الوقت  
المناسب إذ جذب ذيل الببغاء ، فصاح الطير يقول ، وقد أدهشته  
المفاجأة :

— آه يا ذيلى !

وبدل أن تبكى أمى ، انفجرت ضاحكة ، وقالت السيدة في صوت  
خشن :

— ما هي آخر الأخبار عن أمك ؟

أجابت جو في صوت تحاول أن تكسبه رنة حزن :

— إن والدى قد تحسن كثيرا •

أجابت العمّة بتساؤمها المعهود :

— أحمقًا ؟ لا أظن التحسن يستمر طويلًا ، فأبوك رجل ضعيف ،  
لا قدرة له على المقاومة •

وصاح الببغاء ، عندما جعل لورى يدغدغه فى أذنه ، وراح يتراقص  
على حامله ، ويمد مخالبه نحو قبعة السيدة العجوز :

— ها •• ها •• لا تياأس وخذ تنشيقه من هذا السعوط •• الى  
اللقاء •• الى اللقاء ••

فصاحت العجوز تنهره قائلة :

— أمسك لسانك أيها الطائر الوقح ! وأنت يا جو ، خير لك أن  
تعودى الى البيت فورًا ، فليس من اللائق أن تتسكّمى بالليل مع صبي  
أنيق مثل •••••

وصاح الببغاء يقاطعها :

— أمسك لسانك أيها الطائر الوقح !

وهبط الطير عن حامله الى المقعد ، وراح يجرى وراء الصبي الأنيق ،  
الذى سره حديث الطير الأخير ، فجعل بدنه يهتر لفرط الضحك •  
وما إن انفردت أمى بالعمّة مارش حتى قالت فى نفسها :

— لا أظننى قادرة على احتمالها ، ولكنى سأحاول •

وصرخ الببغاء قائلاً بصوت وقح :

— هيا اذهبى ، إنك مزعجة ثقيلة !

وعندئذ انهمرت الدموع من عيني الفتاة ، ولم تقو على كبت

بكائها •

## الفصل الثامن عشر

### أيام سود

اشتدت وطأة الحمى على بث بشكل لم يكن يتوقعه أحد سوى حنا والطبيب ، فقد كان البنات يجهلن كل شيء عن المرض . وبذل الدكتور بانجز كل جهده في علاجها ، وقامت حنا بتنفيذ أوامره بمنتهى الدقة ، وبذلك أثبتت أنها ممرضة من الطراز الأول . وبقيت ميج في البيت ولم تذهب الى عملها عند آل كنج خشية أن تحمله العدوى اليهم ، وكان القلق يتملكها كما كان يتملكها شعور بأنها تذب في حق أمها ، عندما تكتب اليها الرسائل ولا تذكر فيها شيئاً عن مرض بث ، وكان هذا التصرف في رأيها خطأً جسيماً ، ولكن حنا أمرت بالصمت ، ولم ترض أبداً أن ترعج مسز مارش ويضاف جديد الى همومها الكثيرة من أجل مرض تافه كهذا . وكرست جو نفسها لخدمة بث ليل نهار ، ولم يكن في ذلك عناء يذكر ، إذ كانت بث صبورة بطبعها ، تتحمل آلامها صامته بقدر إمكانها .

ولكن المرض اشتد ، وصارت الفتاة ، اذا ما انتابتها الحمى القوية ، تهذى في صوت أجش منقطع ، وتحاول الغناء من حلق متورم ملتهب ، وتحرك أصابعها على الأعطية كما لو كانت معزفاً ، ثم جاء الوقت الذي لم تعد تميز أو تعرف فيه وجوه أخواتها ، فتخلط بين أسمائهن ، وتنادى راجية أن تعود أمها . واستبد القلق بجو لذلك ، وجعلت تتوسل الى أختها ميج أن تصرح لها بالكتابة لأمها ، حتى بدأت حنا تقتنم بوجهة نظرها ، واعدة بالتفكير في الأمر ، رغم أن حالة بث لم تكن في رأيها قد

وصلت الى مرحلة الخطورة بعد • وساعت الأمور وزاد الموقف تعقيدا ،  
عندما وصلت رسالة من مسز مارش تقول فيها ان المرض اشتد بزوجها  
بعد تحسن ولذلك لا ينتظر أن تعود الى بناتها قبل وقت طويل •

وما أشد ما بدت الأيام سودا حالكة ، وبدا البيت موحشا حزينا ،  
وثقلت قلوب الأخوات بالهموم وهن يعملن ويترقبن ، وشبح الموت  
يرفرف على البيت الذى ملأته السعادة دائما • وفي هذا الوقت العصيب ،  
جلست مارجريت تبكى وحيدة ، ففتساقط دموعها على قطعة النسيج  
التي تطرزها ، فلقد بدأت ، لأول مرة ، تقدر قيمة السعادة التي كانت  
تظل الأسرة فيما مضى ، وعرفت أنها كلنت تستمتع بالحب والأمن  
والسلام والصحة ، وكلها تمثل النعم الحقيقية في الحياة • وكان هذا  
الوعى لجو بدورها ، عندما كانت تقبع في الحجرة المعتمة أمام أختها  
الصغيرة المعذبة ، وتصفى الى صوتها الضعيف الحزين ، فقد أدركت  
مدى جمال أخلاق بث وحلاوة شخصيتها ، وأحست بمكانتها التي تملأ  
القلوب كلها ، وتمثل لها عظم تضحيات عذبة الأخت التي كانت تعيش  
لغيرها ، وتملأ البيت سعادة بفضائلها وجميل خصالها • وتمنت آمل ،  
وهي في منفاها لو كان في استطاعتها أن تعود الى بيتها ليتسنى لها خدمة  
بث ، وقد ثلاثت من أمامها متاعب العمل ، وذكرت ، والأسى يملأ قلبها ،  
كم قامت بث عنها بواجبات أهملت تأديتها • وراح لورى يطوف بأرجاء  
بيته كئيب حائر ، أقفل جده المعزف الكبير ، كارها كل ما يذكره بجارته  
الصغيرة ، التي طالما أسعدت أمنياته بعزفها الجميل • وأحس  
جميعهم بغياب بث وافتقدوها ، حتى بائع اللبن والخباز والجزار •  
لقد كانوا يستفسرون عن حالتها كل صباح ومساء ، وجاءت مسز هامل  
ترجو الصفح عما سببته بجهلها ، وتطلب قطعة من القماش لبنتها ،

وانصبت الهدايا والتمنيات الطيبة من الجيران كلهم ، حتى دهش أهل الفتاة لكثرة أصدقائها هذه الطفلة الخجول ومعارفها .

وكانت بث طيلة أيام مرضها ترقد وقد احتضنت دميئتها القديمة ، ولم تكفّ حتى في أثناء هذيانها عن ذكر عرائسها العزيزات . وكانت تتحرق شوقا الى قطيقاتها ، ولكنها لم تسمح بادخالها عندها خشية أن يصيبها المرض . واذا ما غادرتها الحمى قليلا ، راحت تسأل عن جو وترسل تحياتها وأشواقها الى أمي ، وتطلب من أخواتها أن يخبرن أمها بأنها بخير وسوف تكتب اليها في القريب العاجل . وكثيرا ما كانت تطلب قلبها وورقا تحاول أن تخط كلمة لوالدتها حتى لا يظن أبوها أنها قد أهملت شأنه . ولكن ساعات الصحو كانت تنتهي سريعا ، وتعود بعدها الحمى شديدة قوية ، فتقلب المسكينة في فراشها يمينا وشمالا ، وتهذى بكلمات مبهمه ، أو تزوح في سبات عميق لمدة ساعات ، دون أن تقيّد من النوم شيئا من الراحة .

وكان دكتور بانجز يعودها مرتين في اليوم ، وتناوبت حنا وجو الجلوس الى جانبها ، فكانت الخادم تلازمها طوال الليل ، وجو تخدمها طوال النهار ، كما أعدت ميج برقية لأمها لترسلها لها في أية لحظة . وجاء أول يوم من شهر ديسمبر ، وكان يوما عبوسا قمطيريا ، ريح تصفر وثلوج تهطل ، وبدا كأن العام يلفظ أنفاسه الأخيرة ، وجاء الطبيب كعادته صباحا ، ونظر طويلا الى بث ، وأمسك بيدها الساخنة بين يديه لحظة ، ثم تركها في رفق ، وقال في صوت خافت مخاطبا حنا :

— اذا كان من المستطاع أن نترك مسز مارش زوجها ، فمن الخير

اخطارها بمرض الفتاة الآن .



فأومات حنا برأسها ولم تنبس بكلمة ، وقد التوت شفتها في اضطراب ، وتهالكت ميج في المقعد وقد تخاذلت ساقاها عند سماع تلك الكلمات . أما جو فقد ابيض وجهها ، وتسمرت لحظة في مكانها ، ثم خرجت الى البهو تجرى ، واختطفت البرقية المعدة ، وارتدت معطفها ، ثم هرعت الى الشارع غير عابئة بعواصف الجو الصاخبة . وسرعان ما عادت ، وراحت تخلع معطفها في هدوء ، وعندئذ دخل لورى يحمل رسالة ، ويقول بأن مستر مارش بسبيله الى الشفاء . وقرأت جو الرسالة شاكرة ، ولكن الحمل الذى أثقل قلبها لم تخف وطأته بهذا الخبر ، ولم تبارح وجهها مسحة التعاسة التى تعلوه ، فقال لورى بسرعة :

— ماذا جرى ؟ هل ساءت حال بث ؟

قالت فى لهجة آسية ، وهى تخلع حذاءها المطاط :

— لقد أرسلت برقية الى أمى .

قال وهو يجلسها على مقعد فى البهو ويساعدها فى خلع حذاءها لارتجاف يديها :

— حسنا فعلت يا جو ! ولكن هل أرسلتها من تلقاء نفسك ؟

قالت :

— لا ، بل بناء على رأى الطبيب .

قال وقد كسا الخوف وجهه :

— أتظنين أن حالتها خطيرة الى هذا الحد يا جو ؟

( م ٢٣ — نساء صغيرات )

قالت :

— حالتها بالفعل خطيرة • إنها لا تعرفنا الآن ، وحتى هذيانها انتهى ، ولم أعد أرى فيها بث التي أعرفها • إن أبى وأمى بعيدان ، وليس معنا من يعيننا على محنتنا ، وحتى الله يبدو بعيدا بحيث لا أستطيع أن أصل اليه بدعواتي •

وانهمرت الدموع من عينيها تجرى على خديها ، ومدت يدها في حركة يائسة حائرة ، كأنها تبحث عن شيء في الظلام • وأمسك لورى بتلك اليد وهمس في لهجة هادئة ، وقد أحس بغصة في حلقه :

— إننى هنا ، فاعتمدى على يا عزيزتى جو !

ولم تقل جو شيئا ، ولكنها اعتمدت على يده العامرة بحرارة الصدق والاخلاص ، فأحست براحة تتسلل الى قلبها ، كما شعرت بأن يد الله أيضا تقترب من يدها فتعيناها في شدتها • وأراد الفتى أن يقول مزيدا يبعث الراحة والرجاء ، ولكن الكلمات استعصت عليه فوقف ساكنا يربت بحنان على الرأس المطرق ، كما كانت أمها تربت عليه تماما • وكان هذا العطف الصامت أشد فعلا في نفسها من الكلمات البليغة ، فأحست جو بالثناء الصامت لحالها ، وعرفت مدى ما يبعثه حنان الأصدقاء من راحة غامرة للنفس • وسرعان ما جففت الدموع التي فرجت عن آلام نفسها ، ورفعت الى الفتى وجها مفعما بالشكر ، وقالت :

— شكرا لك يا تيدى ، إننى أحسن حالا الآن ، وقد زایلنى اليأس والأسى ، وسأحاول أن أحتمل ارادة الله وحكمه •

قال :

- — تعلقى بالأمل دائما وتفاعلى ، فهذا خير معين لك يا جو .
- ستحضر أمك عن قريب ، وتعود المياه الى مجاريها .

قالت وهى تنشر منديلها على ركبتيها ليحف :

- — إبنى مسرورة أن تحسنت صحة أبى ، حتى تعود الينا أمى مطمئنة عليه . آه يا صديقى ! إن الهموم اذا حلت تأتى أفواجا ، وإبنى لأحمل العبء الأكبر منها على كتفى .

قال محتجا :

— ألا تحمل ميح معك الأعباء نفسها ؟

قالت :

- — طبعا ، إنها تحاول ذلك ، ولكنها لا تحب بث بقدر ما أحبها ، ولن تفتقدما مثلى . إن بث كروحي ولا يمكننى أن أعيش بدونها ، لا يمكننى أبدا !!

ودفنت جو وجهها مرة ثانية فى منديلها ، وراحت تبكى فى يأس وقنوط ، فقد احتفظت بسيطرتها على نفسها حتى هذه اللحظة ، ولم تذرف دمعة واحدة قبل ذلك . ورفع لورى يده يغطى عينيه ولم ينطق بكلمة حتى سيطر على الدموع التى ملأت عينيه ، وابتلع الغصة التى وقفت فى حلقه ، وأعاد الهدوء الى شفثيه المرتجفتين . نعم ، قد لا يكون البكاء من شيم الرجال ، ولكنه لم يتمالك نفسه على أى حال . ورويدا رويدا هدأت جو وخف نحببها ، فقال فى لهجة مفعمة بالأمل :

— لا أعتقد أن الله سيأخذها منا ، إنها فتاة طيبة ، ونحن جميعا نحبها كل الحب .

قالت وهي تتن حزنا :

— إن الله يختار الى جواره الطيبين دائما .

ولكن كلمة صديقتها بعثت أملا جديدا في قلبها ، فكفت عن البكاء ، رغم ما ساور قلبها من شك وخوف .

قال :

— مسكينة يا صديقتي ، لقد أنهك الحزن ، فخلي عنك قليلا ، وكوني كما عهدتك شجاعة ، وسوف أعينك على الاحتمال بجرعة منعشة .

وهرع يصعد السلم قفزا ، وأسندت جو رأسها الى عباءة بث البنية التي تركتها في آخر مرة لها ، ولم يفكر أحد في رفعها من مكانها فوق المنضدة . وكأنما كان في لمس تلك العباءة سحر ، وكأنما بعث روح صاحبها الطيبة في جو إحساسا بالخضوع والرضا ، فما إن هبط لورى يحمل كأسا من النبيذ ، حتى تناولته باسمه وقالت في شجاعة :

— لأثرب نخب صحة بث العزيزة . إنك طبيب ماهر يا تيدى ، وصديق صدوق .

وأنعشها الشراب قليلا ، كما أنعشتها كلمات صديقتها ، وأراحت بالها . قالت :

— كيف أرد لك الجميل ؟

قال لورى وقد أشرق وجهه غبطة بأمر يفكر فيه ويكتمه فى نفسه :  
— سوف أرسل لك « فاتورة » الحساب بعد قليل • وسوف أقدم  
لك هذا المساء شيئاً يبعث فى قلبك حرارة أكثر من هذا الشراب •

قالت جو ، وقد نسيت أحزانها فى عجبها لقوله :

— ما هو ؟

قال :

— لقد أبرقت الى والدتك أمس ، وتسلمت رداً من بروك بعودتها  
فوراً ، وستصل هذه الليلة فتتحسن الأمور • ألا يسرك هذا النبأ ؟

وكان الفتى يتكلم فى سرعة شديدة ، وقد احمر وجهه انفعالاً ،  
لأنه أخفى الأمر سرا ، خشية أن يخيب أمل البنات لسبب من الأسباب ،  
أو أن تسوء حالة بث • وابيض وجهه جو ، ثم قفزت واقفة من مقعدها ،  
فما إن انتهى من حديثه ، حتى طوقت عنقه بذراعيها وصاحت فى  
فرح :

— آه يا لورى ! أمى ستحضر ؟ ! إنى سعيدة الى أبعد حد !

ولم تبك بعد ذلك ، بل راحت تضحك ضحكة هستيرية وهى ترتجف ،  
وتتسبب بصديقتها كأنما هذا الخبر قد سلبها قوتها • ورغم دهشة  
لورى ، فقد تصرف تصرفاً حميداً ، فراح يربت على ظهرها ، فلما رآها  
تهذاً قليلاً طبع على جبينها قبلة فى خجل ، وعندئذ تنبعت جو فأبعدته  
عنها ، واستندت الى حاجز السلم ، وقالت :

— لا •• لا •• لم أقصد •• لقد كنت فى حالة سيئة من الحزن ،  
فلما سمعت بما فعلت على الرغم من أوامر حنا ، لم أملك إلا أن أعانقك •

قل لى بالله كل شىء ولا تعطنى مزيدا من هذا الشراب الذى جعلنى  
أفقد توازنى ووقارى •

قال الفتى وهو يضحك ويصلح رباط رقبتة :

— إنى لا أمانع فيما فعلت ! المسألة وما فيها أن القلق زاد بى  
ويجدى وخيل الينا أن حنا تبالغ فى استعمالك حقها ، ورأينا من واجبنا  
أن نحيط أمك علما بالأمر ، حتى لا تلومنا اذا أصاب بث مكروه • وعندما  
رأيت الوجوم على وجه الطبيب أمس ، ولست من غضب حنا ، لما  
طلبت منها أن تناديك ، أقنعت جدى بأن الوقت قد حان لأخطار أمك  
بالأمر ، وتسلت الى مكتب البرق وأرسلت البرقية • وستحضر أمك فى  
قطار الساعة الثانية صباحا ، حيث أستقبلها بنفسى ، وما عليك الآن  
سوى أن تلقى همومك جانبا ، وتحافظى على هدوء بث ، حتى تصل  
السيدة الطيبة الى بيتها •

قالت جو :

— إنك ملك كريم يا لورى ، ولست أدرى كيف أوفيك حقك من  
الشكر ••

قال لورى ، وقد تجلت فى عينيه نظرة مأكرة ، لم ترها جو منذ  
أسابيع :

— أفضل أن تعانقينى مرة ثانية •••

قالت :

— لا •• شكرا •• أفضل أن أعانق جىدك بالنيابة عنك عندما  
يحضر ، فكف عن إغاظتى ، وعد الى بيتك لتستريح ، فأمامك سهر

طويل الى ما بعد منتصف الليل • بارك الله فيك يا تيدى ! بارك الله فيك !

وخرج الفتى وهو يشعر أنه أتى أمرا عظيما حقا ، وتقهقرت جو الى جانب الحائط ، ثم انسلت الى المطبخ ، وجعلت تحدث القطيطات يسعادتها البالغة • وعندما علمت حنا بالأخبار الطيبة ، قالت وقد انزاح عن قلبها حمل ثقيل :

— لم أر إنسانا يتدخل في شئون الناس مثل هذا الفتى ، ولكنى أصفح عنه على كل حال ، وآمل أن تكون مسز مارش في طريقها الينا الآن •

واغتبطت ميج بالخبر ، وامتلا قلبها براحة الهدوء ، وجعلت تفكر في الخطاب الذي تكتبه ، وعكفت جو على غرفة المريضة ترتبها وتنظفها ، أما حنا فقد اتخذت احتياطاتها ، وأعدت فطيرتين لمن قد يحضر مع السيدة • وبدا كأن نسمة من الهواء النقي قد سرت في البيت ، وأن ضوءا يفوق أشعة الشمس بهاء قد غمر الغرفة الساكنة ، وأن كل ما في البيت اكتسى بالأمل والتفاؤل ، فغرد عصفور بث مرة ثانية ، وتفتحت وردة بين شجيرات أمى في النافذة ، وأضاعت نيران الموقد المكان بضوء مرح ، وتعانقت الأختان الكبيرتان ، وكل منهما تقول للأخرى هامة :

— إن والحتى قادمة يا عزيزتى ، إنها قادمة !

وشمل الحبور أفراد الأسرة عدا بث ، فقد رقدت في فراشها غائبة عن وعيها ، غير شاعرة بالأمل والسرور ، أو بالشك والخطر •• وكان منظرها يستدر الشفقة ، فهذا الوجه الذى كان موردا صبوحا ، صار

نحيلا شاحبا ، وباتت الأيدي التي لم تكف عن العمل ترقد ضعيفة خائرة ، وهذه الشفاه الضاحكة أصبحت باهتة صامتة ، وهذا الشعر المرتب الجميل انتثر على الوسادة في خشونة وفوضى . وانقضى اليوم والفتاة ترقد هكذا ، لا تفيق إلا لحظة قصيرة تتمم فيها بشفتيها الباهتين كلمة ماء ، وتنطقها بصوت خافت لا تكاد تتبينه الأذن ، وطول اليوم كانت جو وميج تهيمان في أرجاء البيت ، ترقبان وتنظران وتأملان خيرا في رعاية الله وعناية الأم . وظلت الريح تصفر خارج البيت طول اليوم ، والثلج يتساقط من السماء على مضي ساعات النهار البطيئة المتوانية . وأخيرا هبط الظلام على الدنيا ، والأختان تجلسان على جانبي سرير المريضة ، وكلما دقت الساعة دقائقها ، التفتت الواحدة منهما الى الأخرى بعين تلتمع راحة لقرب الفرج ، فلقد جاء الطبيب وقرر أن منتصف الليل سيكون لحظة حاسمة في سير المرض ، عنده يتقرر مصير الصغيرة العلييلة .

وكان التعب قد أعيا حنا ، فاستلقت على الأريكة بجوار السرير ، وسرعان ما غلبها النوم ، وجعل مستر لورنس العجوز يسير في الردهة جيئة وذهابا ، وهو يحس بأنه أقدر على مواجهة فرقة من العصاة من أن يواجه القلق المرتسم على وجه مسز مارش عند حضورها . وقرق لورى على البساط متظاهرا بأنه يستريح ، ولكنه كان يحملق في نيران المدفأة بنظرة ساهمة زادت سواد عينيه حلقة وصفاء .

وكانت ليلة ليلاء في حياة جو وميج ، اختلطت الالهفة فيها بالانتظار ، وتعانقت الحيرة بالقلق .



همست ميج في حرارة :

— اذا عفا الله عن بئث وشفافها ، فلن أشكو همًا طول حياتي •  
ولن أتذمر من ضيق مهما بلغ •

وأجابت جو بنفس الحرارة :

— وسأكون ، اذا شفافها الله ، خير عبده في هذه الدنيا كلها •

فقال ميج :

— لست أدري كيف نقوى على الحياة اذا توالى فيها صعاب  
كهذه ؟!

وهنا دقت الساعة معلنة منتصف الليل ، ونسيت الفتاتان نفسيهما  
وهما ترقبان التغير الذي بدا لهما على وجه بئث الشاحب • وكان البيت  
ساكنًا كالقبر ، وليس من صوت يعكر سكونه سوى عويل الرياح في  
الخارج • وكانت حنا المتعبة تغط في نومها ، فلم ير أشباح الأسي التي  
تخيم فوق سرير المريضة غير أختيها • ومضت ساعة ثم خرج لوزي في  
هدوء ليستقبل القطار ، ومضت ساعة أخرى ولم تحضر أمهما ، وتملكت  
الفتاتين نوبة من القلق الشديد ، وخافتا أن يتأخر حضورها بسبب  
العاصفة أو حوادث القطر ، وكان أكثر ما تخشيان أن تسوء حالة الأب ،  
فتضطر الأم الى البقاء معه •

ووقفت جو تتطلع من النافذة الى الدنيا الحالكة تحت غطاء ثلجها  
الأبيض ، وكانت الساعة قد تجاوزت الثانية ، عندما أحست بحركة في  
سرير المريضة ، فالتفتت بسرعة لترى ميج راكعة أمام المقعد الذي  
اعتادت أمها أن تجلس فيه ، وقد أخفت وجهها في كفيها • وسرى في  
بدن جو رعب شديد ، إذ خيل اليها أن بئث لفظت أنفاسها وأن ميج

تخشى أن تخبرها بذلك . وعادت مسرعة الى مكانها بجوار الفراش ،  
فأرت والرعبا يملأ نفسها أن تغيرا واضحا كسا وجه الراقدة ، فقد  
تلاشت عنه حمرة الحمى والألم ، وحل محلها تعبير من الهدوء والسلام  
والراحة ، أثار في نفس جو رغبة شديدة في البكاء أو العويل . فأنحنت  
على أعز أخواتها تطبع على جبينها البتيل قبلة صدرت من قلبها ،  
وهمست :

— وداعا يا بث ، وداعا !!

وكان الحركة الصغيرة أيقظت حنا من سباتها ، فقامت مسرعة  
تتطلع الى بث ، وتتحسس يديها ، وتستمع الى الأنفاس المترددة من  
بين شفيتها ، وما لبثت أن ألقت بمرولتها جانبا ، وجلست تتمتم في  
عجب :

— لقد زابتها الحمى ، وهي تمام نوما طبيعيا ، والمرق يندى  
جسدها وتنفسها هادىء منتظم . لك الشكر يا إلهى . . . لك الشكر !!  
وقبل أن تؤمن الفتاتان بقولها ، جاء الطبيب ليتأكد من زوال  
الخطر ، وكان رجلا عاديا في شكله ، ولكن ابتسامته بدت لهما ملائكية  
مشرقة ، قال :

— نعم إنها أحسن حالا ، وسوف تشفى عن قريب ، فاحتفظن  
بهدوء البيت لتنام ، فإذا استيقظت فأعطينها ٠٠٠٠

ولم تسمع الفتاتان ماذا يجب أن تجرع المريضة ، فقد رجعتا الى  
الروضة المظلمة ، وجلستا على درجة السلم متلاصقتين ، تتعمان بلذة  
للحبة الطيب ، ولا تقويان على التمييز عن سعادتهما بكلمة أو إشارة .

وعندما عادت الى الحجرة ثانية ، طوقتها حنا بذراعيها وقبلتهما ، ونظرت الفتاتان الى بث فرأتها تترقد في سلام ، وقد انزاح عن وجهها امتقاعه السابق ، وترددت أنفاسها في انتظام ، كأنها قد استسلمت الى النوم لتوها .

وقالت جو وقد كاد الليل البارد ينقضى :

— ليت أمي تحضر الآن !

وقالت ميج وهي تمسك بوردة بيضاء بدأت تتفتح أوراقها :

— انظري .. ظننت أن هذه الوردة لن تتفتح حتى نضعها في يد بث اذا ما .. اذا ما ناداها الله الى جواره ، ولكنها تفتحت في أثناء الليل ، وسوف أضعها في آنية الزهر ، حتى اذا ما صحت العزيزة من نومها ، كان أول ما يطالعها هذه الوردة الجميلة ووجه أمي العزيزة .

ولم تشرق الشمس في جمال يعادل إشراقها ذلك الصباح ، ولم تبد الدنيا أحلى مما بدت ، عندما فتحت الفتاتان جفونهما المثقلة بالنوم ، بعد أن انقضت ساعات الحزن والأسى .

وقالت ميج وهي ترقب من وراء ستار النافذة ، ضوء الصباح الباهر :

— أرى الدنيا اليوم حلما جميلا .

وصاحت جو وهي تقفز واقفة :

— ما هذا ؟

فقد علت جلجلة أجراس العربة عند باب الدار ، وصلت حنا مهللة ، وتعالى صوت لورى يقول في مرح هادئ :

— لقد وصلت يا بنتك ، لقد وصلت !

## الفصل التاسع عشر

### وصية أمي

بينما الأحداث تجرى في بيت آل مارش ، كانت أمي تعاني الأمرين في ضيافة عمتها ، فقد حزت في نفسها مرارة النفي ، وأحست لأول مرة ، بمدى ما كانت تنعم به من حب أهلها وتدليلهم ، إذ كانت العممة مارش لا تدلل أحدا ولا تؤمن بالتدليل ، ولكنها كانت تظهر عطفها على الفتاة المهذبة التي وقعت من نفسها موقعا حسنا . وكانت تكن لأولاد قريبتها مودة في قلبها العجوز ، ولكنها كانت تنكر على نفسها أن تعترف بها صراحة ، ولذلك بذلت ما بوسعها في توفير أسباب السعادة للفتاة الصغيرة . ولكن ما أكثر الأخطاء التي وقعت فيها خلال سعيها الطيب . إن بعض العجائز يحتفظون بقلوب فتية رغم التجاعيد التي تغطي وجوههم ، والمشيبي الذي يكسو شعورهم ، فينسجمون مع الأطفال في أمورهم ومسراتهم ، وتزول الكلفة فيما بينهم ، وبذلك يصبح في مقدورهم إسداء النصيحة بطريقة محببة ، تقابلها الصداقة والعطف الجلو . ولكن العممة مارش لم ترزق هذه الهبة ، فأنهكت الفتاة بسيل من القواعد والأوامر الدقيقة تصوغها في عبارات ومحاضرات طويلة . وكانت أمي أكثر من أختها جو هدوء ومسألة ، فرأت العجوز أن تقومها ، لتعالج الأثر السيء للحرية المطلقة التي نشأت عليها الفتاة . فاستبدت في معاملتها ، كما كانت أمها تستبد بها منذ ستين عاما ، مما أثار نفس أمي ، وجعلها تشعر كأنها ذبابة ضعيفة وقعت في براثن عنكب شريير .

وفرضت عليها كل صباح أن تغسل الفناجين ، وتمسح الملاعق ،

وتلمع إبريق الشاي الفضى ، وتنظف زجاج النوافذ ، ثم عليها بعد ذلك أن تنفض الغبار عن الحجرة وهو أمر عسير . ولم تكن عينا العممة مارش تغفلان عن أى إهمال يصدر من الفتاة ، ولم يكن يفوتها أقل غبار ، يبقى بين ثنايا نقوش المفروشات القديمة . ولذلك كان على أمى أن تعمل بجد واجتهاد ، فاذا انتهت من واجباتها الكثيرة ، أطعمت البيغاء ، ومسطت شعر الكلب المدلل ، ونزلت السلم وصعدته عشرات المرات ، تؤدى الخدمات وتبلغ الأوامر عن عمته العرجاء التى لا تكاد تغادر مقعدها . وبعد كل هذا ألنصب تجلس الى دروسها تستذكرها ، وعند ذلك يسمح لها بساعة تقضيها فى الرياضة واللعب . وكان لورى يحضر كل يوم ، ويظل يلح على العممة مارش ، حتى تصرح لأمى بالخروج معه ، لترفه عن نفسها بالنزهة فى العربة أو سيرا على الأقدام . وبعد تناول الطعام ، تقرأ الفتاة للعجوز بصوت مرتفع ، ثم تجلس ساكنة عندما تغفى العممة ، وهى عادة تنام على كرسيها ساعة ، فاذا صحت بيداً التطريز وشغل الابرة ، فتظل الفتاة تعمل فى هدوء ظاهر ، وثورة مكبوتة حتى يحل الغسق ، فتطلق لها الحرية الى موعد الشاي . ثم يأتى المساء ، وهو أفظع ما فى اليوم ، إذ تشرع العممة مارش تقص قصصاً لا تنتهى عن شبابها ، وغالبا ما تكون القصص قابضة ، حتى يحين موعد النوم ، فتذهب الفتاة الى فراشها ، وفى نيتها أن تبكى فيه ما شاء لها البكاء ، ولكن ما إن تذهب فعلا اليه حتى يغلبها النعاس ، قبل أن تعتصر من عينيها دُمعة أو دمتين . ولولا زيارات لورى ، ولولا أستر خادم عمتها ، ما أمكن أمى أن تحتمل الوقت العصيب الذى تقضيه فى بيت عمتها ، فقد كان البيغاء وحده ، يسبب لها عذابا شديدا ، بعد أن شعر بكراهيتها له ، فراح ينتقم منها بكل ما يعرفه من وسائل المكر والخبث . كان يشد شعرها كلما اقتربت منه ، أو يغيظها فيقلب وعاء طعامه ومائه بعد أن

تنتهى من تنظيف قفصه ، أو يثير الكلب المدلل بأن ينقره ، فينبج أثناء نوم السيدة ، كما كان يسبها ويشتمها أمام الزوار ، وبالاختصار كان يجعل كل ما يمكنه لازعاجها وتعذيبها . وكان هناك أيضا ذلك الكلب المدلل السمين الغضوب ، الذى لا ينقطع عن النباح ، ولا يكف عن التكشير عن أنيابه كلما تولت أمر نظافته وتمشيط شعره ، أو يرقد على ظهره ويرفع أرجله فى الهواء معاكسا مشاكسا ، أو يبدي جميع حركات الغباوة والسماجة اذا أراد شيئا يأكله ، وهو أمر يحدث عشرات المرات فى أثناء النهار .

وبالإضافة الى هذا كله ، كانت هناك الطاهية الصماء الغضوب وسائق العربة الأحم ، ولم يكن فى البيت من يعطف على أمى سوى الخادم أستر .

وكانت أستر هذه فرنسية الأصل ، عاشت مع « المدام » ، كما كانت تسمى العمة مارش ، سنوات طويلة ، وكانت متعنتة مع السيدة العجوز ، لعلمها بأنها لا يمكن أن تستغنى عنها . وكان اسمها الحقيقي أستل ، وقد طلبت منها العمة مارش أن تغير اسمها بأستر ، وقد رضيت بشرط أن لا تطلب منها السيدة أن تغير دينها بعد ذلك . وقد عطف الخادم على « الدموازيل » ، فكانت كلما أتاحت لها فرصة الجلوس معها ، تقص عليها أغرب القصص عن حياتها فى فرنسا ، كما سمحت لها بالتجول فى أنحاء البيت الكبير تفحص ما به من التحف والغرائب المحفوظة فى الأصونة والصناديق القديمة ، والتي طفقت مسر مارش تخترنها فيها على مر السنوات وكان أكثر ما تحبه أمى ، أن تفحص صوانا هنديا ، به أدراج ورفوف ومخابئ سرية ، امتلأت جميعها بغرائب وتحف ، بعضها ثمين وبعضها تافه . وكان أعظم ما يسعدها أن ترتب هذه التحف

وتصفها ، خصوصا صندوق الحلوى المبطن بالمخمل ، إذ كان يحتوى على كثير من الحلوى التى عرفها النساء منذ أربعين عاما . وكان بالصندوق مجموعة من الياقوت تتحلى بها العمة عند خروجها ، وعقد لؤلؤى أهداها إياه أبوها يوم زفافها ، ثم ماسات زوجها وخواتمه ودبابيسه وخصلة شعره ، وكذلك صور أصدقاء ماتوا ، وأساور طفلتها الوحيدة التى فقدتها رضيعا . هذا الى جانب ساعة العم مارش التى تتحلى منها حلية حمراء ، طالما عيشت بها أيدى أطفال عديدين . وفى صندوق آخر حفظت العمة خاتم زواجها بعد أن ضاق قطره عن أصبحها السمينة .

وقد سألتها أستتر يوما ، وهى تجلس الى جانبها ترقبها وهى تفحص هذه التحف :

— أية قطعة من هذه الحلوى تحب الدموازيل أن توصى بها عمته لها ؟

قالت أمى ، وهى تنظر فى إعجاب الى عقد ذهبى مطعم بخشب الأبنوس ، وقد تدلى منه صليب ثقيل من المعدن المنقوش نفسه :

— هذه الماسات تعجبني كثيرا ، ولكنى لا أرى بينها قلادة واحدة . وبما أنى أريد قلادة أزين بها عنقى ، فليس أمامى سوى أن أختار هذا العقد الذهبى .

فقالت أستتر وهى تنظر باعجاب الى الحلية الذهبية :

— إنها تعجبني أيضا ، ولكنى أفضل أن أستعملها كعمويدة ، لأننى

امرأة متدينة .

فسألتها أمى :

— أتعين أنك تفضلين أن تستعمليهما كالمسبحة الخشبية ، التى

تعلقينها فوق مرآتك ؟

قالت :

— نعم ، لأصلى بها ، فهذا يرضى القديسين ، أكثر مما يرضيهم

• أن ألبسها للزينة والبهرج •

قالت الفتاة :

— إنك تستمدين من الصلاة راحة النفس وهدوءها ، فليتتى

كنت مثلك !

قالت :

— لو كنت كاثوليكية مثلى لأحسست بالراحة عند الصلاة ،

ولكنك بروتستنتية ، فمن الخير أن تفعلى مثلما كانت تفعل مخدمتى

السابقة ، إذ كانت تنفرد كل يوم بنفسها تفكر وتتأمل وتصلى أمام

المذبح الذى أقامته فى بيتها ، فتجد فى ذلك راحة وسلوانا •

وكانت أمى تشعر فى وحدتها هذه بحاجة الى ما يعينها ، ولم تكن

تقرأ فى كتاب النصائح إلا نادرا ، إذ لم يكن يذكرها بالقراءة فيه غير

بث • فقالت تسأل الخادم :

— أمن الصواب أن أفعل ما تنصحين به ؟

قالت :

— من غير شك ! سوف تشعرين بمنتهى الراحة والهدوء ، فاذا

وافقت على اقتراحى ، هيات لك مذبحا للصلاة فى حجرة الملابس



الصغيرة • فلا تذكرى الأمر لعمتك ، وعندما تنام اذهبي واجلسي وحيدة ، ولا تفكري إلا في الخير ، واضرعي الى الله أن يحفظ أختك المريضة •

وكانت أستر امرأة رقيقة القلب متدينة ، تحس بما تعانيه الفتاة من قلق نحو أختها ، فاطمأنت أمي الى نصيحتها ، وقبلت أن تهيبء المذبح في الحجرة الصغيرة المجاورة لحجرتها ، راجية أن يكون الخير فيما تعمل •

وراحت تعيد التحف والحلى الى مكانها قطعة بعد قطعة ، فلما انتهت أغلقت العلبة ، ثم قالت :

— ليتنى أعرف الى من تؤول هذه التحف الجميلة بعد موت العمه مارش •

فهمست أستر تقول باسمه :

— سنؤول اليك والى شقيقاتك ، فلقد أخبرتنى « المدام » بذلك ، كما أنى كنت شاهدة على وصيتها •

فقالت أمي وهى تلقى نظرة أخيرة على الماسات :

— جميل جدا ! ولكنى أتمنى لو أمكن أن نأخذها ، فانى أحب الخيرات العاجلة لا الآجلة •

قالت :

— ولكنكن صغيرات بعد ، ولا يجوز لكن الترين بالجواهر •

( ج ٢٤ — نساء صغيرات )

قالت لى « المدام » بأنها ستهدى أول من تتزوج منكن عقد اللالىء •  
وأعتقد أنها ستعطيك الخاتم الفيروز عند عودتك ، لأنى أرى عليها  
دلائل الرضا عن سلوكك وأخلاقك الحميدة •

قالت آمى وهى تجرب الخاتم المنشود على أصبعها ، وقد شاع  
السرور فى وجهها ، والعزم على الحصول عليه فى نفسها :

— أتعقدين ذلك حقا ؟ والله لو كان صدقا ما تقولين ، لأصبحت  
فى وداعة الحمل وخضوعه ! انه أبدع كثيرا من خاتم كيتى برايانت •  
انى أحب العمة مارش رغم كل شىء !

ومنذ تلك اللحظة صارت مثلا للطاعة ، مما أشاع الرضا فى نفس  
السيدة العجوز بنجاح طريقتها فى التربية • وراحت أستر تعد المذبح  
فى الحجرة الصغيرة ، فأحضرت منضدة صغيرة ووضعت أمامها وسادة  
للركوع ، كما وضعت صورة للعدراء فوق المائدة أخذتها من بين تحف  
« المدام » ، مطمئنة الى أنها قليلة القيمة ، ولن تغضب السيدة اذا  
كشفت فقدها من صندوقها • ولكن الصورة لم تكن فى الحقيقة تافهة  
كما ظنت أستر ، بل كانت نسخة ثمينة جدا لاحدى روائع الفن العالمى ،  
وقد أحست آمى بجمالها وعظمتها ، فكانت لا تكل من التطلع إليها ،  
وقلبها مفعم بالآمال الحلوة والأفكار السعيدة • ووضعت فوق المائدة  
أيضا إنجيلا وكتاب الصلاة ، وآنية للزهور الياضعة التى يأتيا بها اورى •  
وفى كل يوم تجلس وحيدة تفكر وتتأمل ، وتصلى إلى الله أن يحفظ  
أختها ، وكانت أستر قد أعطتها صليبا خشبيا بسيطا تعلقة على صدرها  
وهى تصلى ، ولكن عقيدتها البروتستانتية أبت عليها أن تفعل ذلك ،  
فكنعت بتعليقه على الحائط •

وكانت مؤمنة كل الايمان بما تفعل ، فقد جعلها بعدها عن بيتها ،  
تشعر بحاجة الى قوة مشجعة ا ولذلك توجهت الى الله ضارعة ان يرعى  
الكبار والصغار ويساعدهم على متاعبهم • ولم تكن أمها بجانبها ترثدها ،  
ولكن التعاليم التي أخذتها عن أبيها ، أحسنت توجيهها الى الطريق الصحيح  
دون أن تشعر • حاولت أن تنسى نفسها وهمومها ، وأن تحتفظ بالبشر  
والرضا بواجباتها • وفي غمرة حماسها الدينية : قررت أن تحذو حذو  
عمتها ، فتكتب وصيتها ، حتى اذا مرضت أو ماتت ، توزعت ممتلكاتها بالعدل  
بين ورثتها • وأحست برجفة الخوف لمجرد تفكيرها في التنازل عن كنوزها  
الصغيرة : التي بدت في عينيها غالية ثمينة كمجوهرات عمتها العجوز •

وفي ساعة من ساعات لجهها كتبت الوثيقة الهامة ، كأحسن ما تستطيع  
أن تكتبها ، وأضافت اليها بعض فقرات قانونية بمساعدة أستر • فلما  
انتهت الفرنسية الطيبة من توقيع الوصية كشاهدة ، أحست آمل براحة  
كبيرة ، واحتفظت بالورقة جانبا في انتظار لورى ، كى يكون الشاهد الآخر  
عليها • ولما كان الجو مطيرا ، سعدت تسلى نفسها فى إحدى القاعات  
الفسيحة واصطحبت الببغاء معها يسليها • وكان بالرفة خزانة ملابس  
كبيرة عامرة بالثياب القديمة • فسمحت لها أستر بأن تلعب بها • وكانت  
تسلية كبيرة للفتاة أن تلبس هذه الملابس الباهتة ، وتستعرض شكلها  
فيها أمام المرأة ، غمرة تنحنى فى تحية رشيقة ، ومرة تسحب الزيول  
الطويلة فتسمع لها حفيفا يسر أسماعها • وفى شغلها بمتعها العظيمة ،  
لم تسمع لورى وهو يسدق الجرس ، ولم تره كذلك وهو يسترق النظر  
اليها فى أثناء تثنيها وسيرها أمام المرأة ، وهى تداعب مروحتها ، وتهز  
رأسها المعمة فى حرير وردى ، فى تيه ودلال • وكانت تلبس حذاء على  
الكعب ، فراحت تسير فى بطة وحذر • وكان منظرها مضحكا وهى تيه

في الثوب البراق ، ومن خلفها البيغاء يسير مقلدا اياها أو راقفا يضحك  
قائلا في عجب :

— ألسنا مدهشين ؟ هيا أيها المزعج ! أمسك لسانك ! قبلنى  
يا عزيزى .. ها .. ها .

وأثار منظر آمى رغبة لورى في الضحك ، ولكنه كبت هذه الرغبة ،  
خشية أن يجرح كبرياءها ، وطرق الباب في رقة يعلن قدومه ، فقالت آمى  
وهي ترجع الثياب الى الخزانة :

— اجلس واسترح حتى أضع هذه الأشياء في أماكنها ، وبعد ذلك  
سوف أستشيرك في أمر على جانب كبير من الأهمية .

ثم أردفت وهي تعيد البيغاء الى ركنه ، ثم تفك العمامة الوردية من  
فوق رأسها :

— ان هذا الطائر محنة حياتى .

وجلست على مقعد ، بينما جلس لورى على مقعد آخر قبالتها .  
قالت :

— بالأمس راحت العمة في غفوتها بعد الغداء ، وجلست أنا هادئة  
ساكنة كالفأر ، فاذا بهذا الطائر يصيح ويضرب بجناحيه في قفصه ،  
ودهبته لأطلق سراحه ، فرأيت بالقفص عنكبا كبيرا ، هبط يجرى  
تحت خزانة الكتب ، ومن ورائه البيغاء الذى راح يحنى رأسه ويطل على  
العنكب ويقول له في لهجته المضحكة :

— اخرج يا عزيزى ، وهيا بنا نتنزّه قليلا سيرا على الأقدام .

ولم أتمالك نفسى من الضحك ، مما جعل البيغاء يشتمنى ، فاستيقظت  
العمة وأنبئتنا نحن الاثنين •

فقال لورى وهو يتثاءب :

— وهل قبل العنكب الدعوة ؟

قالت :

— نعم ، فقد خرج من تحت الخزانة بسرعة ، مما أفزع البيغاء  
فزعا مميتا ، فولى الأدبار ، وارتطم بساقي العجوز ، وراح يصيح :  
« امسكوه •• امسكوه •• امسكوه •• » وانطلقت أنا أجرى وراء  
العنكب •

فصاح البيغاء ، وهو ينقر قدم لورى :

— هذا كذب ، والله • •

فصاح لورى بدوره ، وهو يهز قبضته فى وجه الطائر :

— لو كنت ببغائى ، ما توانيت عن كسر عنقك ، أيها العجوز  
الوقح •

وظأطأ الطائر رأسه وقال بصوت أجش :

— كلام فارغ !

قالت أمى ، وهى تعلق خزانة الملابس ، وتخرج ورقة من جيبيها :

— أنا الآن مستعدة ، أريد منك أن تقرأ هذه ، من فضلك ، وأن  
تخبرنى ان كانت قانونية أم لا • ان الحياة غير مضمونة ، وأرى من  
واجبى أن أكتبها ، حتى لا يذكرنى أحد بسوء فوق قبرى •

وراح الفتى يقرأ الوثيقة ، متظاهرا بالوقار والثبات • وكانت  
كما يأتي :

### آخر وصية لى

« أقرر أنا أمى كورتيس مارش ، وأنا فى كامل عقلى ووعى ، أننى  
أوصى بممتلكاتى الشخصية أمام الشهود الموقعين أدناه ، كالآتى بالاسم :

« أوصى لأبى بجميع صورى ولوحاتى وخرائطى وأعمالى الفنية ،  
بما فى ذلك الاطارات الخشبية • وكذلك أوصى له بالمائة دولار التى أملكها  
يتصرف فيها كما يشاء •

« وأوصى لأمى بملابسى ، ماعدا مرولتى الزرقاء ، ذات الجيوب ،  
وكذلك أوصى لها بأيقونتى مع حبى البالغ •

وأوصى لأختى العزيزة مارجريت بخاتمى الزبرجدى ( اذا كنت  
سأحصل عليه ) ، وبصندوقى الأخضر وما فيه من حمام ، وبقطعة الدنتلا  
الحريية ، كذلك بالرسم التخطيطى والذى عملته تذكارا •

وأوصى لجر بمشبك الصدر الذى أصلحته بالشمع الأحمر ، وبمحبرتى  
البرونزية ذات الغطاء المفقود ، وبأعلى تمثال صلصالى صنعته لأرنب ،  
كل ذلك لأكفر عن خطاى السابق باحراق قصتها •

وإذا عاشت بث بعدى ، أوصى لها بجميع عرائسى ، وبصوان  
الزينة ، وبمروحتى ، وببنياقتى التيل وخفى الجديد ، وأعتقد أنه يناسبها  
الآن ، لأنها ستكون نحيفة بعد شفائها من المرض • وأشهد هنا أيضا  
أننى أعتذر لها عن ضحكى من عروستها جوانا ، وسخريتى الدائمة بها •  
أوصى لصديقى وجارى تيودور لوزنس بحافظة أوراق رسومي ،

وبتمثال الحصان الذي عملته من الصلصال ، رغم ما يقوله من أن الحصان بلا رقبة • ومكافأة له على لطفه وطيبته ، له أن يختار ما يعجبه من رسومي الفنية التي أعتقد أن صورة نوتردام أجملها •

وأوصى لحامينا الطيب مستر لورنس بصندوقى الأرجوانى ذى الغطاء الزجاجى ، لأنه يصلح لوضع أقلامه ، كما ، كما أنه سيذكره بصاحبته الراحلة التي شكره على أفضل كثيرة غمر بها أفراد الأسرة كلهم خصوصا بث •

كما أحب أن تأخذ صديقتى كيتى برايانت مرولتى الحريرية وخاتمى الذهبى مع قبلاتى •

وأوصى لحنا بالصندوق الذى أعجبها ، وبأدوات الحياكة ، حتى تذكرنى كلما استعملتها •

والآن ، وقد وزعت أعلى ممتلكاتى ، أمل أن يكون ورثتى راضين ، ولا يلومونى بعد موتى • وانى أصفح عنهم جميعا ، مؤمنة بأننا سننقابل يوم ينفخ فى الصور •

• آمين

وانى أوقع على هذه الوثيقة بيدى وختمى فى اليوم العشرين من شهر نوفمبر •

آمى كورتيس مارش

شهود:

• أستيل فالنور

• تيودور لورنس

وكان اسم لورنس مخطوطا بالقلم الرصاص ، وطلبت أمى من لورى أن يعيد كتابته بالحبر ، وأن يضع الوصية فى مظروف ويقله جيدا .  
فقال لورى فى وجوم ، عندما ألقى أمى شريطا أحمر على المظروف وثبته بالشمع الأحمر وختمته :

— ما الذى جعلك تفكرين فى كتابة هذه الوصية ؟ هل قال لك أحد بأن بث توزع ممتلكاتها ؟

فشرحت له أمى سبب كتابتها لوصيتها ، ثم سألته :

— قل لى ماذا صنعت بث ؟ هل كتبت وصية هى الأخرى ؟  
قال :

— يؤسفنى أن أخوض فى هذا الموضوع ، ولكن ما دمت قد ذكرته فسأقول لك ما جرى . لقد أحست يوما بأنها فى حالة سيئة ، فقالت لجدو بأنها تود لو أخذت ميح المعزف ، وبأن تأخذى أنت عصفورها ، وبأن تأخذ جدو دميته المسكينة لأنها ستحبها من أجل بث . وقالت بأنها آسفة لتفاهة ما تتركه لأخواتها ، وأوصت بخصلات من شعرها لبقية أفراد الأسرة ، وبحبها لجدى . ولكنها لم تفكر أبدا فى كتابة وصية كهذه .

وكان لورى مطرقا فوق المظروف ، ولم يرفع رأسه إلا عندما سقطت دمعة كبيرة على الورق ، وأفعمت نفس أمى بالاضطراب ، ولكنها قالت :

— أليست العادة أن يكتب شىء على المظروف الخارجى ، زيادة على ما جاء فى الوصية ؟

قال :



— نعم ، وتسمى تعديل الوصية •  
قالت :

— اذا اكتب تعديلا بأنى أريد أن توزع خصلات شعري كلها على  
جميع أصدقائي • لقد نسيت أن أقول ذلك ، وان كنت أكره أن تقص  
خصلاتي كلها ، فيصبح شكلى قبيحا فى موتى •

• وأضاف لورى ما أرادت وهو بيتسم من آخر تضحياتها وأكبرها •  
وراح يسليها ساعة ، وعندما استأذنها فى الذهاب ، افتحت به  
جانبا ، وقالت وشفتها ترتجفان :

— هل هناك خطر حقيقى على حياة بث ؟

قال وهو يربت على ظهرها مهدئا :

— أخشى أن يكون ذلك صحيحا ، ولكننا نأمل فى الخير دائما •  
لا تبكى هكذا يا عزيزتى •

وعندما غادرها ، ذهبت الى مذبحة الصغير ، وفق ضوء الفسق  
جلست تصلى من أجل بث ، والدموع تنهمر من عينيها ، وكان قلبها  
يعتمره الألم ، وأحست أن ملايين الخواتم الزبرجدية ، لن تعزيها عن  
فقد أختها الصغيرة اللطيفة •

## الفصل العشرون

### أمور عائلية

إن الكلمات تعجز عن وصف اللقاء بين الأم وبناتها ، ومن أصعب الأمور أن نصف الساعات الجميلة في الحياة ، ولذلك نترك الوصف لخيال القارئ يصوره كما يشاء ، ويكفى أن نقول ان البيت أفعم بالسعادة الحقيقية والهناء العظيم • وصدقت نبوءة ميج ، فما ان استيقظت بث من نومها المريح الشافي ، حتى طالعا شيئان : وردتها البيضاء المتفتحة ، ووجه أمها العزيز الباسم • وكانت ضعيفة خائرة القوى ، فابتسمت ، واكتفت بأن ترقد وادعة بين الذراعين الحبيين ، وقد أحست بأنها قد أرضت في النهاية قلبها ، الذي كان يتحرق شوقا الى أمها • وعادت الصغيرة الى النوم ثانية ، وقد أطبقت يدها الواهنة على يد أمها ، ولم ترض الأم أن تسل يدها من قبضتها حتى في منامها ، فجلست ساكنة ومن حولها بناتها يقمن على راحتها • وكانت حنا قد أعدت إفطارا شهيا للقادمة ، راجية أن يهدى العمل انفعالها ، وراحت ميج وجو تطعمان الأم كأنهما طائران حنونان ، في حين جعلت الأم تروى لهما أخبار أبيهما ، فأخبرتهما كيف أن مستر بروك تخلف عن العودة ، ليقوم على خدمة الأب في المستشفى ، وكيف أخرت العاصفة وصول القطار ، وكيف ارتاحت نفسها لرأى لورنى متفائلا ، فزال عنها قلقها وحزنها •

وطلع اليوم التالي مشرقا رغم مفاجآته : ضوء باهر في خارج البيت ، يزيد بياضه الثلج المتراكم على الأرض ، وهدوء شامل في داخله ، إذ كان التعب والقلق والنصب قد أنهك الأسرة ، فنام أفرادها

نوما هادئا • جلست حنا على باب الغرفة تغفى ، وأغمضت ميج وجو  
عيونهما ، وقد انزاح عن قلوبهما حمل عظيم ، فاستسلمتا لنوم عميق ،  
بعد عواصف الأحداث السابقة • وأبت مسز مارش أن تغادر فراش  
المريضة ، فنامت في مقعدها الكبير ، وبين الفينة والفينة ، تصحو الى  
بث وتتحنس يدها ، وتحذب عليها كما يحذب البخيل على كنوزه  
وذهبه •

وذهب لورى الى أمى يطمئنها على أختها ، ويخبرها بمجىء أمها ،  
وحدثها مسها بما جرى في الليلة السابقة ، وكان دقيقا في وصفه ، حتى  
لم تقو العممة مارش على كنم عبرة صغيرة طفرت من عينها لشدة  
تأثرها ، كما أنها لم تردد جعلتها المعهودة « ألم أقل لك ذلك ؟ » • وبعثت  
الأخبار قوة في أمى جعلتها تعتقد بأن صلاتها قد آتت ثمارها ، فجففت  
دمعها ، وكبنت شوقها الى رؤية أمها ، عندما أقرت العجوز للورى بأن  
أمى قد تصرفت تصرف « السيدة المهذبة » • وحتى البيغاء بدا كأنه  
يوافق على هذا القول ، فراح يصيح قائلا بأنها « فتاة » طيبة ، وأنه  
« يدعوها للنزهة سيرا على الأقدام » • وكان بود الفتاة أن تخرج  
لتنزهه كما اعتادت كل يوم ، ولكنها أشفقت على لورى من المتاعب التى  
تجشمها ، والنوم الذى يغالبه فى بطولة ورجولة ، فمرجته أن يستلقى  
على الأريكة مرتاحا ، ريثما تكتب كلمة لأمها • واستغرقت الكلمة وقتا  
طويلا ، فلما عادت الفتاة ، كان لورى ممددا على الأريكة ، وقد توسد  
ذراعه وراح فى سبات عميق ، فأسدلت العممة مارش الستائر ، وجلست  
ساكنة ، فى نوبة نادرة من الطيبة والتضحية •

ومضت الساعات والفتى نائم نوما عميقا ، حتى خيل اليهما أنه لن  
يستيقظ قبل حلول المساء ، وكان من المحتمل أن يحدث ذلك ، لولا

• صيحة الفرح التي أطلقتها الفتاة عندما شاهدت أمها تدخل عليها ، وربما كان في المدينة فتيات سعيدات في ذلك اليوم ، ولكن ما من شك في أن أمي كانت أسعدهن ، وهي تجلس في حجر أمها تقص عليها ما مر بها من شذائد ، وتتلقى منها بسمات المواساة والتعزية •

وأرتها الفتاة المذبح الذي شيدته ، فلم تمنع أمها فيه ، ازاء الغرض النبيل الذي أقيم من أجله ، وقالت :

— على الضد يا عزيزتي ، إنه يعجبني كثيرا ، وليس أجمل من أن يكون للانسان مكان هادئ يوصل فيهِ اذا ما تعقدت الأمور وساعت •  
إن حياتنا مليئة بالمتاعب ، ولكن من السهل أن نتغلب عليها اذا اتبعنا الطريق الصحيح ، ولعلك أدركت الآن راحة الايمان يا فتاتي •

قالت أمي :

— نعم يا أما ، وسوف أهيء ركننا صغيرا في حجرتي ، أضع فيه هذه الكتب ، وأعلق فيه هذه اللوحة التي نسختها من صورة العذراء •  
حقيقة أنني لم أنجح في نسخها كما يجب ، فوجه السيدة ليس جميلا كالأصل ، ولكن الطفل الذي تضمه لا بأس به • إن شعوري بأن المسيح كان طفلا في يوم من الأيام ، يقربه الي كثيرا ، ويشجعني على التوجه اليه بمتاعبي •

وكانت الفتاة تجلس على حجر أمها ، وتشير بأصبعها الى الصورة ، غرات الأم في الأصبع ما جعلها تبتمس • ورغم أن مسز مارش لم تقل شيئا ، فان الفتاة فهمت معنى بسمتها ، فترددت برهة ثم قالت في

جد :

— كنت أنوى أن أحدثك عن هذا ، غير أنني نسيت • لقد دعنتى  
عمتى اليوم وقبلتتى ، وقالت إنها تفخر بى ، وتحب أن أبقى عندها  
دائما ، ثم ألبستنى هذا الخاتم فى أصبعى هدية أحتفظ بها • إنه من  
الزبرجد ، وهو واسع قليلا على أصبعى ، ولكنه يعجبنى ، فهل أستطيع  
أن ألبسه يا أماء ؟

ونظرت مسر مارش الى اليد البضة ، وقد تحلت بالأحجار النفيسة  
الجميلة ، وقالت :

— لست أشك فى أنه جميل ، ولكنك ما زلت صغيرة السن ،  
ولا يصح أن تترينى بالجواهر •  
قالت أمى :

— سأحاول أن لا أتبه به عجا ، وليس تعلقى به لجماله فحسب ،  
بل أحب أن ألبسه ليذكرنى بشئ •  
فسألتها أمها ضاحكة :

— بالعمة مارش ؟؟

قالت أمى فى لهجة مخلصه حارة ، جعلت الأم تمسك عن الضحك ،  
وتصنى الى حديثها باحترام :

— لا ، ولكن ليذكرنى دائما بأن أنكر أنايتى وأحاربها فى نفسى •  
لقد أظلت التفكير أخيرا فى مجموعة رذائلى ، فوجدت أن الأناية أكبرها •  
وقد قررت أن أسفى نفسى منها ما استطعت • إن حب الناس كلهم  
لبث ، وخوفهم الشديد على حياتها ، ورغبتهم الصادقة فى شفائها ،  
يعود الى انكارها لذاتها وخلو نفسها من الأناية • أما أنا فلن يأسف

أحد علىّ إذا مرضت ، وهذا أقل ما أستحق ، ولذلك سأحاول أن أحذو حذو بث ما أمكن ، حتى أجتذب القلوب ، وأغريها بالعطف علىّ .  
إني أقرر لنفسي عادات واتجاهات طيبة ، ولكنى لا ألبث أن أنساها ، ولذلك أحب أن أستصحب معي شيئاً يذكرني بها ، وهذا الخاتم خير سبيل الى التذكرة على ما أعتقد ، أفنسمحين أن أجربه ؟

قالت الأم :

— نعم ، لك أن تلبسيه كما تحبين ، ولكنى أكثر ثقة بأثر الركن الذى سوف تشيدينه فى غرفتك ، ويقينى أنك تكسبين نصف المعركة إذا ما اقتنعت بجمال إنكار الذات . والآن يجب أن أعود الى بث ، فاجمعى شجاعتك يا بنيتى الصغيرة ، ولن يمضى وقت طويل حتى يجتمع شملنا مرة ثانية .

وبينما كانت ميج تكتب فى المساء خطايا لأبيها ، تخبره فيه بسلامة وصول أمها ، انسلت جو الى حجرة بث حيث تجلس أمها — كعادتها — فى المقعد الكبير ، ثم وقفت خلفها وهى تعبت بأصابعها فى شعرها القصير وقد بدا عليها الشرود والحيرة ، فأمسكت الأم بيد جو ، وقالت ، وفى عينيها نظرة تبعث على الثقة :

— ماذا يحيرك يا جو ؟

قالت :

— أريد أن أحدثك فى أمرى يا أماه .

قالت :

— بشأن ميج ؟

قالت جو :

— ما أسرع إدراكك للأمور ! نعم إنه بشأن ميج • هي أمور تافهة ، ولكنها تقلقنى بعض القلق •

فقالت الأم فى لهجة حادة نوعا :

— إن بث نائمة ، فتكلمى فى صوت منخفض ، وقولى ما يقلقك •  
آمل أن لا يكون ذلك الفتى موفات قد جاء الى هنا فى غيبتى ؟

قالت وهى تجلس على الأرض عند قدمى أمها :

— لا ، لو أنه حضر لأغلقت الباب فى وجهه ، الأمر يختص بشخص آخر ، ولعلك تذكرين أن ميج تركت قفازها فى صندوق بريد آل لورنس فى الصيف الماضى . ولكننا لم نجد منه سوى فردة واحدة ، ولقد نسينا أمرها الى أن أخبرنى لورى ذات يوم ، بأن بروك يحتفظ بالفردة المفقودة فى جيب صدره ، ولقد سقطت مرة أمام لورى ، فلما سأله عن سرها ، قال مستر بروك إنه معجب بميج ، ولكنه لا يجرؤ على التصريح بذلك ، لأنها ما زالت صغيرة ، وهو ما زال فقيرا •• ألا ترين معى أن الأمر مخيف بهذا الوضع ؟

قالت مسز مارش فى لهفة :

— أتظنين أن ميج تهتم بأمره ؟

صاحت جو بلهجة اختلط فيها الاهتمام بالاحتجاج :

— وكيف أعرف وأنا أجهل ما يكون بمسائل الغرام وسخافته ؟؟

ان الفتيات فى القمص يظهرن الغرام باجفالن واحمرار وجوهن

خجلا ، وياغمائهن ونحول أجسادهن ، وتصرفاتهن الخرقاء • ولكنى  
لا أرى هذه العوارض على ميج ، فهي تأكل وتشرب وتنام كأى إنسان  
عاقل ، وإذا ما حدثتها عن الرجل ، نظرت الىّ بعين ثابتة ، دون أن  
يحمر وجهها ، إلا فى بعض الأحيان ، عندما يقص تيدى فكاهات عن  
العاشقين والمحبين • ولقد منعتة ونهرته دون جدوى •

قالت :

— اذا فأنت لا تعتقدين أن ميج تهتم بأمر جون ؟

صاحت جو مجفلة :

— من ؟

قالت :

— مستر بروك ، إبنى أدعوه جون الآن ، بعد أن زالت الكلفة بيننا  
فى المستشفى ، وهو يرحب بهذه التسمية •

قالت جو وهى تشد شعرها بعنفٍ وغيظ :

— يا إلهى ! كنت على يقين من أنه سيلعب ذلك الدور ، فيظهر  
الاهتمام والعناية بأبى ، وعندئذ لن ترفضيه زوجا لميج ••••  
يا للوضاعة ! يغرق أبى فى العناية ، ويمعن فى استرضائك ، حتى ينال  
رضاكما عنه •

قالت الأم :

— لا ثورى ولا تغضبى يا عزيزتى ، وسأحدثك كيف سارت  
الأمر الى وضعها الحالى • لقد ذهب جون معى بناء على رغبة مستر



لورنس ، ولقد تفانى في خدمة أبيك ، حتى لم نتمالك أنفسنا من محبته .  
وكان صريحا أميناً في شأن ميخ ، وصارحننا بحبه لها ، وأخبرنا أنه سينتظر  
حتى يهبط لنفسه بيتاً مريحاً قبل أن يتزوج منها . ولم يسألنا شيئاً سوى  
أن نصرح له بأن يحبها وبأن يعمل من أجلها ، وبأن يجعلها تحبه إذا  
أمكن . إنه فتى ممتاز في الواقع ، فلم نقو على صده ، ولكن ميخ ما زالت  
صغيرة السن ، ولا يصح أن تتزوج الآن .

قالت جو :

— طبعاً لا توافقين على هذا الغباء ! كنت متأكدة من أنه يدبر  
المكائد ، وقد أحسست بذلك طوال الوقت ، ولكني ما تصورت أن تصك  
النتائج الى هذا الحد ، ليتنى أستطيع نفسي أن أتزوج ميخ ، لأحفظها  
مصونة في الأسرة .

وبعثت هذه الأمنية الابتسام الى شفتي مسر مارش ، ولكنها  
قالت في جـد :

— لقد وضعت ثقتي فيك يا جو ، وأطلعتك على سر أريد أن  
لا تعرف به ميخ في الوقت الحاضر ، وعندما يعود جون ويجتمع بميخ  
هنا ، يمكنني أن أحكم على شعورها نحوه .

قالت الفتاة :

— سوف تقرأ عواطفه في عيونته التي كثيراً ما تتحدث عن جمالها ،  
فيينتهى أمرها بحبه . إن لها قلباً رقيقاً لا يلبث أن يذوب تحت وطأة  
نظراته العاطفية . إنها تقرأ الخطابات التي يرسلها أكثر مما تقرأ  
خطاباتها أنت ، فإذا سألتها لماذا تفعل ذلك ، نهرتني ، كما أنها تحب  
( م ٢٥ — نساء صغيرات )

العيون العسلية ، وترى أن جون وسيم الشكل ، وسوف تغرق في حبه ،  
وسلام على أيام الضحك والهدوء والسرور • إننى أرى المستقبل أمامى  
واضحا ، فسوف يروحان ويجيئان ويملآن البيت بالفرح ، وسيشغل  
حبه قلبها ، فلا يبقى لى متسع فيه ، ولن يعجز بروك عن تدبير المال  
بأية طريقة ممكنة ، ثم يأخذها منا ، فترك فراغا فى الأسرة • ان قلبى  
يتحطم لفراقها ، والدنيا من بعدها تغدو قبيحة •• يا إلهى ! لماذا لم  
تخلفنا جميعا صبيانا ، حتى لا نقاسى مثل هذا المصير ؟ !

وأسندت جو ذقنها الى ركبته فى حزن وغضب ، وتنهت مسز  
مارش ، فنظرت جو اليها وقد علا وجهها الارثياح ، وقالت :

— يسعدنى أن أراك غير مسرورة بهذا الموضوع يا أماه ، فهيا  
نرسله لحال سبيله دون أن تعرف ميج ، وبذلك تعود حياتنا الى سعادتها  
كما كانت دائما •

قالت :

— لقد أخطأت بتهدى يا جو ، فالزواج أمر طبيعى ، وستذهب  
كل منكن الى بيتها الخاص عندما يحين الوقت المناسب • ولكنى أحب أن  
أحتفظ ببنتى أطول وقت ممكن ، ويؤسغنى أن يجىء دور ميج بهذه  
السرعة ، نهى فى السابعة عشرة ، وما زال أمام جون بضع سنوات حتى  
يتمكن من تهيئة بيت الزوجية لها • ولقد اتفقت مع أبيك أن لا نسمح  
بارتباط أو خطبة قبل أن تتم العشرين • فإذا تبادلنا الحب كان الانتظار  
ممكنا ، وكان فيه محك لحيبهما • إنها فتاة حساسة ولا يقلقنى أن تعامله  
بالعطف ، وأدعو الله أن يمهدها لها سبيل السعادة لأنها جميلة طيبة القلب •

فقالت جو ، وقد لاحظت تعثر الكلمات الأخيرة فى فم أمها :

— ألا ترين من مصلحتها أن تتزوج رجلا غنيا ؟

قالت :

— إن المال شيء جميل نافع ، وأدعو الله أن لا يعوزكن إليه ، كما أضرع إليه أن لا تخدعن بكثرتة • وكل ما أرجوه أن أطمئن الى أن جون قد أصبح ذا مكانة مالية مستقرة ، تأتيه بما يكفل له وليج الراحة ، وتبعد عنه شبح الديون والفاقة • لست أطمع لبناتي في ثروة ضخمة أو جاء عريض ولكن إذا جاء المال والجاه مع الحب والفضيلة ، فمرحبا بحسن طالعكن • إنى أعلم بالتجربة كيف تعمر السعادة بيوتا عادية لا تملك سوى قوت يومها ، فبعض الحرمان يكسب مباحج الحياة الصغيرة أهمية ، ويزيد وقعها جمالا في النفس • إنى راضية أن تبدأ مباحج حياتها في تواضع ، وإن لم أكن مخطئة فستكون غنية بحبه العظيم ، وقلبه الكريم ، ورجولته الممتازة • أفليس هذا أغنى من المال وأعظم ؟

قالت جو بوجه أكثر إشراقا من ذي قبل :

— إنى مقدره كل ذلك يا أماه ، وأوافقك عليه ، ولكنى صدمت في أمر مباح ، فقد كنت أتمنى أن تتزوج لورى ، حتى ترفل في حلال السعادة طول حياتها • ألا توافقيننى على ذلك ؟

فقالت مسر مارش :

— انه أصغر منها سنا ، كما تعلمين •

فقاطعتها جو قائلة :

— وهل من أهمية لذلك ؟ إنه طويل القامة ، راجح العقل ، قسوى الشخصية ، ويمكنه إذا أراد أن يبدو أكبر سنا من حقيقته • ثم إنه غنى

كريم طيب يحبنا جميعا ، ويعطف علينا ، ويحزننى أن تذهب آمالى هباء .

قالت أمها :

— أخشى أن لورى لا يناسبها سنا ، ثم إن العواطف فى مثل هذه المرحلة المبكرة ، تكون كثيرة التقلب والتغير . فلا تصعى خططا بعد ذلك يا جو ، واتركى الأمور تسير فى مجاريها ، فمن الأسلم أن لا نحشر أنفسنا فى مثل هذه الأمور ، ومن الخير أن لا نكون « عاطفين سخفاء » على حد تعبيرك ، وإلا أفسدنا الصداقة بأيدينا .

قالت جو :

— حسنا ، لن أرسم خططا بعد الآن ، ولكنى أمقت أن نترك الأمور تنعقد هكذا ، فى الوقت الذى قد يصلحها جذب منا وشد من هناك . كنت أتمنى أن يقف نمونا عند هذا الحد ، ولكنه أمل مستحيل ، فالبراعم تنمو ، فتخرج أزهارا والقطيطات تصير ققطا ، مع بالغ الأسف .

وكانت ميج قد انتهت من خطابها فتسللت الى الحجرة فى هدوء ، وما لبثت أن سألت قائلة :

ماذا تقولين عن الققط والبراعم ؟

فنهضت جو عن مقعدها وقالت :

— هذه إحدى خطاباتى السخيفة ، فهيا بنا يا ميجى الى فراشنا .

وقالت مسر مارش بعد أن قرأت الرسالة التى كتبته ميج لأبيها :

— جميلة ، وأسلوبها لطيف ، فأرجو أن تضيفى إليها تحياتى الى

جون .

فقال ميج وهي تبتسم وتنظر الى أمها بعيون ساذجة بريئة :

— أتتادينه جون ؟

قالت الأم ، وهي تتأمل وجهها فاحصة :

— نعم ، فقد غدا كولد لنا ، ونحن نكن له كل الحب •

أجابت ميج في هدوء :

— إنى مسرورة بذلك ، فهو وحيد فى حياته • مساء الخير يا أماه ،

إن فى وجودك معنا راحة لا توصف •

وقبلت الفتاة أمها ، وكانت قبلة الأم عامرة بالعطف والإخلاص ،

فلما ذهبت ميج الى غرفتها ، قالت الأم لنفسها فى مزيج من الرضا

والأسف :

— إنها لا تحب جون الآن ، ولكنها ستتعلم أن تحبه سريعا •

## الفصل الواحد والعشرون

### لورى يصنع الشر وجو تنشر السلام

طلع اليوم التالي وقد أثقل السر قلب جو ، وعلا وجهها تعبير من الغموض والاهتمام • ورأت ميج ما بأختها ، فلم تشأ أن تستفسر منها عن أسبابه ، عالمة بأن التظاهر بعدم الاهتمام خير وسيلة الى معرفة ما تخفيه عنها • ولكن ، لدهشتها ، ظلت جو تكتم ما بنفسها ، كما راحت تحيطنها برعاية مضاعفة ضايقت ميج فابتعدت متعالية وكرست وقتها لخدمة أمها • ولما كانت مسز مارش قد حلت محل جو في تمرريض بث ، راجية أن تأخذ الفتاة نصيبها من الراحة والرياضة ، فقد وجدت جو أنها وحيدة منفردة ، لا ملجأ لها سوى صديقها لورى • وكانت تميل الى صحبة الفتى وتجد فيها متعة عظيمة ، ولكنها كرهت أن تقابله في هذه الآونة ، خشية أن يدفعها بإلحاحه الى الاعتراف له بالسر الدفين •

وكانت محقة في خوفها • فما إن شعر الفتى الماكر بأنها تخفى عنه أمرا ، حتى قرر أن يعرفه بكل وسيلة ، وبذا أحال حياتها جحيما • وكانت له أساليب في إغرائها بالكلام ، فمرة يبرجوها أن تكون صريحة معه ، فإذا لم تستجيب للرجاء ، حاول أن يرشوها بالوعود ، أو يعمد الى السخرية منها ليغيظها ، أو ينهرها بقسوة دون سبب • وقد جرب أيضا أن يهمل الموضوع بعض الوقت ، ثم يفاجئها بالسؤال عسى أن يسبق لسانها عقلها ، فتجيبه بالحق دون حذر ، ولكن حيله وأساليبه باءت بالفشل ، فأراد أن يرضى كبرياءه الجريحة بقوله إن السر الذى تخفيه يتعلق بميج وبروك • وكانت شكوكه فى الواقع تدور حول هذا الموضوع ، وكان يؤله أن يخفى رائده أمرا من أموره عنه •

وانشغلت أسرة مارش بالاستعداد لاستقبال عائلها المريض ، فبدأ كأن ميح نسيت مشاغل جو ويواعث قلقها ، ثم لم تمض أيام معدودات حتى ظهر التغير واضحا عليها ، فأصبحت تجفل لأى حديث يوجه اليها ، ويحمر وجهها لنظرات أخوتها ، وكسا الوجوم وجهها المشرق ، فكانت تجلس الى تطريزها صامته شاردة البال ، وكانت ضيقة الصدر بكل ما حولها ، إذا سألتها أمها عن حالها ، أنكرت أن أمرا يشغلها ، وإذا أشارت جو الى وجومها ، نهرتها غاضبة متضايقه .

قالت جو لأمها ، وقد امتنعت أن تقوم بأى عمل إيجابى عنيف لإنقاذ أختها :

— إنها تسير فى طريق الحب مسرعة ، ومعظم أعراض الغرام قد ظهرت عليها : فهي نافذة الصبر غاضبه ، لا تأكل ، ولا تنام ، وتفضل أن تنزوى فى الأركان الهادئة طوال اليوم . ولقد ضبطتها تغنى أغنية « الغدير ذى الخريز الفضى » ، كما أنها قالت « جون » مرة عند الحديث عن بروك ، ثم ما لبثت أن احمر وجهها كزهرة الخشخاش البرى ، فماذا نصنع بالله لإنقاذها ؟

أجابت أمها :

— لا شىء سوى الانتظار ، ومن الخير أن ندعها وشأنها ، قانعات بالعطف عليها ، حتى يصل أبوك ويسوى الأمور بنفسه .

وفى اليوم التالى دخلت جو ومعها محتويات صندوق البريد ، وقالت

لميح :

— هاك رسالة لك . والغريب أن مظروغها مقفل ، مع أن تيدى لا يقفل

رسائله مطلقا .

وبينما جو ووالدتها في شغل عن ميج بأمرهما ، ند عن الفتاة صوت عجيب ، لفت أنظارهما إليها ، فإذا بها تقرأ الرسالة خائفة ، وأسرعت الاثنان إليها ، الأم تسألها عن فزعها ، وجو تحاول أن تأخذ الرسالة التي تسببت فيه ، قالت الأم :

— ماذا بك يا بنيتي ؟

وأخفت ميج وجهها بين يديها وهي تبكي وتقول :

— لا بد أن هناك خطأ ما ، لا يمكن أن يبعث اليّ بمثل هذه الرسالة • أنت التي فعلت ذلك يا جو ، فكيف تجرئين ؟ !

وصاحت جو في وجل :

— أنا ؟ ماذا فعلت ؟ وماذا تقصدين بكلامك هذا ؟

وأخرجت ميج من جيبتها رسالة مكورة ألقته الي جو ، وقالت تعاتبها في غضب :

— أنت التي كتبت هذه الرسالة بمعونة صديقك اللئيم لوري ، فكيف سول لكما الشر أن تفعل ذلك ؟ إنها خسة وقسوة منكما أنتما الاثنين •

ولم تسمع جو قولها ، لأنها كانت في شغل بقراءة الرسالة التي كانت مكتوبة بخط غريب ، وقد جاء فيها :

« مارجریت یا أعز الناس

» لم يعد في مقدوري أن أكتب عواطفى بعد الآن ، وأود أن أعرف مصيرى قبل أن أعود • إنى لا أجرؤ بعد على مفاتحة والدك ، ولكنى أظن أنهما



سيوافقان إذا علما بأن كلامنا يجب الآخر • إن مستر لورنس سوف يساعدي في الحصول على مركز طبيب ، وعند ذلك يا فتاتي الجميلة ، سوف نكون سعداء الى الأبد • أتوسل إليك أن لا تقولي شيئاً للأسرة في الوقت الحاضر ، كما أتوسل إليك أن ترسلي كلمة واحدة مع لورى تبعث الأمل في قلبي •

من محبك

جون»

صاحت جو :

— يا للوغد الصغير ! لقد أراد أن ينتقم مني بهذه الطريقة لكتمانى السر عنه ، سوف أقتله تأشيبا ، وأتى به ليقدم إليك اعتذاراته • وكانت تلتهب غضبا ، وكلها عزم على وعيدها فوراً ، ولكن أمها منعتها ، وقالت لها بلهجة صارمة :

— انتظري يا جو ، لا تذهبي قبل أن تبرئى نفسك من تهمة الاشتراك في تحرير هذه الرسالة ، فكثيرا ما قمت بمثل هذه الألاعيب ، وأخشى أن يكون لك يد فيما حدث •

قالت جو في لهجة حارة تدعو الى التصديق :

— أقسم لك يا أماء أن لا يدلي في ذلك ، ولم أر هذه الرسالة قبل الآن ، ولا أعرف شيئاً عنها • وثقى أننى لو أردت القيام بشيء من هذا القبيل ما كتبت هذه الرسالة السخيفة ، لأنى أعرف أن مستر بروك لا يكتب شيئاً مما جاء فيها :

فقالت ميج في تباطؤ وهي تقارن الرسالة برسالة أخرى :

— ان الخط فيهما متماثل •

فصاحت مسز مارش بسرعة قائلة :

— وهل رددت على الرسالة الأولى يا ميح ؟

فقطت ميح وجهها بيديها خجلا ، وقالت :

نعم رددت عليها يا أماء •

فصاحت جو وهي تتجه مرة ثانية نحو الباب :

— هذه هي البلوى الكبرى ! سأتى بهذا الفتى الشرير ليشرح لنا

الأمر ، فنعلمه الأدب • لن يستريح لى بال حتى أقبض عليه •

فقالبت مسز مارش فى لهجة أمرة ، وهي تمسك بيد جو لتمنعها

من الخروج :

— صه ! اتركى الأمر لى ، فقد تعقد الموقف أكثر مما كنت أتوقع •

قصى على يا مارجرىت كل ما حدث •

قالت ميح دون أن ترفع رأسها :

— وصلنى الخطاب الأول منه ، وقد جاعنى به لورى ، ولم يكن

يبدو عليه أنه يعلم شيئا مما فيه ••• وتملكتنى الحيرة بادىء ذى بدء ،

وكنت أنتوى أن أخبرك بكل شيء ، ولكنى عدت فتذكرت أنك تعترين

بصداقة مستر بروك ، وقد تغضبين عليه اذا عرفت برسالته ، فظننت

أن الاحتفاظ بالسرايا لا يضير أحدا • وبينما كنت أجمع شتات ذهنى

لأرد على الرسالة ، شعرت كما تشعر الفتيات فى الكتب والقصص •

اصغى عنى يا أماء ، فقد نلت جزاء حماقتى • لن أستطيع بعد اليوم

أن أنظر فى وجهه •

فسألتها مسز مارش :

— وماذا قلت له في رسالتك ؟

قالت :

— لم أقل سوى أنني مازلت أصغر سنا من أن أتخذ قرارا في هذا الأمر ، وأنه يسوعنى أن أكتف عن والدتى سرا-من أسرارى ، ونصحته بأن يصارح أبى بكل شيء • ثم شكرته على عطفه ، ووعدت بأن أكون أبد الدهر صديقة لا أكثر ولا أقل •

وابتسمت مسز مارش كأن جواب ابنتها قد سرها ، وشفقت جو بكفيها معجبة راضية ، وقالت :

— يا لك من جريئة ! وماذا قال لك ردًا على هذا يا ميج ؟

قالت :

— كانت رسالته الثانية مختلفة تماما ، فقد أكد فيها أنه لم يرسل أى خطاب غرامى ، وأنه يأسف أن تتخذ جو من اسمينا موضوعا لتفككها وسخريتها • كان ردًا مليئا بالعطف ، ولكن تصورى فظاعة موقفى ومبلغ احراجى •

واستندت ميج الى والدتها ، وهى غاية فى اليأس والحزن ، وراحت لتفككها وسخريتها • كان ردًا مليئا بالعطف ، ولكن تصورى فظاعة موقفى فجأة ثم أمسكت بالخطابين تفحصهما بدقة ، وقالت بثقة :

— لا أصدق أن بروك علم بهاتين الرسالتين أو رآهما • لقد كتبها تيدي بنفسه ، وتركك تظنين السوء بى ، لأنى رفضت أن أطلعه على سرى •

قالت ميج تحذر أختها :

— لا تكتمى عن أمنا سرا يا جو ، وكونى صريحة معها كما فعلت

• أنا الآن •

قالت جو :

— لك الله يا طفلتى ، انها والدتى التى أخبرتنى بالسر •

قالت مسز مارش :

— هذا يكفى يا جو ، أحضرى لى لورى ، سوف أفحص الأمر

حتى أصل الى قراراته ، وأضع حداً لهذه المهازل •

وعندما انصرفت جو جريا ، جلست مسز مارش الى ميج تحدثها

بحقيقة شعور مستر بروك نحوها ، وأخيرا سألتها فى رفق :

— والآن يا عزيزتى صارحينى بحقيقة شعورك نحوه ، أتحيينه الى

الدرجة التى تجعلك تنتظرينه حتى يهيبء لك منزلا صالحا ؟ أم أنك

تفضلين البقاء حرة فى الوقت الحاضر ؟

قالت ميج فى ذلة واضطراب :

— لقد أصابنى الخوف والقلق الى درجة أفضل معها أن لا أحشر

نفسى فى أمور الحب لمدة طويلة ، وربما الى الأبد • فاذا كان جون

لا يعلم بهذه السخافات التى حدثت اليوم ، فمن الخير أن لا تخبريه بها ،

وشددى على جو ولورى بأن يمسكا لسانيهما • • أيرضيك أن أخدع

ويساء الى وأصبح أضحوكة للناس ؟ يا للعار !

ورأت مسز مارش كيف أثارَت المزمحة الشريرة غضب ميج ذات

الطبع الهادىء ، فجعلت تسرى عنها ، وتعددها بكتمان الأمر كتماننا تاما •

وما أن سمعت ميج وقع أقدام لورى فى الردهمة ، حتى انصرفت عن

الغرفة مسرعة ، وهكذا تلقت مسز مارش المذنب وانفردت به وحدها •

ولم تكن جو قد أخبرته بشيء ، خشية أن يرفض الحضور لمقابلة أمها ،

ولكن الفتى فهم الحقيقة بمجرد أن رأى وجه الأم واستشف حرج الموقف فوقف يثنى حافة قبعته بيديه في حركة عصبية ، وقد علا وجهه سيماء المذنب العارف بذنبه •

وفي خارج الغرفة جعلت جو تدرع الردهة جيئة وذهابا أمام الباب كالديدبان الحارس ، حتى تمنع المتهم من الفرار اذا أراد ، وكانت الأصوات تصل اليها من الداخل تارة عالية ، وأخرى منخفضة لمدة نصف ساعة ، ولكنها لم تدرك على وجه التحقيق ما دار خلال تلك الفترة بين الفتى وأمها • فلما نادتها أمها ، وجدت لورى يقف الى جانبها ، وعلى وجهه سيماء الأسف الشديد ، حتى بلغ بها العطف عليه أن صفحت عنه ، ولكنها لم تعلن صفحتها حتى لا تمحو أثر تأنيب أمها له • وتقبلت ميج اعتذاره عما بدر منه ، وارتاحت كثيرا عندما أكد لها أن بروك لا يعرف شيئا على الاطلاق مما جرى ، وقال أخيرا :

— لن أقول له شيئا حتى يوم الممات ، وأنا على استعداد أن أفعل ما تريدين لتتأكدي من عظيم أسفى على ما بدر منى ، فهلا صفحت عنى يا ميج ؟

قالت في لهجة عتاب تخفى بها اضطراب نفسها :

— سأحاول أن أصفح عنك ، ولكنك جافيت دواعى الرجولة بما فعلت ، ولم أكن أتصور مطلقا أن يصل بك المكر والشر الى هذا الحد يا لورى •

فضم الفتى يديه في رجاء ، ونظر اليها بمسكنه واستعطاف ، ثم قال :

— لقد ارتكبت خطأ بالغا : أستحق من أجله أن تخاصمينى شهرا على الأقل ، ولكن ألا تسامحيننى بعد ذلك يا ميج ؟

وكان يتكلم بلهجة كلها اخلاص وصدق ، جعلت من المتعذر عليها  
أن تقطب وجهها رغم سلوكه الفاضح ، فصفحت عنه ، ولان وجهه  
مسز مارش بعد جمود ، وابتسمت عندما سمعته يتضرع الى الله أن  
يحوّله الى حشرة تطوؤها قدما ميج ، جزاء وفاقا لما فعل .

وكانت جو تقف بعيدا وهي تحاول أن تقسى قلبها عليه ، ولكنها  
لم تقطع في ذلك ، فاككتف بأن تتظاهر بعدم المبالاة به . وتطلع اليها  
لورى مرة أو مرتين ، فلما لم ير على وجهها أمارات اللين والعطف ،  
أدار ظهره لها حتى استرضى الآخرين ، ثم انحنى لها انحناءة كبيرة ،  
وخرج من الحجرة دون كلمة واحدة .

وعندما غاب الفتى عن ناظرها ، أسفت لمبالغتها في القسوة  
عليه ، فلما سعدت أمها وميج الى الدور العلوى ، أحست بالوحدة  
والوحشة ، وتاقت نفسها الى صحبة صديقتها تيدى . وحاولت أن تقاوم  
رغبتها في مصالحته ، ولكن عطفها غلبها على أمرها ، فتأبطت كتابا كى  
تعيده للفتى ، وسارت الى البيت الكبير . وهناك رأت خادما تهبط  
السلم فسألته :

— هل مستر لورنس موجود ؟

قالت الخادم :

— نعم يا آنسة ، ولكنى لا أعتقد أنه يرغب في رؤية أحد .

سألته :

— ولم لا ؟ أهو مريض ؟

قالت :

— لا يا آنسة . ولكن حدثت مشادة بينه وبين حفيده مستر لورى

بسبب بعض تصرفات أغضبت السيد العجوز ، ولذا لن أجرؤ على دخول  
غرفته الآن .

سألتها :

— وأين مستر لورى ؟

قالت :

— فى حجرته ، وقد أغلق دونه بابها ، ولم يشأ أن يجيب على طرقاتى المتتالية ، ولست أدرى ما العمل ، فالطعام على المائدة ، وكلاهما لا يريد أن يأكل •

قالت :

— سوف أذهب لاتبين الخبر ، فلست أخاف واحدا منهما •

وصعدت جو ، وطرقت باب حجرة لورى فى رقة ، فأجاب الفتى بصوت عامر بالوعيد والتهديد ، يقول :

— كفى عن الطرق ، والإخراجت إليك ، وأنزلت بك ما تكرهين !

ولكن جو طرقت مرة أخرى ، فانفرج الباب فى شدة ، وعندئذ قفزت جو الى داخل الغرفة قبل أن يستفيق الفتى من دهشته فيمنعها من الدخول وبنظرة واحدة أدركت مدى حزنه وغبه ، فتظاهرت بالخوف والانكماش ، وقالت وهى تركع أمامه بحركة تمثيلية :

— سامحنى يا لورى ، لقد جئت لمصالحتك ، ولن أعود حتى تعفو

• عنى

قال فى سماحة الفتى النبيل :

— لقد صفحت وعفوت ، فانهضى من ركعتك وكفاك حماقة •

شكرا ، ولكن هل لى أن أسألك عما جرى ، لست أراك مرتاح

• النفس

فزمجر لورى فى غيظ ، وقال :

لقد نلت من التأنيب أكثر مما أحتمل •

قالت :

— ومن أنبك ؟

قال :

— جدى ! ولو كان شخصا آخر ما •••

وقطع الفتى جملته بحركة عنيفة من ساعده •

فقالت تهدهة :

— وماذا فى ذلك ؟ كم أنبتك ولم تغضب منى ؟

قال :

— هراء ! أنت فتاة وتأنيك يسلىنى ، ولكى لن أسمح بذلك لأى

رجل كان •

قالت :

— لمن يجرؤ أحد على تأنيك وأنت فى مثل هذه الثورة العاتية فاطمئن

ولكن أخبرنى بالله عليك ، لماذا غضب عليك كل هذا الغضب ؟

قال :

— لأنى رفضت أن أخبره لماذا أرسلت أمك لاستدعائى ، كنت قد

وعدتها بالكتمان فلم أشأ أن أنقض عهدى •

قالت :

— ألم يكن فى مقدورك أن تسترضيه بشكل ما ؟

قال :



— لا ، فقد أصر على معرفة الحق كل الحق ولا شيء غير الحق •  
ولو كان بوسعى أن أعترف له بالدور السافل الذي لعبته ، دون ذكر اسم  
ميج ، ما ترددت ، ولكنى لم أستطع فسكت وتحملت تعنيفه حتى أمسك  
بينيقتى ، وعندئذ ثارت براكين غضبى : فهربت منه قبل أن أفقد  
سيطرتى على نفسى •

قالت :

— هذا أمر محزن للغاية ، ويقيني أن جدك أسف على ما فعل ،  
فهيأ بنا نهبط إليه ، أنت تسأله الصفح وأنا معك أعاونك •

قال

— لن أذهب ولو شنقتنى ! ولن أقبل أن يؤنبنى الناس كلهم من  
أجل مزحة بريئة ، لقد اعترفت بخطأى لميج واعتذرت لها ، وفي  
هذا الكفاية •

قالت :

ولكنه لا يعرف بذلك •

قال :

— كان من الواجب أن يثق بكلامى ولا يعاملنى كطفل صغير •  
وعلى كل حال يا جو ، لقد آن الأوان أن يعرف بأنى كبرت ولمست فى  
حاجة الى من يعنى بأمورى ، ولن يرضينى أن أتعلق بأذياله لأعيش •

فتنهدت جو وقالت :

— خُلب عنك هذه الأموال اللاذعة ، وخبرنى كيف تنوى أن تنهى  
الأمر بينكما ؟

قال :

— عليه أن يعتذر لى ، لأنه لم يثق بكلامى ، ولم يصدق أن لى  
عذرا وجيها يمعنى من الإفضاء اليه بما حدث .

قالت :

— رحماك يا إلهى ! لن يعتذر لك .

قال :

— لن أخرج من غرفتى اذا لم يعتذر .

قالت :

— كن عاقلا يا تيدى ، ولا تعقد الأمور هكذا ، فأنت لا تستطيع  
أن تبقى فى غرفتك الى الأبد ، وفى مقدورى أن أفسر له ما حدث ،  
وأصلح الموقف .

قال :

— لن أبقى هنا طويلا على أى حال ، ففى نيتى أن أنسل خارجا من  
البيت ، ثم أرحل الى جهة ما ، وسيأتينى جدى عند ما يفتقدنى .

قالت :

— هذا جائز ، ولكن لا يصح أن تقلقه بغيابك .

قال :

— كفى وعظا ونصحا ، ودعيني أسافر الى بروك فى واشنطنجتون ،

فالحياة فيها مرحلة مسلية ، ومن حقى أن أرفه عن نفسى بعد هذه المتاعب  
الكثيرة •

قالت ، وقد أضعفت صور العاصمة الخلافة قدرتها على نصحه :

— يا للمتعة ! ليتنى أستطيع أن أرحل اليها معك •

قال :

— تعالى معى إذا ، وسوف يسر أبوك بحضورك ، كما يسر بروك  
بحضورى • ستكون فرصة عظيمة ، فهيا بنا نساfer يا جو ، وأرى أن  
نترك لهم خطابا مطمئنا ، ثم نرحل على التو • إن معى من المال ما يكفيننا ،  
ولن يضر بك السفر ، بل قد تستفيدين فائدة عظمي اذا ذهبت الى  
أبيك •

ورافقتها الفكرة رغم ما فيها من جموح ، ومضت لحظة خال الفتى  
فيها أن جو على وشك أن تقبل اقتراحه • وكانت تعبة مرهقة تتوق الى  
تغير أسلوب حياتها الرتيب ، وأغرقتها أكثر وأكثر فكرة السفر الى أبيها ،  
ومتعة التفرج على المستشفيات والمعسكرات • ولعت عيناها وهما تنظران  
واجمتين خلال النافذة ، ولكن نظراتها وقعت على بيتهم السعيد العتيق ،  
فارتد اليها عقلها ، وهزت الفتاة رأسها فى حزن ، وقالت باصرار :

— لو كنت صبيكًا ، ما ترددت فى الهرب معك الى حيث نسعد  
بأوقاتنا ، ولكنى مع الأسف فتاة تعبسة ، ومن واجبى أن أراعى الآداب  
والتقاليد ، وأقنع بالبقاء فى البيت • لا تغرنى يا تيدى ، فان الفكرة  
كلها هوس وجنون •

قال لورى ، وقد تملكته الرغبة فى الخروج على قواعد العرف

المألوف :

— وهذا ما يجعلها شائقة ممتعة !!

صاحت جو ، وهى تغطى أذنيها كيلا تسمع كلامه :

— أمسك لسانك ، فان مكانى الوحيد فى البيت ، ويجب أن أسلم

بذلك • لقد جئت أنصحك ، فلا يجوز أن أقتدى بك •

قال يحاول إقناعها :

— قد تثبط ميح عزيمتى اذا عرضت عليها خطتى ، ولكنك تمتازين

عنها بالجرأة والشجاعة •

قالت :

— اسكت أيها الشرير ! اخل الى نفسك وحاسبها على خطاياها ،

وإياك أن تغرينى بمضاعفة ذنوبى وأخطائى • ماذا تقول اذا جعلت جدك

يعتذر لك عما بدر منه ؟ أيكفيك هذا لتعدل عن السفر الى واشنطنجتون ؟

أجاب لورى ، وهو يتمنى أن توفق جو فى هذه المهمة كى يرضى

كبريائه الجريحة :

— نعم ، ولكنك لن تفلحى •

قالت الفتاة فى نفسها :

— اذا كنت قد نجحت فى إقناع الحفيد العنيد ، فلم لا أنجح فى

إقناع الجد العجوز ؟

وانصرفت جو من الغرفة ، وقد تركت لورى خلفها ينعم النظر فى

خريطة أمامه ، ورأسه بين يديه •

وطرقت باب حجرة مستر لورنس ، فأجابها يقول بصوت خشن  
غاضب :

— ادخل •

قالت وهي تدخل الحجرة بجرأة :

— جئت يا سيدي أعيد الكتاب •

فسألها العجوز وهو يحاول أن يخفى غضبه وحرزه :

— أتريدين كتابا آخر ؟

قالت وهي تأمل أن تسترضيه اذا طلبت كتابا لمؤلف يعجبه :

— نعم من فضلك ، فقد أعجبني الجزء الأول الذي نصحتني به ،  
ويسرني أن أقرأ الجزء الثاني اذا سمحت •

وانفرجت أساريره قليلا ، وناولها السلم الذي تستطيع أن تصل  
به الى الأرفف العليا ، فصعدته غير متوانية ، وهي تتظاهر بأنها تبحث  
عن الكتاب الذي تريده •

وكانت في الحقيقة تبحث في عقلها عن طريقة تبدأ بها الحديث  
الخطير الذي جاءت من أجله ، وبدا على مستر لورنس أنه أحس بشيء  
مما يجول في خاطرها ، فبعد أن سار بضع خطوات سريعة في الحجرة ،  
التفت اليها يقول فجأة :

— ماذا فعل الصبي ؟ إياك أن تدافعي عنه ، فأنا واثق من أنه  
أخطأ ، وقد رأيت في وجهه سيماء المذنب ، ولكني لم أفلح في انتزاع  
كلمة منه ، ولما هددته ، تملص مني وهرب الى غرفته ، وأقفل بابها  
دونى •

قالت جو ببطء :

— لقد أخطأ فعلا ، ولكننا صفحنا عنه ، وأخذنا منه وعدا أن لا

• يبوح بالأمر لأحد •

قال :

— هذا لا يجوز ، ولن أرضى أن يحتذى بقلوبكن الطيبة من العقاب

الذي يستحقه • إذا كان قد أخطأ ، فعليه أن يعترف بخطئه ، ويطلب الصفح ، ويرضى بالعقاب • أخبريني بالحقيقة يا جو ، ولا تتركيني أتخبط في ظلام الجهل •

وارتعدت الفتاة لنظراته الرهيبة ، وشعرت برغبة شديدة في الهرب

من حضرته ، ولكن فكرة وجودها في أعلى السلم بعيدة عنه ، منحتها الشجاعة على مواجهة الموقف • قالت :

— صدقنى يا سيدى إننى لا أستطيع الكلام ، فقد نهتنا أمة عن

الحديث فى الموضوع ، وأمرتنا أن لا نشير إليه من قريب أو من بعيد • أما لورى ، فقد اعترف بخطئه ، وطلب المغفرة ، ونال العقاب الكافى • لا تظن أننا نحميه بسكوتنا ، بل نحن نحمل شخفا آخر ، وأخشى أن تتعقد الأمور إذا تدخلت يا سيدى ، فأرجوك أن لا تفعل ذلك • إننى مسئولة عن بعض ما حدث ، ولكن الأمور استقامت والحمد لله ، ومن الخير أن ننسى الماضى ، ونتكلم فى موضوع أفضل •

قال :

— انزلى عن هذا السلم ، وطمئنى الى أنه لم يفعل شراً ، وإذا

كان قد تنكر لجميلك بعد ما أصاب من عطفك ومحبتك ، فوالله لن أتردد عن جلده بيدي هذه •

ولم تنزعج جو لتهديده بالويل والثبور ، إذ كانت تعرف أنه لن يؤذى حفيده ، بالرغم من وعيده العنيف . وهبطت السلم طائفة ، ثم روت له القصة دون أن تشير الى ميح أو تفسد الحقيقة . قال بارتياح ، وهو يحك شعره بيده :

— إذا فقد رفض الفتى أن يتكلم محافظة على وعده ، إنه صبي عنيد ، صعب القياد ، ولكنى سأصفيح عنه .

فقالت جو ، تحاول أن تستدر العطف على صديقها ، الذي لا يكاد يخرج من مأزق ، حتى يقع في آخر :

— لست أقل عنه عنادا ، ولكن كلمة عطف واحدة تفعل بي العجائب ، والقوة لا تقهرنى مثلما يقهرنى العطف واللين .  
فقال بحدة :

— أتظنين أننى لا أعطف عليه ؟

قالت :

— معاذ الله أن أظن ذلك يا سيدى ، فأنت تتبالغ في العطف عليه أحيانا ، ولكنك سريع الغضب ضيق الصدر . أليس الأمر كما أقول يا سيدى ؟

وكانت هذه فرصتها الكبرى لإزالة الخلاف القائم بين الجد وحفيده ، فتكلمت بهدوء ، وإن كانت في الواقع ترتجف انفعالا . ولعظيم دهشتها وسرورها ، رأت العجوز يخلع عويناته ، ويلقى بها على المنضدة ، ويقول في تعجب واضح :

— صدقت يا فتاة ، فأنا كما تقولين ! إني أحب الصبي ، ولكنه يستفد صبري الى درجة لا تطاق ؛ ولست أدري ما قد يحدث اذا استمر الحال هكذا .

قالت :

— ولكنى أعرف ما قد يحدث ، وأخشى أن ينتهى الأمر بأن يهرب منك .

وندمت على قولها أشد الندم ، وأسفت أن انزلق لسانها فى سعيها الى إقناع العجوز بأن لورى لن يحتمل الشدة طويلا . كانت ترجو أن تغريه بالتسامح ، فأفرطت فى الكلام ، وكانت النتيجة أن تغير وجه مستر لورنس فجأة ، وانهار على مقعده . ورأته ينظر بعينين ملؤهما القلق والاضطراب الى صورة على المنضدة ، لرجل أنيق وسيم . كانت صورة ابنه والد لورى ، الذى هرب من أبيه فى شبابه وتزوج رغم إرادته . وخيل الى جو أن العجوز يستعيد ذكريات الماضى نادما ، فأسفت على حديثها ، وتمنت لو أنها أمسكت لسانها فى الوقت المناسب .  
قالت تطمئنه :

— لن يهرب منك إلا اذا زادت الأمور سوءا وتعقيدا . إنها فكرة تجول بذهنه عند ما يضيق بالذاكرة ، وكثيرا ما شاركته رغبته فى الهرب خصوصا بعد أن قصصت شعري ، وأصبحت شبيهة بالفتيان ، فاذا اختفينا يوما ما فعليك يا سيدى أن تبحث عن صبيين فى السفن المسافرة الى الهند .

وكانت تتكلم ضاحكة ؛ فسرى عن مستر لورنس ، واعتبر حديثها مزاحا من أوله الى آخره . قال ، وهو يقرص خدها مداعبا :



— يا لك من فتاة ! كيف تجرئين على مثل هذا الصديت ؟ أين احترامك لى ؟ وأين اعتزازك بتربيتك ؟ ان الفتيان والفتيات محنة على السواء ولكنها محنة لا غنى عنها • هيا أحضرى الصبى يتناول الغذاء معى ، وطمئنيه الى أن الخلاف قد زال من بيننا ، وانصحيه بأن لا يظهر غضبا على جده ، إذ يؤلمنى أن أراه حزينا أو متضايقا •

قالت :

— لن يطاوعنى يا سيدى ، فقد ساءه أن تكذبه وتظن به الظنون ، وأعتقد أنه متالم كل الألم لتأنيك له وشدتك معه •

وكانت تصطنع الحزن والأسى ، فلا تنجح فى إتقان تمثيلها ، مما حدا بمستر لورنس أن يضحك عاليا منها ، فاطمأنت وأدركت أن الغمة قد انقشعت عن نفسه •

قال ، وقد ندم على ما بدر منه نحو حفيده :

— إبنى آسف لما حدث ، وكان يجب أن أشكره لأنه لم يعنفنى !  
يا إلهى ! ماذا ينتظر منى هذا الفتى ؟

قالت :

— أرى أن ترسل اليه اعتذارا مكتويا ، فهو لن يرضى بالخروج من حجرته حتى يصله اعتذار منك ، وقد بلغ به الغضب أن هدد بالهرب الى واشنطنجتون ، وكذلك هدد بأمور سخيصة أخرى • سيكشف له اعتذارك عن مدى طيشه وسخفه ، فيأتيك طائعا مختارا • إنها فكرة طيبة ، فجرىها يا سيدى ، والاعتذار المكتوب أفضل من الشفوى ، وسأحمل له رسالتك ، وأتولى إصلاح الموقف •

فألقى عليها مستر لورنس نظرة حادة ، ثم وضع عيناته على أنفه وهو يقول في ببطء :

— يا لك من فتاة ماكرة ! ولكن لا مانع عندي من أن تسيريني أنت أو بث . هاك الرسالة ، وخلصينا من هذه السخافات كلها .

وكانت الرسالة تحوى اعتذارا صيغ في أسلوب مهذب ، عامر بالتواضع والاسترضاء ، فطبعت جو قبلة على رأس العجوز ، وخرجت تجرى لغرفة لورى ، حيث وضعت الرسالة تحت عقب الباب ، ثم جعلت تنصحه من خلال ثقب المفتاح بأن يكن مطيعا هادئا مهذبا ، الى غير ذلك من الصفات التى يصعب على الفتى أن يكتسبها . وانتظرت أن يفتح الباب ، فلما لم يفعل ، تركت الرسالة في مكانها ، وعادت الى السلم تهبط درجاته .

ولم تليث أن رأت السيد الصغير يسبقها منزلقا على حاجز السلم بسرعة شديدة ، ثم يقف في انتظارها أسفله ، ويقول بلهجة مليئة بالكياسة والأدب :

— يا لك من فتاة كريمة الأخلاق يا جنو !

ثم استطرد وهو يضحك :

— ماذا فعل بك الرجل العجوز ؟ هل فجر فيك براكين غضبه ؟

قالت :

— بالعكس . كان لطيفا الى أبعد حد .

قال بلهجة الندم :

— لقد نلت ما أستحق ، فتخلى الناس كلهم عنى حتى أنت ،  
وشعرت أننى مخلوق غير مرغوب فيه •

قالت :

— خل عنك هذا التفكير العجيب ، واعمل على أن تبدأ صفحة  
جديدة ، يا ولدى العزيز تيدى •

قال فى حزن :

— إنى أقلب صفحات جديدة كل يوم ، ولا ألبث أن أسودها  
بأعمالى ، كما أسود صفحات كراساتى • حياتى كلها محاولات جديدة ،  
لم تنته واحده منها بما أحب •

قالت جو ، وهى تدلف خارجه من باب البيت :

— اذهب ، وتناول غداءك ، ولن تلبث أن تتحسن معنوياتك ،  
فمن طبع الرجال أن لا يكفوا عن التذمر ما داموا جياعا •

قال :

— هذا تشهير بنا نحن الرجال •

ثم ذهب الى غرفة الطعام يشاطر جده غداءه • فقابله مستر لورنس  
باللين ، وتفانى فى اظهار عطفه عليه طوال اليوم •

وعدت الأسرة أن الأمر انتهى عند هذا الحد ، اللهم إلا ميغ ،  
التي نسيت إساءة لورى ، ولكنها ظلت تفكر فى بروك • وبالرغم من أنها  
لم تسع الى الاتصال به ، إلا أن أحلامها تركرت فيه ، وازداد قلبها

تعلقا به يوما بعد يوم . وقد حدث ذات مرة أن كانت جو تبحث في مكتب  
أختها عن طابع بريد ، فعثرت على ورقة خطت عليها ميخ مرات ومرات  
اسم « مسز جون بروك » ، فتأملت لذلك كل الأغم ، وألقت الورقة في  
النار مغيظة ، وقد أدركت أن دعابة لوري عجلت قدوم اليوم  
المشئوم ...

## الفصل الثاني والعشرون

### عودة السعادة

مرت أسابيع هادئة ملؤها السلام ، فكانت كضوء الشمس حين يغمر الكون بعد العاصفة ، فقد جاءت الرسائل من مستر مارش تنبئ بعزمه على القدوم في أول العام الجديد ، كما عوفيت بث من مرضها وأصبح في مقدورها أن تترك فراشها لترقد على الأريكة طوال اليوم ، تسلى نفسها بقططها العزيزة ، أو بحياكة ملابس جديدة لدميتها التي طال إهمالها لها . وكان ساقاها متخادلتين ضعيفتين من أثر المرض الشديد ، فكانت جو تحملها بين ذراعيها القويتين ، وتطوف بها أرجاء البيت لتروح عنها كلما أعوزها الترويح . كما جعلت ميح تطهى « للعزيزة » ما لذ من الأطعمة وطاب ، غير أبهة لما يصيب أصابعها ويديها الجميلتين من حروق أو اسوداد أما أمى فقد باركت ثفاء أختها بطريقتها الخاصة ، فتنازلت لها عن كل ما تحبه من كنوزها الصغيرة .

كان عيد الميلاد يدنو تدريجا ، فيزداد جو الأسرة بدنوه غموضا وحماسة ، وكانت الظروف تبشر في هذه المرة بعيد طيب سعيد ، فاشترك كلهم في الاستعداد ، وتقدمت جو مرة بعد مرة بمقترحات يستحيل تنفيذها حتى كان أخواتها ينفجرن ضاحكان لغرابتها . ولم يكن لورى أقل منها تعقيدا للأمور ، فرأى أن يكون الاحتفال باستعمال ألعاب نارية ، أو بإقامة أقواس النصر ، الى غير ذلك من المقترحات المستحيلة . وبعد مناقشات ومناوشات طويلة ، استقر الرأي على استبعاد اقتراحات كل من جو ولورى ، لاستحالة تنفيذها ، فخرج الاثنان بوجهين حزنين ، ثم لم يلبثا أن انفجرا في عاصفة قوية من الضحك .

وكانت الأيام السابقة للعيد متوسطة البرودة ، تبشر بجو بديع ،  
وقالت حنا : إن عظامها تتنبأ بعيد لا تنقصه السعادة أو الدفء ، وقد  
تحققت نبوءتها بفضل توافر الرغبة في إنجاح الاحتفال بالعيد . وكان  
أول ما حدث من المفرحات أن أعلن مستر مارش قرب عودته ، ثم تقدمت  
صحة بث في ذلك الصباح تقدما ملحوظا ، فارتدت المعطف الأحمر الذى  
أهدتها إياه أمها ، وجلست بجوار النافذة تنتظر هدية جو ولورى . وكان  
الصديقان قد أحسنا إعداد هديتهما لبث ، وهيا لها جوا يبعث على المرح  
والغبطة : ففى وسط حديقة الدار أقاما تمثالا من الثلج لفتاة صغيرة جميلة ،  
على جبينها إكليل من الغار ، وفى إحدى يديها سلة مليئة بالفاكهة والأزهار  
وفى اليد الأخرى مجموعة من المؤلفات الموسيقية ، وعلى كتفها شال متعدد  
الألوان ، ومن فهما تتدلى ورقة وردية كتبت فيها أغنية تقول :

عروس الجليد هدية بث

حفظك الله أنتها الملكة بث

وذاد عنك الأحزان

ومتعك بالصحة والسعادة والسلام

هدية عيد الميلاد

هاك يا نحلطنا الكادحة فاكهة تأكلينها

وهاك أزهارا تشمينها

وهاك موسيقى تعزفينها

وهاك شالا يغطى قدميك الصغيرتين

تقبلى منا هذا الشريط القرمزى

واريطى به ذيل قطنك الحسناء

وخذى مثلجات صنعتها بيجي  
فكانت كجبل من الجليد وضع في إناء  
لقد جمع صانعاى حبهما  
وأودعاه قلبي الثلجى  
فاقبله ، واقبلينى هدية  
من صديقك لورى ، ومن أختك جو •

وضحكت بث سعيدة بالهدية ، وتطوع لورى بنقل الهدايا من التمثال  
الى البيت ، فى حين وقفت جو تقدم كلامها بخطبة بليغة •  
وتنهدت بث فى سرور بعد أن حملتها جو الى الغرفة لتستريح وتتذوق  
قليلا من العنب اللذيذ الذى أهدته إياها عروس الجليد • قالت :

— إن قلبى مفعم بالسعادة ، ولا ينقص إلا وجود أبى معنا الآن ،  
ولولا غيابه لاكمل هنائى ، ولم أعد فى حاجة الى مزيد •

وقالت جو ، وهى تتحسس فى جيبيها كتابا طالما تاقنت نفسها إليه :  
— وأنا مثلك •

وقالت أمى ، وهى تنعم النظر فى صورة العذراء المحاطة بإطار جميل :  
— وأنا أيضا بلا شك •

وصاحت ميج ، وهى تسوى ثنايا ثوبها الحريري الأول ، الذى أصر  
مستر لورنس أن يهديها إياه :

— وأنا مثلكم بالطبع •

وقالت مسز مارش :

— وأنا مثلكم سعادة وهناء •

وجعلت تنقل بصرها من خطاب زوجها الى وجه بث الباسم ، ويسدها  
تتحسس القلادة التي جدلت من شعور بيضاء وزهبية وكستنائية وبنية ،  
وكان بناتها قد وضعنها حول جيدها •

أحيانا ما تكون الحياة كالقصة ، تسير فيها الأمور أحسن سير ،  
وهكذا كان يشعر آل مارش وقد اكتنفتهم السعادة وأظهن الهناء !  
ولم يكد يمضى من الوقت نصف ساعة ، حتى فتح لورى باب الردهة ،  
وأطل برأسه من فرجته فى هدوء ، وكان وجهه ينطق بالانفعال المكبوت  
والحماسة البلغة • قال بلهجة مرحة مآكرة جعلت الكل يقفز واقفا :

— هاكم هدية أخرى لآل مارش بمناسبة عيد الميلاد •

وقيل أن يتم جملة ، أزيح عن الباب بطريقة ما ، وحل مكانه رجب  
طويل القامة يلتحف بالأغطية حتى عينيه ، ويستند الى رجل طويل آخر  
أراد أن يقول شيئا ، ولكنه لم يستطع ، إذ اندفع البنات وأمهن نحو القادم  
فى ثورة عاطفية كادت تفقدن الرشيد : فقد عاد مستر مارش ، ولم يكن  
أحد يتوقع هذا الحدث العظيم !

واختفى مستر مارش بين أحضان بناته ، واستبد الانفعال بجو حتى  
كاد يغشى عليها ، وقبل مستر بروك ميح على سبيل الخطأ ، ثم يعتمر عن  
فعلته بألفاظ متقطعة متلعثمة • وسقطت أمى الأنيقة على الأرض بعد أن  
تعثرت قدمها فى المقعد ، فلم تحاول الوقوف ، بل لزمته مكانها من  
الأرض ، وقد طوقت ساقى أبيها بتأثر بالغ •

واستعادت مسر مارش هدوءها ، فرفعت يدها محذرة وقالت :

— حذار أن نزعج بث •

ولكن التحذير جاء متأخرا ، فقد انفتح الباب بشدة ، وظهرت من ورائه



بث ، متدثرة بمعطفها الأحمر ، وقد بعث السرور في ساقها قوة جديدة ، فجرت الى أحضان أبيها ترمى فيها • وتوالت المواقف المؤثرة ، ولكننا لا نرى ما يدعوننا الى ذكرها ، ويكفى أن نقول ، إن السعادة غمرت القلوب ، فغسلت مرارة الماضي ، ولم تبق إلا الرضا بروعة الحاضر وجماله •

وبينما كانت الضحكات تتعالى في أرجاء الغرفة ، وقفت حنا وراء الباب ، ودموع التأثر تتساب من مقلتيها ، فتسقط على السديك الرومي الذي تحمله بين يديها • وتركت مسز مارش بناتها حتى نلن غايتهن من الترحيب بأبيهن ، ثم انثنت الى مستر بروك تشكره على بالغ عنايته بزوجها وعندئذ تذكر الشاب واجبه في توفير أسباب الهدوء لمريضه الفاقه ، فاستأذن في الانصراف ، وخرج مع لورى الى البيت الآخر •

وجلس مستر مارش على مقعد كبير مريح يقص على بناته كيف كان يتوق الى مفاجأتهم بعودته ، وكيف حالفه الحظ ، فاعتدل الجو على غير انتظار ، وأذن له الطبيب بالسفر • وكذلك حدثهن بخدمات بروك ، وتفانيه في توفير أسباب الراحة له ، مما زاده إيمانا بكرم نفسه وعلو أخلاقه • وتمهل مستر مارش في حديثه عن بروك ، ونظر نحو ميج ، التي تشاغت بتقليب النار في المدفأة ، كأنها غير مصغية لكلامه ، ثم نظر الى روجه بتساؤل أجابته عليه بإيماءة من رأسها ، ثم أسرع بتغيير الموضوع ، فسألته إذا كان يريد أن يأكل شيئا • وشاهدت جو هذه الحركات ، وفهمت المقصود منها ، فقطبت جبينها ، وانصرفت من الغرفة تحضر طعاما ونبیذا •

قالت في نفسها ، وهي تصك الباب خلفها :

— إنى أكره الرجال الذين يستحقون التقدير ، خصوصا إذا كانت عيونهم عسليه .

وجاعت وليمة العيد فريدة في نوعها ، لم يرد لها مثيل في حياة الأسرة : فقد كان الديك الرومى السمين تحفة أبدعت حنا في حشوها وطهيها ، وكانت فطيرة العيد كبيرة الحجم متقنة الصنع ، شأنها في ذلك شأن صحن الفالودج الشهى ، الذى صالت فيه أمى وجات ، وكأنها ذبابة هبطت على عسل .

قالت حنا ، عندما انتهى العشاء بفضلها على ما يرام :

— لست أدرى كيف أمكننى إتقان الأكل مع مفاجآت اليوم واحداشه وأحمد الله أنى لم أحمر الفطيرة بل الديك ، ولم أحس الديك بدل الفطيرة بالزبيب والسكر .

وقد اشترك فى وليمة العشاء مستر لورنس وحفيده ، وكذلك اشترك مستر بروك ، الذى عاملته جو بتحفظ شديد دهش له لورى وتعجب . وكان على رأس المائدة كرسيان مريحان لبث وأبيها ، فجلسا عليهما يأكلان قطعة من الديك وبعض الفاكهة ، وسارت الوليمة سيرا حسنا ، فتبادل الجالسون الأنخاب ، ورووا القصص والفكاهات ، وأنشدوا الأغانى ، وبالاختصار كانت وليمة ناجحة الى أقصى حد . وبعد العشاء ، اقترح مستر لورنس أن يخرج الفتيات فى عربته الى النزهة ، ولكنهن أبين مفارقة والدهن ، فاستأذن الضيوف فى الانصراف مبكرين ، وما إن خيمت عتمة الغسق ، حتى التأم شمل الأسرة السعيدة من جديد حول نيران المدفأة . وسار الحديث طويلا بينهم ، وفى فترة سكوت قصيرة ، قالت جو :

— فى مثل هذا الوقت من العام الماضى ، كنا نتوقع عيدا قابضا .

فقلت ميج ، وهى تنظر الى لهب النيران ، راضية بأسلوبها فى  
معاملة مستر بروك :

— لقد كان عاما سعيدا فى مجموعه •

وقالت أمى ، وهى تفحص الخاتم فى أصبعها :

— أظن أنه كان عاما شاقا •

وهمست بث ، وهى تجلس على ركة أبيها :

— إنى سعيدة بانقضائه ، فقد عدت إلينا يا أبى •

فقال مستر مارش ، وهو ينظر الى بناته راضيا :

— كانت مرحلة شاقة فى طريق حياتكن ، يا حاجاتى الصغيرات ،

ولكنها انقضت بسلام ، وعن قريب تلقين أحمال الهموم عن ظهوركن ،

إن شاء الله •

سألته جو :

— هل أخبرتك أمى كيف كانت حياتنا شاقة يا أبى ؟

قال :

— سمعت منها قليلا ، ولكن لى عينا ترى ، وقد لاحظت بنفسى أشياء

كثيرة •

فصاحت ميج تقول :

— إذا أخبرنا بما لاحظت !

قال ، وهو يمسك بيدها ، وشير الى أصابعها الخشنة ، وآثار الحروق

المنتشرة فيها :

— هذه إحدى ملاحظاتي : فإنى أذكر أن يدك كانت بيضاء ناعمة ولم يكن لك هم سوى العناية بجمالها ، ولكنى أفضل خشونتها الحاضرة على نعومتها السابقة ، ففيها أقرأ قصة انتصارك على خيالك ، وأتلو صفحات جهادك فى أداء واجباتك • ثقى يا عزيزتى ميج بأنى أقدر فى النساء تضحيتهن من أجل المحافظة على كيان بيوتهن ، أكثر مما أقدر أيديهن البضة الفارغة ، ويسعدنى أن أشد على يدك الصغيرة المكافحة ، وآمل أن لا يطلبها منى أحد فى القريب العاجل •

وكانت ضغطة أبيها على يدها ، وابتسامة الفخر التى ارتسمت على شفتيه ، أعظم مكافأة نالتها ميج جزاء الأيام العصيبة التى مرت بها •  
قالت بث تهمس فى أذن أبيها :

وما رأيك فى جو ؟ إنها تستحق كلمة طيبة ، فقد اجتهدت كثيرا وكانت كريمة معى الى أبعد حد •

فضحك مستر مارش ، ونظر الى الفتاة الطويلة ، التى تجلس أمامه وعلى وجهها الأسمر هدوء غير عادى ، ثم قال :

— بالرغم من شعرها المقصوص ، فإنى لا أرى فيها الفتى جو الذى تركته منذ عام ، بل أرى فتاة أنيقة الهندام ، لا تصفر ولا تتكلم باللغة العامية ، ولا ترقد على البساط كما اعتادت فيما مضى • إن وجهها نحيل باهت ، من أثر الفلق الانتظار ، ولكنى أحب أن أتطلع إليه ، فقد أصبح أرق تعبيرا وأكثر هدوءا • وهى لا تقفز الآن بل تسير فى هدوء ، وتعنى ببعض الناس عناية الأم الرؤوم ، وكل هذا يسعدنى ويسرنى • حقيقة أننى أفتقد فتاتى الشاردة الجامحة ، ولكنى استعضت عنها بامرأة قوية النفس ، رقيقة القلب ، محبة للخير ، تواقفة الى المعونة • ولست أدري إذا كان قص

شعرها قد أعاد عقلها الى رأسها ، ولكنى أعرف أننى لم أجد فى واشنجتون كلها ما يستحق أن أدفع فى شرائه المبلغ الذى باعت به جدائلها •

واغرورقت عينا جو تأثرا ، واحمر وجهها انفعالا ، وهى تصنى الى مديح أبيها ، وتحس أنها جديرة ببعض ما قاله فى تقريظها •  
قالت بث وهى تتعجل دورها :

— والآن ، ماذا لاحظت فى بث ؟

قال بمرح ، وهو يضم الى صدره صغيرته التى كاد يفقدها :

— لم يبق من بث سوى قليل ، وأخاف أن أقول عنها كثيرا فلا يبقى شئ منها ، ولكنى مسرور على كل حال أنك تغلبت على حياتك وخجلك ، ويسعدنى أن أعود فأجدك سليمة ، وسوف تبقين دائما سليمة بإذن الله •  
وسكت لحظة ، ثم نظر الى أمى التى تجلس عند قدميه ، قال وهو يربت على رأسها :

— لقد لاحظت أن أمى تخدم الأسرة فى أثناء الطعام ، وتلبى طلبات أمها بعد الظهر ، وقد أعطت الليلة مكانها لميج ، وساعدتنا جميعا بمرح وصبر وشجاعة • وقد لاحظت أيضا أنها لا تتذمر ، ولا تطيل النظر فى المرأة ، كما أنها لم تذكر شيئا عن الخاتم الذى تضعه حول أصبعها ، وأستنتج من ذلك أنها تعلمت أن تفكر فى غيرها أكثر مما تفكر فى نفسها ، وأنها تحاول أن تصوغ نفسها فى قالب جديد ، كما تفعل بتمائيلها الصلصالية وإنى سعيد بذلك وفخرى عظيم بفتاتى الحبيبة ، التى تزيد الحياة جمالا لنفسها ولن حولها •

وبعد أن شكرت أمى أباه ، وأخبرته بقصة الخاتم الذى تلبسه ، سألت جو أختها بث قائلة :

— فيم تفكرين يا بث ؟

قالت :

— قرأت اليوم في كتاب النصائح ، أن الحجاج وصلوا بعد عشاء الى مروج السلام الخضراء ، حيث تزدهر الزنايق طول العام ، وكذلك قرأت أنهم استراحوا ، كما نستريح نحن الآن ، قبل أن يستأنفوا المسير الى غايتهم الأخيرة .

ثم قالت ، وهي تنسل من أحضان أبيها : وتسير الى معزفها ببطء :

— حان وقت العناء ، وأريد أن أسترد مكانتي من العزف ، وسأحاول أن أنشد أغنية « الراعي الصغير » ، الذي سمعه الحجاج يغنى بصوت رخيم وقد لحت المتطوعة التي أعرف أن أبي يحبها .

وجلست الى معزفها الصغير ، ولمست أصابعه برفق ، وارتفع صوتها الرخيم الذي كانت الأسرة تخشى أن يحرمهم الموت منه ، وجعلت تغنى وتقول :

« من يعيش على الأرض لا يخشى السقوط

ومن يتنازل لا يخشى العسور

ومن يتواضع دائما

يكن الله له نعم الدليل .

أنا راض بما وهبني الله

إن قليلا كان أو كثيرا

لأننى أنشد القناعة يا إلهى

وأنت يا إلهى حليف القنوع .

إن الامتلاء حمل ثقيل

لمن الى الحج يذهبون

فعرس هنا ، ويسر هناك

« بينة الخير ، جيلا بعد جيل » .

## الفصل الثالث والعشرون

### العمة مارش تحل المشكلة

جاء اليوم التالي والتف البنات وأمهن حول مستر مارش المريض الناقه يغدقن عليه من العناية والرفق ، ما جعلهن يهملن أعمالهن في سبيل خدمته والتمتع بالنظر إليه ، والاستماع الى أخباره ، فكن في ذلك أشبه بالنحل حين يلتف حول ملكته . كن غاية في السعادة ، والأب يجلس على مقعد مريح بجانب أريكة بث ، ومن حوله البنات الثلاث ، وبين حين وآخر تطل حنا برأسها من الباب « لتطمئن على الرجل العزيز » . ولكن كبار الأسرة كانوا في قلق مكبوت ، ينتههم شعور بأن أمرا ينقصهم ، فلا يصرحون به ملتزمين الصمت : فقد كانت نظرات مستر مارش وزوجه تتبع ميج بقلق ولهفة ، واستبد الغضب بجو فجعلت تهزا قبضتها مهددة منذرة لمظنة مستر بروك التي نسيها في الردهة ، كل هذا وميج شاردة الذهن صامته خجول ، تجفل اذا ما رن جرس الباب ، ويحمر وجهها اذا ما ذكر اسم جون على مسمع منها .

قالت أمي :

— لست أدري ماذا جرى : فكنا في قلق وحيرة ، مما لا يتفق مع عودة أبي الينا سالما .

وأبدت بث ، في براءة ، دهشتها لتأخر آل لورنس عن زيارتهم في هذه المناسبة الهامة .

ومر لورى بالبيت في مساء ذلك اليوم ، فلما رأى ميج تطل من النافذة ، ركبه شيطان التمثيل فجأة ، فركع على احدى ركبتيه فوق



الجليد وهو تارة يثد شعره ، وتارة أخسرى يرفع يديه في توسل  
وضراعة ، كأنه يطلب الرحمة • وعندما نهفته ميج وطلبت منه أن يتأدب  
أو ينصرف ، رفع يده الى عينيه يجفف بمنديله دموعا خيالية ، ثم سار  
يترنح في يأس ، حتى وصل الى منعطف الطريق •

وضحكت ميج وقالت لجو ، وهي تتظاهر بأنها نسيت ما فعلت :

— ماذا يقصد هذا الغبي ؟

فقالت جو في تهكم :

— انه يريك ماذا سيفعل رجلك جون في المستقبل • منظر مؤثر !  
أليس كذلك ؟

فقالت ميج بهدوء كأن الكلام يلذ لها :

— لا يليق بك أن تقولى رجلى جون ، فهذا غير صحيح • لقد  
أخبرتكم مرارا انى لا أهتم به ، وقد اتفقنا جميعا أن لا نتحدث في  
هذا الموضوع • ورجائى أن لا تضايقيني يا جو ، حتى نظل دائما  
في صداقة ووثام •

قالت جو متألمة :

— لسنا نستطيع ذلك الآن ، فقد قيل ما قيل ، وفعلت مزحة لورى  
فعلها فيك • أن أمورك تبدلت ، وقد لاحظت أنا وأمى التغيير الذى أصابك  
ولست أريد أن أضايقك ولذلك سأحتمل فجيعتى فيك إحتمال الرجال •  
ان وقوع البلاء أهون من انتظاره ، وأنا بطبعى أكره الانتظار ، فاذا  
كان فى نيتك الموافقة فيها عجلى بها •

قالت ميج وهي تتحنى فوق تطريزها وعلى شفيتها ابتسامة غامضة :

— لا يجوز أن أتكلم قبل أن يتقدم رسميا ، ولن يفعل ذلك ما دام  
أبى يرى أنى مازلت صغيرة •

قالت جو :

— بل يجب الاستعداد من الآن ، حتى لا يفاجئك بالكلام ، فيحمر  
وجهك وتبكين ، وبذلك تتركينه ينفذ رغباته ، بدل أن ترفضه رفضا  
حاسما •

قالت ميج :

— لست غبية أو ضعيفة كما تعتقدن ، وقد رسمت خطة كيلا  
أؤخذ على غرة ، ومن الخير أن نستعد للأمر حتى لا نفاجأ بها •

ولم يتمالك جو من أن يتبسم للهجة الجدية التي تكلمت بها ميج  
دون أن تدري ، والتي صاحبها احمرار وجهها الجميل ، وقالت في لهجة  
أكثر احتراما :

— هلا أخبستى بما استقر عليه رأيك ؟

قالت :

— لا مانع لدى مطلقا ، فقد بلغت السابعة عشرة من عمري ،  
وأصبحت بنضج تفكيرك أهلا لثقتي فيك ، وقد تفيدك التجربة التي  
أمر بها عندما يحين دورك •

فقالت جو ، وقد أفزعها مجرد التفكير في أن تمر بها تجربة  
أختها :

— لن أمر بما تمرين به ، ولست مجنونة أن أجرب هذه التجربة  
بنفسي ، انما يلذ لي أن أراقب غيري في ظرف كهذا •

وسرحت ميح بنظرها الى الطريق الضيق الذي طالما رأت العاشقين  
يسيرون فيه جنبا الى جنب في ليالى الصيف الدافئة ، وقالت كأنها تحدث  
نفسها :

— سيكون لك رأى آخر عندما تجدين من يحبك وتحبينه •

قالت جو في حدة ، وقد أغضبها خيال أختها الجميل :

— أليس في نيتك أن تخبريني بما استقر عليه رأيك ؟

قالت :

— سأقول له بمنتهى الهدوء والتصميم : أشكرك يا مستر بروك  
على كرمك العظيم ، ولكنني أتفق مع أبى في أنى مازلت أصغر سنا  
من أن أفكر في خطبة أو زواج ، ولذلك أرجو أن تترك الكلام في هذا  
الموضوع ، وأملئ أن نظل أصدقاء كما كنا فيما مضى •

قالت :

— هذا كلام حازم قاطع ، ولكنك لن تقوليه ، وحتى اذا قلت له ،  
فلن يرجع الرجل عن عزمه ، وسوف يتصرف تصرف المحبين الذين  
نقرأ عنهم في القصص ، فتدعنين لطلبه خشية أن تجرحى شعوره •

قالت :

— لا لن أذعن ! سأعلمه بأننى مضممة على رأبى ، ثم أنصرف من

الحجرة في تعال وكبرياء •

وقامت ميج واقفة وهي تتكلم ، وكانت على وشك أن تجرب الانصراف في تعال وكبرياء ، غير أنها سمعت وقع خطوات في الردهة جعلتها تعود الى مقعدها جريا ، ثم تعكف على تطريزها بهمة ونشاط . وكتمت جو ضحكة لهذا التغيير المفاجيء ، وقامت الى الباب تفتحه مستجيبة للطرقات الخفيفة عليه ، وقد كست وجهها جمودا لا يدل على ترحيب بالقدام . ووقف مستر بروك عند الباب ، ونظره يتنقل من وجه هذه الى وجه تلك ، ثم قال بارتباك ملموس :

— مساء الخير ، لقد جئت لآخذ مظلتى ، وأزور والدك لأطمئن على حالته اليوم .

قالت جو في ارتباك جعلها تخلط بين أبيها والمظلة :

— انها في خير حال ، وهو يجلس على المشجب ، وسوف أحضره لك ، ثم أخبرها بأنك هنا .

وانصرفت من الغرفة فورا ، حتى تنتهي الفرصة لميج ، فتكاسفه بما استقر عليه رأيها ، ولكن ميج شرعت بدورها في الانسحاب ، وقالت له بخجل :

— يسر أُمى أن تراك ، ففضل بالجلوس حتى أستدعيها .

قال ، وفي لهجته ألم شديد ، ظنت ميج معه أنها قد عاملته بخسونة :

— لا تذهبي . أتخافين منى يا مارجرىت ؟

واحمر وجهها حتى وصل الاحمرار الى جذور الشعر في جبينها ،

لأنه ناداها باسمها مارجرىيت ، وهو ما لم يفعله من قبل ، وأدهشها أن يكون نداؤه طبيعيا لا كلفة فيه • ومدت يدها في حركة مطمئنة ، وقالت بلهجة من تحرص على ابداء صداقتها في غير تكلف أو اصطناع :

— كيف أخافك وقد كنت مثال العطف على أبى ؟ ليتنى أستطيع أن أفيك حقك من الشكر •

فأمسك بيدها الصغيرة بين يديه الكبيرتين ، ونظر إليها بعينيه العسليتين الليثتين بالحب ، مما جعل قلبها يضرب بين جنبها ، وكانت تريد الافلات منه ، ولكنها كانت تريد أيضا أن تبقى لتسمع ما يقول • سألتها :

— أخبرك كيف تشكريننى ؟

قالت وهي تحاول أن تسحب يدها ، وقد بدا الخوف عليها وهي لا تدري :

— لا • أرجوك ! أفضل ألا تقول شيئا •

قال مستر بروك في رقة وحنان :

— لن أزعجك ، ولست أبتغى غير الاطمئنان الى أنك تهتمين بى ولو قليلا يا ميج • انى أحبك كل الحب يا عزيزتى •

وجاءت اللحظة الحاسمة كى تقول ما استقر عليه رأيها من قبل ، ولكنها لم تقل شيئا ، فقد غابت عن ذهنها الكلمات التى سبق أن أعدتها باحكام ، وكل ما فعلته أن رفعت رأسها ، وقالت :

— لست أدرى •

كان صوتها ناعما منخفضا ، فانحنى جون عليها ليسمع ردها  
التافه ، ويبدو أنه اغتبط لجوابها ، اذ ابتسم راضيا ، وضغط على  
يدها البضية في رشاقة ، وقال بلهجة مقنعة :

— هلا حاولت معرفة حقيقة شعورك ؟ انى مشوق جدا الى  
استطلاع رأيك ، فلن أتمكن من التفرغ الى عملي قبل الاطمئنان الى  
مكافأتى في النهاية .

قالت متلعثمة ، وهى لا تدري لماذا تضرب هكذا رغم اغتباطها  
بما تسمع :

— انى مازلت صغيرة السن جدا .

قال :

— سوف أنتظر ، ولن يضيرنى الانتظار اذا حاولت أن تحبينى ،  
فهل ترين أنها مهمة عسيرة يا عزيزتى ؟  
قالت :

— لن تكون مهمتى عسيرة لو أردت ، ولكن ...

فقاطعها جون وهو يمسك بيدها الأخرى ، بحيث لم تستطع أن  
تخفى وجهها من نظراته :

— انى أحبك كثيرا يا ميح ، فأرجو أن توفقى فى الاستجابة  
لعاطفتى .

وكانت لهجته محكمة فى ضراعتها وتوسلها ، ولكن نظرة استرققتها

الى وجهه ، كشفت لها عن مبلغ سروره واغباطه ، بل كشفت أيضا ثقته  
الشديدة في بلوغ غايته ، وتذكرت دروس آنى موفات في الدلال ،  
وتملكها أنانية الحب وقوته ، التى تظل كامنة في نفوس الفتيات ، ثم  
تظهر فجأة في الوقت المناسب • وأحست بشعور غريب ، وتحيرت  
فيما تفعل ، ثم أوحى اليها الدلال بالتمنع ، فسحبت يدها من بين يديه ،  
وقالت :

— لن أفعل ما تريد ، فهلا ذهبت الآن وتركتنى لشأنى ؟

وارتاع مستر بروك المسكين لقولها ، وقد أحس بأن القصور التى  
بناها في الهواء تنهار على رأسه ، ولم يكن قد رأى ميغ في مثل هذه  
الحالة من قبل ، ولذلك أفزعه نفورها ، فسألها في قلق وهو يتبعها  
الى خارج الغرفة :

— أحقا تقولين ؟

قالت :

— نعم ! ولست أحب أن أشغل نفسى بمثل هذه الأمور ، وأبى  
يرى ذلك أيضا • ومازال الوقت أمامى متسما ، فالأفضل أن أنتظر •

قال :

— قد تغيرين رأيك قريبا ، وسأنتظر صامتا حتى أمنحك وقتا  
كافيا للتفكير • لا تلعبى بعواطفى يا ميغ ، فلا أظنك أهلا لذلك •

قالت ميغ ، وقد لذ لها أن تعذب حبيبها ، وتختبر احتمالها  
لسلطانها عليه :

— أفضل أن لا تفكر فيّ على الإطلاق .

وشحب وجهه وأظلم حزنا ، ويدا فعلا كأنه بظك من أبطال القصص غير أنه لم يضرب جبينه بيده مثلهم ، كما لم يسر جيئة وذهابا في الحجرة ، انما وقف ينظر اليها متألما ، حتى أحست بقلبها يعطف عليه على الرغم منها ولو لم تحضر العمّة مارش في هذه اللحظة الهامة ، ما أمكن التكهّن بنهاية الموقف .

وكانت العمّة قد قابلت لورى وهى تتنزه ، وعلمت منه بعودة مستر مارش ، فلم تقو على مقاومة شوقها الى رؤيته ، ولذلك توجهت الى بيته فوراً . وكان أفراد الأسرة جميعهم في نهاية الدار مشغولين بأمورهم ، فسارت في البيت بهدوء تريد أن تفاجئهم بزيارتها . وكان دخولها بالفعل مفاجأة للمتحدثين ، اذ جعلت ميج كما لو أن شبحا ظهر لها ، واختفى بروك مسرعا في غرفة المكتب .

صاحت العجوز وهى تضرب الأرض بعصاها ، وتنقل بصرها من وجه الشاب الشاحب الى وجه الفتاة المتورد :

— ارحمنى يا الهى ، ما هذا كله ؟

فتلعثمت ميج ، وهى تتوقع أن تنهال عليها عمتها بالنصح والتعنيف ، وقالت :

— هذا صديق لأبى . لقد أدهشتنى رؤيتك كثيرا .

قالت العمّة مارش وهى تجلس :

— دهشتك واضحة ، ولكن ماذا كان صديق والدك يقول لك ،



حتى يحمر وجهك هكذا ؟ إنى أحس بالشر ، ولذلك يجب أن أعرف ما  
يجرى هنا .

قالت ميج ، وهى تتمنى لو أن مستر بروك كان خارج البيت آمننا :  
— جاء مستر بروك يسترد مظلمته ، وكنا نتبادل بعض الحديث .  
صاحت العمة مارش تستوضح الأمر :

— بروك ؟ رائد الولد إياه ؟ لقد فهمت الآن . إنى أعرف كل شىء  
فقد أخطأت جو وفتحت رسالة من رسائل أبيك ، وقد أكرهتها أن تقول  
لى عما جاء بها . فهل قبلت خطبته يا ترى ؟  
قالت ميج فى اضطراب :

— صه ! انه فى الغرفة الأخرى وقد يسمع حديثك ! ألا أستدعى  
والدتى لتراك ؟  
قالت العجوز فى اهتمام :

— لا ، ليس الآن إذ لى ما أقوله لك حتى يستريح ضميرى .  
أخبرينى ، أنتوين حقيقة أن تتزوجى كوك هذا ؟ اذا كان الأمر كذلك  
فلن تتالى بنسا واحدا من ثروتى . تذكرى هذا وكونى فتاة عاقلة .

وكانت العمة مارش قديرة على إغضاب الناس واستشارة عنادهم  
الى أقصى حد . ولو أنها طلبت الى ميج أن تتزوج بروك ، ما ترددت  
الفتاة لحظة فى الرفض ، ولذلك أثار اعتراضها روح العناد فى قلب  
الفتاة ، وقررت لفورها أن تقبله . وقد ساعدها على معاندة عمتها ،  
ميلها الشديد للفتى ، فقالت وهى تهز رأسها فى تصميم قاطع :

— سأتزوج بمن أحب يا عمتي : ويمكنك أن توصي بمالك لمن تريدن .

قالت :

— أنت غبية متعجرفة ! أهكذا تقابلين نصيحتي يا آنسة ؟ سوف تندمين يوم تجربين فشل الحب في بيت يظلل الفقر والحرمان .

أجابت ميح :

— لن يكون حالي أشقى من حال بعض سكان القصور .

ولم تكن العممة قد رأت ميح في مثل هذه الحالة من قبل ، فوضعت عيوناتها على أنفها ، وتطلعت إلى الفتاة تفحصها ، وأثار حديث العممة روح التحدي في نفس الفتاة ، فأحست بالشجاعة والاستقلال يغمران قلبها ، كما سرها أن تدافع عن جون ، وثبتت حقها في حبه أو الزواج منه . وشمرت العممة مارش بأنها أخطأت في معالجة الموضوع ، فسكت لحظة ثم استأنفت حملتها بأسلوب آخر توخت فيه اللين على قدر استطاعتها . قالت :

٤٣٤

— ميح ، أيتها العزيزة ! كوني عاقلة وخذي بنصحي ، فأنا أريد لك الخير ، ويؤلمني أن تفسدي حياتك بخطأ ترتكبينه في بدايتها .

يجب أن تتزوجي رجلا غنيا ، حتى تجدى الراحة وتعاوني أسرتك .

قالت :

— ولكن أمي وأبي يخالفانك في الرأي ، وهما معجبان بجون رغم فقره .

قلت العممة :

— إن أمك وأباك لا يدركان من أمور الدنيا أكثر مما يدرك الأطفال

السذج •

قالت ميج في كبرياء :

— وأنا سعيدة بذلك •

ولم تهتم العمة مارش بإجابة الفتاة ، ومضت في نصيحتها تقول :

— إن هذا الشاب روك فقير ، وليس له أقارب أغنياء •

قالت الفتاة :

— نعم ليس له أقارب أغنياء ، ولكن له أصدقاء مخلصين •

قالت العمة :

— لن تجدى من الأصدقاء عوناً على معاشك ، وسينكرونك يوم

تحتاجين إليهم • ألهذا الشاب عمل يتكسب منه ؟

قالت :

— ليس له عمل في الوقت الحاضر ، ولكن مستر لورنس وعد بمساعدته

قالت :

— إن جيمس لورنس عجوز متقلب لا يؤمن له جانب ، فلا تعتمدى

على مساعدته طويلاً ، واعتبرى أنك تتزوجين رجلاً بلا مال ولا جاه ولا

عمل ، مما يضاعف كدك في الحياة ، وكل هذا لأنك لا تأخذين بنصيحتى

ظننتك أرجح عقلاً وأعمق تفكيراً يا ميج •

قالت ميج ، وقد زادها الإخلاص تورداً وجمالاً :

— لن أجد أفضل منه زوجاً مهما فعلت ، فجون رجل طيب القلب •

راجح الفكر ، له مواهب لا تحصى ولا تعد • إنه يبحث عن العمل جادا وسوف يوفق دون شك بفضل نشاطه وذكائه وشجاعته • وهو فوق ذلك محبوب ، يجله الناس ويحترمونه ، ومن حسن حظي أن يهتم بي رغم فقرى وحمقتى وصغرى سنى •

قالت العمه :

— ولكنه يعرف أن لك • أقارب أغنياء ، وهذا سر اهتمامه بك على ما أعتقد وكان رأى العجوز اتهاما ظلما لجون ، فثار غضب الفتاة ، صاحت بعمتها تقول :

— كيف تجرئين أيتها العمه على مثل هذا الكلام ؟ ! ليس رجلى جون خسيسا أو وضيعا ليتزوجنى من أجل المال • إن الفقر لا يخيفنى ، وسوف نعمل لنعيش ، وفى نيتنا أن ننتظر حتى تتحسن أحواله • يكفى أننى سعيدة ، وسأكون معه سعيدة دائما ، لأنه يحبنى ولأنى •••

وسكتت ميج ، وقد تذكرت فجأة أنها لم تقرر بعد قبوله زوجا لها ، وأنها طلبت الى « رجلها جون » عدم التفكير فيها ، وربما كان فى الغرفة المجاورة يستمع الى حديثها •

وكانت العمه تريد أن تختار زوجا غنيا لابنة أخيها المليحة ، فلما رأت سعادتها بجون الفقير ، ولست حماستها البالغة فى الدفاع عنه ، غضبت لخيبة أملها ، وقالت بهرارة وغيظ :

— أنت فتاة عنيدة ، وقد خسرت بحماقتك أكثر مما تتصورين ، فلا تتوقى معونة منى بعد أن خيبت أملى فىك ، وسنرى كيف يساعدك أصدقاء هذا المستر بروك • لقد انتهيت من أمرك تماما ، ولن أتدخل فى شئونك بعد اليوم ، ولست أجد بنفسى رغبة فى رؤية أبىك •

وخرجت المعجوز غاضبة بعد أن صكت الباب في وجهه ميج فانهارت بخروجها قوى الفتاة ، واستبدت بها الحيرة ، فلم تعد تدري أتضحك أم تبكى • وقبل أن تتمالك جأشها ، دخل عليها مستر بروك ، وقال لها وهو يحتويها بين ذراعيه :

— لم يكن هناك سبيل لأتخاشى سماع ما قلت يا ميج ، فشكرا لدفاعك عنى ، وشكرا للعممة مارش ، إذ بفضلها عرفت أنك تهتمين بى بعض الاهتمام •

قالت :

— لم أكن أقدر حقيقة مكانتك عندى ، حتى شرعت تذكك أمامى •

قال :

— لست أرى الآن داعيا لأن أتركك يا عزيزتى ، فهل تحبين أن أبقى وأساعدك ؟

وكانت هذه فرصة أخرى تستطيع فيها أن تردده عنها بكبرياء ، كما وعدت جو ، ولكنها بدل أن تفعل ذلك ، أخفت وجهها فى صدره ، وقالت بصوت خفيض :

— نعم يا جيون !

وبعد ربع ساعة من انصراف العممة مارش ، هبطت جو السلم فى هدوء ، وتوقفت لحظة عند باب غرفة الاستقبال • فلما لم تسمع صوتا ينبعث منها ، بدا عليها الارتياح وقالت لنفسها :

— لا شك أنها أرسلته الى حال سبيله كما اتفقنا ، وبذلك يكون أمره قد انتهى ، فلا دخل لأتسلى وأضحك مما حدث بينهما •

ولكن جو لم تنعم قليلا أو كثيرا بالتسلية أو الضحك ، فعند ما فتحت الباب ، رأت ما جعلها تقف في مكانها مندهشة منذهلة ، لا تصدق عينيها ، فبدل أن تجرد آثار هزيمة عدوها المبين على يدي أختها المتكبرة المتعالية ، طالعها منظر تلك الأخت ، وقد جلست على ركبتى من كانت جو تود له الخذلان كل الخذلان • وصدمت الفتاة بما شهدته في وجه أختها من أبلغ معانى السعادة والاستسلام ، فشهقت منزعجة ، كما لو كان ماء مثلج صب على رأسها • وتنبه الحبيبان الى وجودها ، فقفزت ميج عن ركبتى جون في خجل شديد ، ولكن « ذلك الرجل » على حد تعبير جو ، تقدم اليها ضاحكا وهو يقول :

— أختى جو ! هنيئا يا أختاه !!

واغتاضت جو لكلامه ، بعد أن اغتاضت لخيبة أملها ، ووجدت في قوله وقاحة لا تغنر ، فلوحت له بيدها في خشونة ، ثم خرجت من الحجرة دون أن تنطق بكلمة واحدة • وصعدت السلم مسرعة الى غرفة الناقلين ، وأزعجتها وهي تنفجر قائلة :

فليسرع أحدكم بالنزول ، لأن مستر بروك يتصرف تصرفا مضيئا ، موميج راضية بذلك •

وعند ما خرج مستر مارش وزوجه من الغرفة مسرعين ، ارتمت جو على الفراش ، وفي عاصفة من البكاء ، جعلت تروى لأختيها الصغيرتين ما حدث ! ولكنهما قابلتا النبأ السار بكل ترحيب واغتباط ، فلم تنعم جو الغاضبة بشيء من راحة البال ، ولذلك لاذت بملجئها في أعلى الدار ، وراحت تقص همومها على الفيران التى تعبت حولها • وأغلق باب غرفة الاستقبال على الوالدين والحبيبتين ، ودار بينهم

خديث طويل ، أبدى فيه بروك الهادى منتهى الحماسة والبلاغة ، ودافع عن قضيته خير دفاع ، حتى اقتنع مستر مارش وزوجه بتحقيق رغباته .

ظل بروك يصف الجنة التى يريد تقديمها لميج ، حتى حان موعد الشاى ، فتأبط ذراعها باعتزاز ، وسار بها الى المائدة والسعادة تشع من عينيها ، الى حد هزم غيرة جو ، وقهر اعتراضاتها . وتأثرت أمى بعطف جون وتحفظ ميج ، وراحت بث تختلس اليهما النظرات مسرورة ، أما مستر ومسر مارش فقد جلسا ينظران الى الخطيبين برضا وحنان ، مما أثبت قول العمه مارش إنهما لا يفقهان من أمور الدنيا أكثر مما يفقه الأطفال . ولم يقبل أحد على تناول الطعام ، ولكن السعادة كانت تغمر القلوب كلها خصوصا قلب الأب العجوز ، الذى بلغ غاية سعادته بأول حادث عاطفى فى أسرته .

قالت أمى وهى تتحصص الحبيين ، وتفكر فى الوضع الذى سترسمهما فيه :

— أما زلت عند قولك السابق يا ميج بأن لا مكان لمزيد من السعادة ؟

أجابت ميج ، وكأنها فى حلم سعيد يرتفع بها فوق الأحداث العادية :

— لا ، طبعاً . فكم حدثت أمور سعيدة ، بين أمس واليوم ، ويخيل الى أن عاما مضى منذ ذلك الحين .

قالت مسر مارش :

— ان بعد العسر يسرا ، والسعادة تأتي بعد طول الألم ، وفي كل أسرة تمر سنوات يغشاها الحزن ، ثم تنقشع الغمة ، وتتحسن الأحوال ، وأظن أن هذا التغيير قد بدأ الآن في حياتنا .

وتمتت جو تقول :

— أهلى أن تكون نهاية هذا العام الجديد خيرا من بدايته .

وكانت جو لا تسرف في حبها إلا مع أفراد معدودين ، فكانت تخشى أن تصدم في إخلاصهم لها ، ولذلك ألمها كل الألم أن ترى ميج تنزلق من بين يديها ، وتتجه بعواطفها نحو رجل غريب تحت سمعها وبصرها .

قال مستر بروك وهو يبتسم لميج ، كأنما تحققت مشروعاتها كلها :

— وستكون نهاية العام الثالث أجمل وأجمل ، وستحقق باذن الله مشروعاتي وآمالي ..

قالت أمى ، وهى تتعجل الأيام لحفل الزواج :

— أليست هذه مدة طويلة؟

قالت ميج بلهجة جدية حلوة ، لم يسبق أن تحدثت بها من قبل :

— بل إنها مدة قصيرة جدا ، فما زال أمامى كثير أتعلمه .

قال جيون :

— أنا أعمل وأنت تنتظرين .

وبدأ يعمل لفوره ، فتناول المنشفة وقدمها لميج بأناقة اغتاضت لها جو ولم تمض لحظة حتى سمع صوت الباب الخارجى يصفق ، فشاع الارتياح في نفس جو ، وهزت رأسها وهى تقول لنفسها :



— ما قد جاء لورى ، وأن الأوان لنسمع حديثا ليس فيه شيء من هذه السخافات •

ولكن لورى خيب ظنها هو الآخر ، إذ دخل يقفر وقد استخفه الطرب ، وجاء يحمل باقة جميلة من الورود الى « مسزا جون بروك » . وكان يعتقد أن كل هذه الأحداث ، ما جاءت الا نتيجة لخطته الماهرة السابقة • قال بعد أن هنا الخطيبين وقدم لهما هديته :

— كنت واثقا أن بروك سينال ما يريد ، فهذا شأنه دائما ، فهو اذا ما انتوى أمرا ، نفذه ولو انطبقت السماء على الأرض •

قال مستر بروك ، وقد بعث نشوة السعادة فيه روح المسألة حتى نحو تلميذه الماكر :

— شكرا على تهنئتك • انى أستبشر خيرا بالمستقبل ، ولذلك أدعوك الى حفلة زواجى منذ الآن •

قال :

— سألبى الدعوة ولو كنت فى أقاصى الأرض ، فان مجرد رؤية وجه جو ، فى هذه المناسبة ، يغرى الانسان بالحضور مهما طالت السفر •

والتفت لورى الى جو ، وهى تقبع فى ركن بعيد من الحجرة ، وسألها :

— ماذا بك ؟

قالت فى حزن :

— إني غير موافقة على هذا الزواج ، ولكنى سأجتمله ولن أعترض عليه . إنك لا تدرك كم يشق علىّ أن أتنازل عن ميح .  
قال لوري يواسيها :

— إن تتنازلى إلا عن نصفها ، وسيبقى لك النصف الآخر .  
تتهتت جو وقالت :

— بل أنا فقدت صديقة عزيزة ، وسيختلف شعورها نحوى بهذا الزواج .

قال وهو يعنى ما يقول :

— ولكنى معك يا جو ، وإذا كنت لا أضرع ميح مكانة فى نفسك ، غير أنى سأقف الى جانبك طول حياتى ، ولك منى عهد بذلك .

قالت ، وهى تصافحه شاكرة :

— أنت عزائى الوحيد يا تيدى ، وأنا أثق بوعدك ، وسأكون مدينة لك الى الأبد .

قال :

— لا تحزنى إذا ، وكونى فتاة طيبة . ان الأمور تسير على ما يرام ، وميح سعيدة جدا ، ولن يلبث بروك أن يسافر للبحث عن عمل ، وقد وعد جدى بمساعدته فى تقرير مستقبله ، وعندئذ ترين ميح فى بيتها الصغير . لن تنقص سعادتنا بذهابها ، فعن قريب أنتهى من دراستى الجامعية ، وأسافر معك فى رحلة الى الخارج . ألا تجددين فى ذلك تعزية كافية ؟

قالت وهى شاردة الفكر :

— أعتقد ذلك ! ولكن من يدري ماذا يحدث في خلال هذه السنوات الثلاث القادمة .

قال لورى ! ؟

— الحق معك . ولكن ألا تحبين أن تتصورى ما قد يحدث إذ ذاك ؟

قالت وهى تجيل بصرها فى الحجرة ، وقد التمعت عيناها :

— لا ، فقد أتصور ما لا يسرنى . وما دمنا الآن سعداء ، فلا فائدة من التطلع الى المستقبل .

وجلس الأب والأم معا ، يرقبان أول فصل غرامى فى تاريخ بناتهما ، ويذكران أيامهما الماضية منذ عشرين عاما . وعكفت أمى على لوحة ترسم فيها الحبيين اللذين جلسا فى ركن من الحجرة ، يرغلان فى حلل من السعادة ، وقد أشرق وجهاهما بنور استعصى على الفتاة الصغيرة أن تصوره ورقدت بث على أريكتها تتحدث الى أبيها العزيز ، وتشد على يده بيدها النحيلة ، كأنها تستمد منها قوة ترشدها الى طريق السعادة والسلام . وقبعت جو فى مقعدها المنخفض المحبوب ، وفى وجهها مظاهر الجد والهدوء على حين وقف لورى وراءها وهو يبتسم فى أخوة ، ويومئ برأسه مشجعا لصورتها المنعكسة على المرآة المقابلة .

وبهذا الوضع انسدل الستار على ميج وجو وبث وآمى ، ليرتفع مرة أخرى فى الجزء الثالث من قصة نساء صغيرات .

*Twitter: @ketab\_n*

## محتويات الكتاب

### الجزء الأول

الصفحة	الموضوع
٥	الفصل الأول : لعبة الحجاج
٢٩	الفصل الثاني : عيد سعيد
٤٨	الفصل الثالث : لورانز الصغير
٧٠	الفصل الرابع : متاعب وهموم
٩٠	الفصل الخامس : حقوق الجبار
١١٤	الفصل السادس : بث في قصر الأمانى
١٢٦	الفصل السابع : « أمى » تقاسى للهوان
١٣٩	الفصل الثامن : « جو » في قبضة الشيطان
١٦٠	الفصل التاسع : « ميج » تجرب مباحج المجتمع
١٩٠	الفصل العاشر : ندوة الأدباء
٢٠٦	الفصل الحادى عشر : تجارب

### الجزء الثانى

٢٢٨	الفصل الثانى عشر : معسكر لورنس
٢٦٧	الفصل الثالث عشر : قصور فى الهواء
٢٨٦	الفصل الرابع عشر : أسرار
٣٠٥	الفصل الخامس عشر : البرقية
٣٣١	الفصل السادس عشر : رسائل

الصفحة

الموضوع

٣٣٥

الفصل السابع عشر : المؤمنة الصغيرة

٣٥٠

الفصل الثامن عشر : أيتام سود

٣٦٤

الفصل التاسع عشر : وصية أمي

٣٧٨

الفصل العشرون : أمور عائلية

الفصل الحادي والعشرون : لورى يصنع الشر وجو تنشر

٣٩٠

السلام

٤١٣

الفصل الثاني والعشرون : عودة السعادة

٤٢٤

الفصل الثالث والعشرون : العمه مارش تحل مشكلة

رقم الايداع ٣٥٢٤ لسنة ١٩٨٦.

**مطابع سجل المرب**

